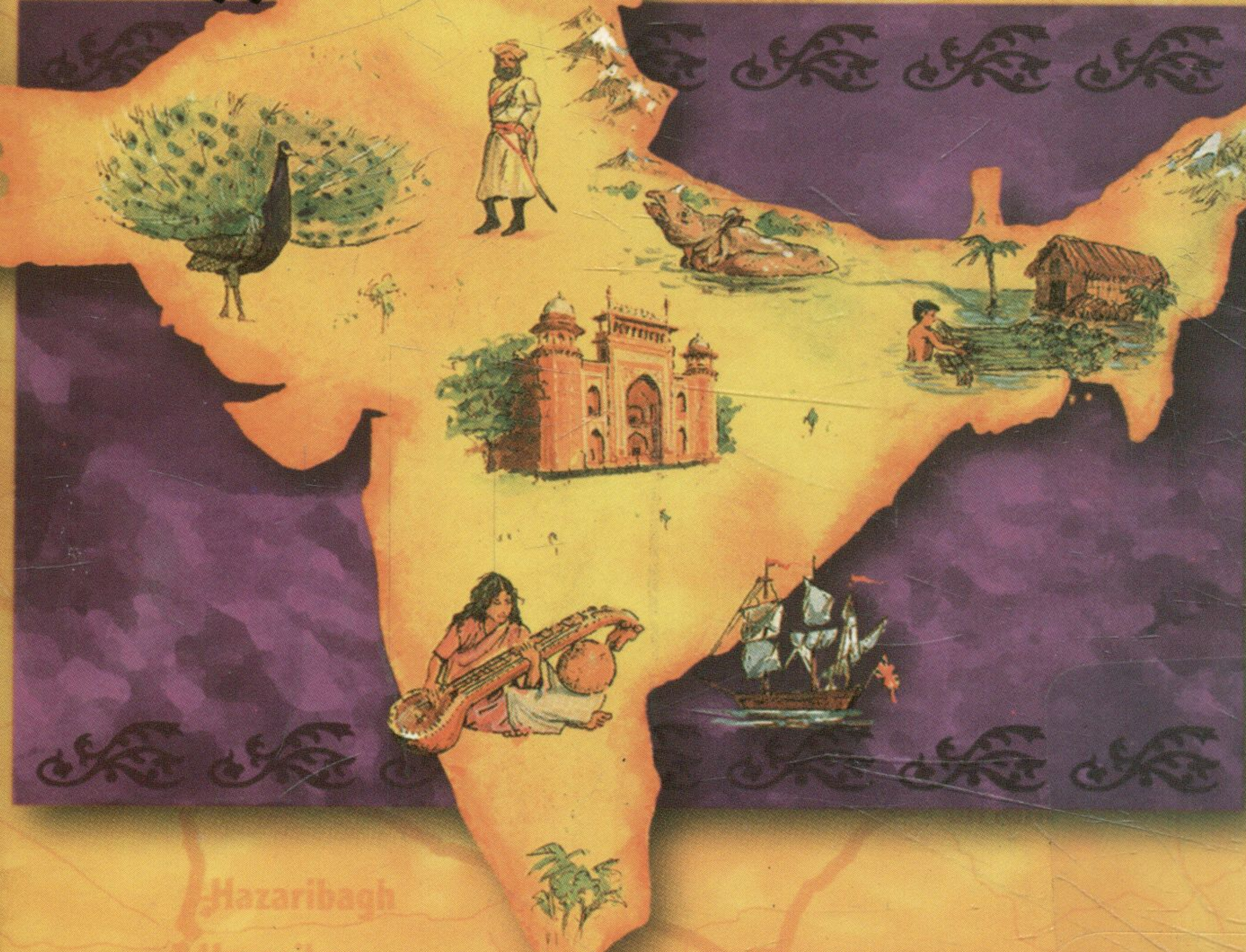
أبطال المسيحية : فى الماضى والحاضر

وليم كاري



ذهبتُ طائعاً

بقلم

چانيت وچيوف بنج

أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر

وليم كاري

ذهبتُ طائعاً

بقلم

جانيت وجيوف بنج

ترجمة

م/ عاطف يوسف اسكندر



طبعة أولى يناير ٢٠٠٢

English Title: **William Carey**	**وليم كاري**
Obliged to Go	**ذهبت طائعاً**
Author : **Janet & Geoff Benge**	المؤلف: **جانيت وجيوف بنج**

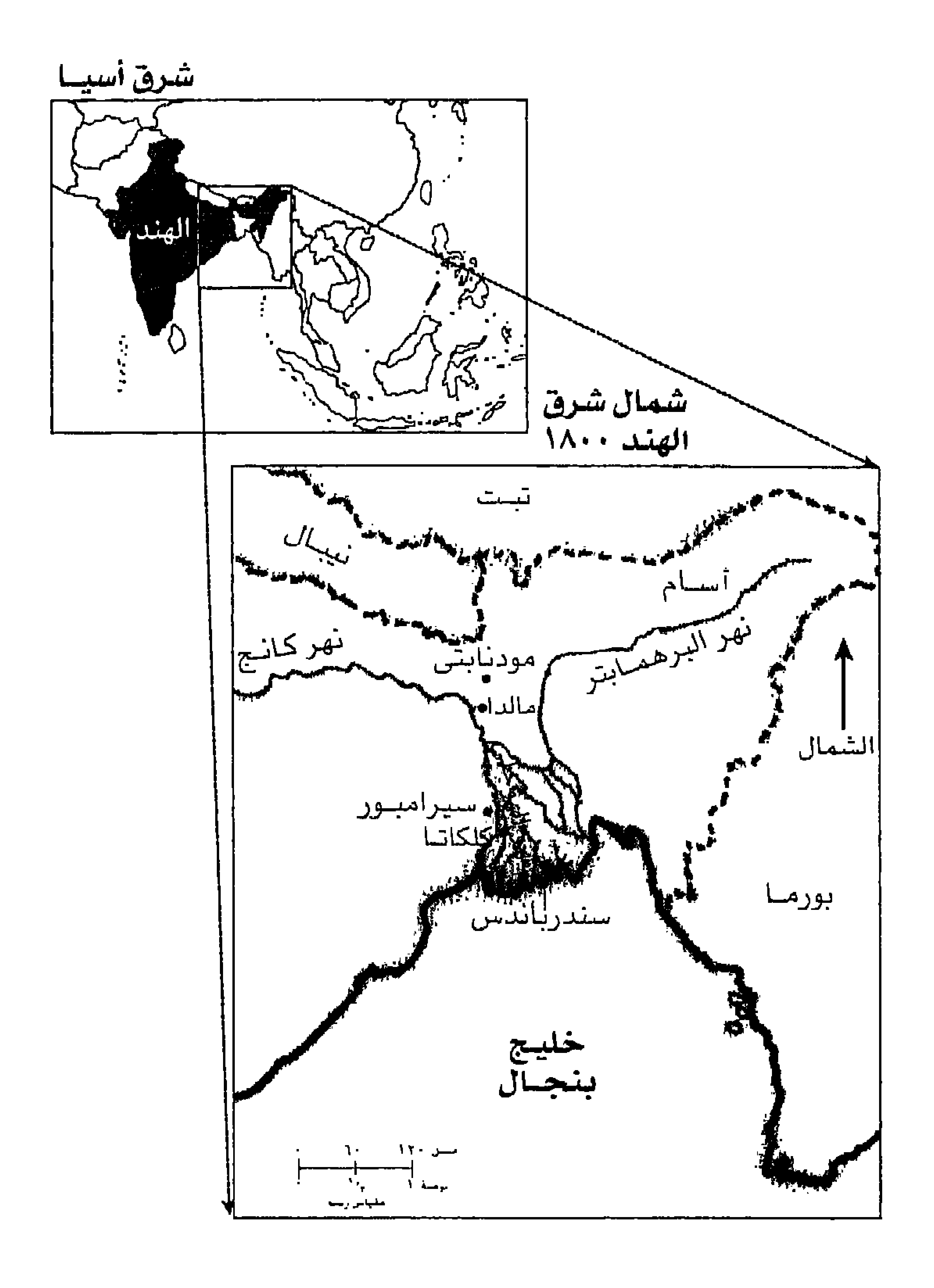
ترجمة: م/ عاطف يوسف اسكندر

مراجعة: إدوارد وديع

Published in Arabic :	الناشر باللغة العربية:
Lighthouse Book Center	مكتبة المنار
17,Murad El-Sherei St.,	١٧ش مراد الشريعي
Saint Fatima. Heliopolis.,	سانت فاتيماـ مصر الجديدة
Cairo, Egypt.	القاهرة.
Tel: (02)6395030	تليفون: ٦٣٩٥٠٣٠ (٠٢)
Fax: (202)2403848	فاكس: ٢٤٠٣٨٤٨ (٢٠٢)
Mobile: 012/3233352	

رقم الإيداع: ٤٠٩٦ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولى : 977-5674-67-0


شرق أسيا
الهند
شمال شرق
الهند ١٨٠٠
تبت
نيبال
أسام
نهر كانج
مودنابتى
مالدا
نهر البرهمابتر
الشمال
سيرامبور
كلكاتا
سندربانس
بورما
خليج
بنجال

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى جون وشيرلى بيكر، وهما رائدان حقيقيان حصلا على حق الريادة بفضل جهودهما.

المحتويات

الفصل | الصفحة

الفصل الأول

الإبحار بدونه

حدق "وليم كاري" في حزم الخشب المكدسة وفي العبوات الجلدية الضخمة المرصوصة على رصيف ميناء "بورتسماوث" بجوار السفينة "أمير اكسفورد" وتداعت إلى مخيلته ذكريات شهر مضى عندما تم تحميل أمتعته على ظهر هذه السفينة في لندن لقد كانت مغامرة مثيرة له ولابنه الأكبر "فيلكس" والآن فإن الحلم يتبخر. وهاهما يقفان على الرصيف جنباً إلى جنب وهما يراقبان السفينة وهى تستعد للإقلاع إلا أنها في هذه المرة تبحر بدونهما .

لم تجد توسلات وليم كاري إلى ربان السفينة نفعاً في أن يصحبه على ظهر السفينة إلى الهند فلم يكن الرجل مستعداً لأن يفقد وظيفته في سبيل أن يصحب معه مسافراً بلا تصريح.

وبعد ساعة كانت السفينة "أمير اكسفورد" تشق طريقها بعيداً عن الميناء وقد ضبط بحارتها أشرعتهم في مواضعها الصحيحة. أخذت السفينة تتجه نحو الأفق، وهنا احتضن وليم ابنه بين ذراعيه وهو يدرك أن "فيلكس" لا يدري ما يحدث، وكيف له أن يدرك ذلك ووليم نفسه لا

يستطيع أن يستوعب أن الباخرة "أمير اكسفورد" قد أبحرت إلى الهند بدونه.

سالت الدموع على خدي وليم وهو يرى السفينة التي كان مقدراً له أن يكون على ظهرها وقد انضمت إلى قافلة من ست سفن أخرى في القنال الإنجليزي واختفت عن عينيه الممتلئتين بالدموع .

وأمتلأ عقل وليم بألف سؤال وسؤال وهو يرى السفينة وقد اختفت عن ناظريه إذ أنه لو لم تكن إنجلترا وفرنسا في حالة حرب لما كان عليه هو وابنه أن يتجها من لندن إلى بورتسماوث كأول محطة بل كانا سيتجهان إلى الهند مباشرة وربما كانا في منتصف الطريق إلى هناك في هذه اللحظة أو لو كانا قد أبحرا من لندن مبكراً بيوم واحد فقط لاستطاعا الإبحار مع الفوج الأول الذي غادر الميناء ولما كان عليهما الانتظار قرابة شهر لتكوين فوج جديد وقوة حراسة جديدة. والآن ماذا سيحدث؟ فإن وليم قد عين في إرسالية مسيحية وتم اختياره ليوفد كمرسل إلى الهنود ولكنه الآن قد احتجز في بورتسماوث، وماذا بوسعه أن يقول لرئاسة الإرسالية الآن ؟ وهل يقدر له أن يصل إلى الهند في يوم ما ؟ .

بعد اختفاء السفينة في الأفق أدار وليم ظهره إلى البحر واستأجر عربة صغيرة تجرها الأحصنة وضع عليها أمتعته الشخصية وسار إلى جوارها في الطريق إلى الفندق الذي يقيم فيه مع ابنه وتداعت إلى ذهنه أثناء السير ذكريات طفولته حيث شب كصبي صغير في بولسبري

والآن فان تحدياً عظيماً ينتظره فعليه أن يذهب إلى الهند ويجب أن يكون هناك سريعاً حيث ينتظره عمل عظيم عليه أن ينجزه في هذا المكان البعيد.

الفصل الثاني

المسكن الجديد

ولـيم ولـيم. لقـد حان وقت الرحيل إلى المسكن الجديد "ها أنا آتـي يـا أمـي" هكـذا صاح الصبي وليم ذو الأعوام الستة وهو يقفز من فوق شـجرة الـبلوط الـتي كـان يتسـلقها متوخـياً كـل الحـرص حتى لا يتمزق سرواله كما حدث معه في الأسبوع الماضي.

وما أن هبط بسلام على الأرض حتى جرى بشغف عبر الحقل نحـو المـنزل الحجـري الذي قضى فيه طفولته. وقبل أن يدخل المنزل قام بتمشـيط شـعره ذي اللـون الـبني الـذي يصل إلى كتفيه وضبط ياقة قميصه فحـتى أثـناء الرحـيل كانـت أمـه تريده أن يكون أنيقاً. وبعد أن عدل من هندامه ورأى أنه يمكن أن ينجح في اختبار الأناقة. اندفع سريعاً وفي شوق إلى داخـل المنزل. لقد حلم كثيراً بهذه اللحظة وأخيراً أصبحت على وشك أن تتحقق.

قـرية "بولسـبرى" في قلـب وسط إنجلترا لم تكن بالمكان الممتع لصـبي في السـادسة من عمره ولا لأي شخص آخر في عام ١٧٦٧م. لقد كان يقطـن هـذه القـرية حوالـي ثمانمائة نفس ومعظمهم من القوم البسطاء مثل والـدي "وليم ادموند" و"اليزابيث كاري" اللذين كانا يمارسان عملاً صغيراً

يديرانه من منزلهما المتواضع وقد كان يدر عليهما دخلاً يكفي بالكاد مطالب عائلتهما المتواضعة. كانا كلاهما نساجين يقضيان اليوم كله وجزءا من الليل في نسج نوع من الملابس الصوفية التي تباع لأبناء الطبقة المتوسطة في لندن. وكان هذا هو الموقف حتى هذه اللحظة، ولكن الآن فان الأمور ستتغير. فاليوم يوم الانتقال للسكن الجديد فكل شئ في حياة وليم على وشك أن يتغير ووليم يدرك ذلك.

عندما خطا وليم إلى داخل المنزل وجد والده وراعي الكنيسة يحملان منضدة الطعام المتينة وكرسي المائدة إلى الخارج حيث شمس الصيف الساطعة. وداعب خيال وليم التغيرات الكبيرة المزمع حدوثها حيث تم تعيين والده كمساعد للقس في كنيسة "سانت جيمس" (وكنيسة سانت جيمس هي جزء من كنيسة إنجلترا وهي الكنيسة الرسمية التي يعترف بها الملك جورج الثالث). وكانت سعادة وليم بالغة إذ ستتاح له الفرصة للالتحاق بالمدرسة. فحتى هذه اللحظة لم يرد بخاطره قط فكرة الالتحاق بمدرسة خاصة، فلم تكن هناك نقود بالمنزل تكفي لشراء أحذية جديدة لكل أفراد الأسرة فما بالك بتدبير مصاريف الدراسة. كانت المدارس المجانية قاصرة على عدد محدود من المدارس في إنجلترا في ذلك الحين. ولذلك فمعظم القرويين كانوا غير قادرين على القراءة أو الكتابة وفي نفس الوقت فإن الاحتياج لأي منهما كان ضئيلاً لمعظمهم.

لحسن الحظ فان قرية "بولسبري" كانت مختلفة عن قريناتها، حيث ان اثنين من أبنائها قد غادراها إلى لندن، وهناك كونا ثروة طيبة ولم ينسيا قريتهما، فأرسلا إلى الكنيسة هناك أموالاً تكفي لإنشاء مدرسة تخدم اثنى عشر طفلا وقد سنحت لوليم فرصة أن يكون واحداً من هؤلاء التلاميذ إذ أن والده قد عين كمساعد للخادم في هذه الكنيسة. أثناء دراسة وليم خلال ساعات النهار فإنه كان يرى والده إذ أنه من واجبات رجل الدين في الكنيسة أن يكون ناظراً للمدرسة. والوظيفة الجديدة للوالد أتاحت له أن يغير مسكنه وبالتالي فهذا يوم الانتقال للمسكن الجديد. وحتى ذلك الحين كان وليم ووالداه وشقيقته "آن" ذات الأربعة أعوام يتكدسون في حجرتين صغيرتين تكونان بيتهم، وفي نفس الوقت مغزلهم الصغير . ولقد ملأ النول الحجرة الواقعة أسفل السلم تقريباً. ولقد اعتاد "وليم" و "آن" أن يلعبا سوياً وفي نفس الوقت يتجنبان الاصطدام بأذرع وركب والديهما أثناء عملهما على نول الغزل الضخم بصعوبة. ولكن الموقف الآن سيكون أفضل كثيراً بعد الانتقال إلى السكن الجديد الذي جاء مع وظيفة الوالد الجديدة.

المسكن الجديد مسكن مسقوف من طابقين به مدفأتان وأربعة نوافذ في الواجهة الأمامية ويعتبر قصراً بالنسبة للمسكن القديم الذي كانوا يقيمون به. وجاء الانتقال في موعده تماماً إذ أن والدة وليم كانت في انتظار حادث سعيد بين يوم وآخر ولم يكن هناك أي مكان في المنزل القديم

للولـيد الجديـد. ولكـن المـنزل الآن أكـبر كـثيرا لدرجة أن وليم سـيكون له غـرفة نـوم بمفـرده وسيصبح واحـداً مـن أطفـال محدودين يملكون رفاهية الإقامة في غرفة مستقلة.

بالطبع فإن وليم كان على بينة بكيفية شغل غرفته فرغم كونه في السادسـة فـان حاجـياته الخاصـة الـتي جمعهـا تفوق ما يجمعه معظم الكـبار طوال حياتهم. وهي أشياء لا تكلف مالاً في جمعها ولكنها مقتنيات مـن الطبـيعة المحـيطة به. فأثناء سيره حول "قلعة وتيلبرى" الملكية على حافـة القـرية، كان يحلو له أن يتجول أسفل أشجار البلوط الفخمة باحثا عـن الحشـرات الغريـبة والديـدان وبـيض الطـيور والفراشـات ويتفـنن في اصـطياد ما يمكنه منها. وعندما يعود إلى المنزل يجد أن بعضها لازال حياً وبعضـها قـد مـات، فيصـنفها ويحـتفظ بهـا في صـناديق خشـبية ومحافظ جلديـة أعدها له والده، وكانت هذه المقتنيات في صحبته في طريقه للمنزل الجديـد حيـث وضـع تخطـيطاً لكيفـية توزيـع ثروته هذه في حجرة نومه الجديدة.

قبل انسدال الظلام كان كل شئ في موضعه الجديد بما في ذلك العديـد من النباتات التي أحبها وليم والتي أخذها من الحقول أمام البيت القديم وأعاد زراعتها تحت نافذة غرفته الجديدة.

وعـندما خلـد إلى الـنوم في الليلة الأولى فـإن عـبق الورود التي أحبها والقادمة من أسفل نافذته جعلته لا يستشعر الغربة.

وسرعان ما تآلف وليم مع حياته الجديدة رغم أن أمراً واحداً لم يكن يحبه. فأثناء الخدمة في أيام الآحاد في كنيسة "القديس جيمس" كان عليه أن يجلس مع عائلته في مقصورة خاصة خلف المنبر الذي يلقي من عليه القس "جو نز" العظة. صحيح انه شئ ممتع أن ترى نفسك أعلى من الآخرين وكان بوسع وليم أن يرى من فوق كل الرؤوس من أول الكنيسة إلى آخرها، حيث كان يقف قارعو الأجراس. ورغم أنه هو الذي يرى كل ما يحدث فإنه كان يشعر أنه محط أنظار الجميع، إضافة إلى أن والدته كانت لا تكف عن تذكيره باستمرار أن يتصرف بلياقة لأن الكل يراقبه. وأثناء إلقاء العظة كان زملاؤه يركزون أنظارهم عليه من مقاعدهم في الكنيسة إلا أنه كان عليه أن يتجاهل هذه النظرات فهو يعرف أن العقاب سيوقع عليه لو بادلهم النظرات والابتسامات. ما لم يطلب إليه البقاء في المنزل لرعاية شقيقته الجديدة الوليدة "بولي" (اسمها الحقيقي "ماري" ولكن لا أحد يدعوها بهذا الاسم). فإن وليم كان يذهب إلى الكنيسة كل يوم أحد.

كان على والد وليم الكثير من المهام أثناء خدمة صباح الأحد فهو الذي يقود الجمع في الصلاة والترنيم ويقدم راعي الكنيسة لالقاء العظة كما أنه هو المسئول عن نظافة الكنيسة ومنع الحيوانات الأليفة من الدخول. إضافة إلى ذلك فهو المسئول عن تسجيل حالات الولادة

والوفيات في سجلات الكنيسة. ولم يكن يتقاضى الكثير من الكنيسة إلا أن الرسوم التي يتقاضاها نظير التسجيل كانت من حقه.

صحيح ان دخل العائلة المادي لم يرتفع كثيراً لكن شيئا جديداً في وظيفة الوالد أضاف الكثير لحياة وليم ألا وهو الكتب حيث طبعت بعض الكتب في إنجلترا عام ١٧٦٠م. وطباعة كتاب في هذا الوقت أمر مكلف ويستغرق وقتاً طويلاً. ونتيجة لذلك فلم يكن يقتني الكتب سوى الأغنياء ورجال الدين. وبما أن والده يعمل في الكنيسة كما أنه ناظر مدرسة الكنيسة فقد عرف وليم طريقه إلى الكتب وتميز بأنه قارئ سريع ولم يمضي وقت طويل إلا وكان قد قرأ المغامرات الشهيرة في تلك الأيام مثل "روبنسون كروزو" و"رحلات جليفر". ولم تقتصر قراءته على كتب المغامرات فحسب، فقد دأب على قراءة كل ما تصل إليه يداه وخاصة الكتب التي تتحدث عن البلاد الأجنبية وهي كتب أشعلت مخيلته حيث تخيل نفسه أثناء خلوته كما لو كان المسيو "فانسيز دراك" عابراً مضيق "ماجلان" أو "كريستوفر كولمبس" مبحرا لاكتشاف العالم الجديد باسم "فرديناد" و"ايزابيلا" ملك وملكة أسبانيا. وفي مرة اكتشف أصدقاء وليم أنه يمثل دور "كولمبس" ولذلك أطلقوا عليه هذا اللقب الذي صاحبه كثيراً طوال شبابه.

كما أن شغف وليم بالبلاد الأجنبية ازداد جداً عندما عاد عمه "بيتر" من كندا حيث كان يحارب ضد فرنسا في محاولة استعادة مقاطعة

"كوبيك" إلى الإمبراطورية البريطانية. ولم يكن أحد يتخيل أن العم "بيتر" سيعود ثانية إلى موطنه في "بولسبري" ومعه العديد من القصص المشوقة عن الأماكن التي زارها والأشياء التي رآها لقد حارب إلى جوار الجنرال جيمس ولف وتاجر مع الهنود ولقد بهر الصبي وليم ذو الأعوام الثمانية بالعم "بيتر" وسأله أن يروي له مغامراته وأن يعيد روايتها ثانية وأحب أن يستمع بصفة خاصة إلى قصة الرحلة البحرية عبر الاطلنطي ورغم أنه سبق له وأن تخيل نفسه "السير فرانسيز دراك" و"كريستوفر كولمبس" فان وليم وجد صعوبة بالغة في تخيل شكل المحيط وحاول العم "بيتر" أن يصف له المشهد بأنه مليون مجرى مائي تجري جنباً إلى جنب وممتدة إلى المدى الذي يمكن أن يصل إليه البصر. وحاول الفتى أن يتخيل المحيط كمن يريد أن يتخيل مدينة لندن العظيمة التي يسكنها أكثر من ستمائة ألف نسمة. وهو لم يشاهد أكثر من عشرة أميال أبعد من قريته التي يقطنها ثمانمائة فرد حيث ولد وعاش هناك.

قضى وليم العديد من الأوقات مع العم "بيتر" الذي لم تكن له عائلة خاصة وإضافة إلى أنه مصدر رائع للمعلومات عن العالم فإنه كان ذا خبرة أيضاً بعالم النبات وسرعان ما تم تعينه في وظيفة منسق حدائق ومنذ ذلك الحين فإن وليم والعم بيتر صارا يتبادلان الحديث عن الحدائق والأبصال والشتلات كلما التقيا.

بـدت الحياة طيبة لوليم الذي أحب المدرسة رغم أن والده كان أكـثر قسـوة علـيه من زملائه بالمدراسة كما أنه أولى حديقته اهتماماً خاصاً وسـرعان ما أصبحت أفضل حديقة بالقرية. وكان من عادة شقيقته "بولي" أن تتـبعه ايـنما ذهـب ولذلـك دعاهـا ولـيم "مسـاعدته لشـئون الأبحاث" وجعـلها تحمـل لـه الحقيـبة المملوءة بعينات النباتات عندما كانا يسيران معـاً. أحـياناً كـان ولـيم يحمـل على كتفه شقيقه الجديد "توم" أثناء هذه المسيرات إلا ان "توم" كبر سـريعاً وأصبح أثقل من أن يحمل.

كـان ولـيم شغوفاً بكـل أنـواع المعرفة ورغم أنه يعيش في قرية صـغيرة عـلى بعـد عشـرة أمـيال من "نورث امبتون"، فإن الجرائد أعطته لمحـة عـن الحـياة خـارج قريته. فقد كانت هناك جريدة "فورث امبيتون ميركـوري" الـتي تصـدر كـل يـوم اثـنين حيث يحمل ساعي البريد ثلاث نسـخ مـنها كـل أسـبوع فوق ظهر جواده إلى قرية "بولسبري" حيث تصل نسـخة مـنها إلى مـالك الأرض الكـبير بالقـرية والثانـية إلى كاهن الكنيسة والثالـثة إلى ناظـر المدرسـة وكـان وليم ينتظر الجريدة في لهفة كل أسبوع. فقـد كـان العالم يموج بالعديد من الأحداث التي يود القراءة عنها وفي عام ١٧٦٤م. اخـترع "جمـس هارجـريف" ماكيـنة قادرة على أن تغزل ثمانية جدائـل في وقت واحد أطلق على الماكينة اسم ابنته ليصبح اسمها " جيني الغازلـة " وفي عـام ١٧٦٩م. طـور "ريتشارد اركوريت" هذا الاختراع وقدم ماكيـنة جديـدة أروع من "جيني الغازلة". وسرعان ما أضاف إلى اختراعه

الآلة البخارية التي اخترعها "جيمس وات" لتدير ماكينة الغزل، مضاعفة إنـتاجها وفي عـام ١٧٦٩م. اسـتخدم رجـل فرنسـي اسمـه "نـيكولاس كاجـنوت" الآلـة البخارية ليحرك بها عربة وقرأ وليم كل هذه الأخبار في جـريدته الأسـبوعية وفي عـام ١٧٧١م. احتفلـت جـريدة "نـورث امبيـتون ميركـوري" بعـودة الكـابتن "جـيمس كـوك" وفـريقه المعاون من "تاهيتي" لاكتشـاف الشـاطئ الغـربي من استراليا ورسم خريطة شاطئ "نيوزيلندا". احـتفظ وليم بعناية بصفحات الجريدة التي تتحدث عن مذكرات "كوك". قـرأ ثـم أعـاد قـراءة الأحـداث التي سردها "كوك" في مذكراته عن البلدان المختلفة والجنسيات المتعددة التي صادفها الرجل في طريقه.

في أحـد الأيـام بعـد أن فـرغ مـن قراءة كل الكتب بمنزل والده ابـتدأ في مطالعـة بعـض الكتب التي تركها العم "بيتر" هناك ورأى مجلدا ضـخماً يحـتوي عـلى العديـد مـن الرسـوم للنباتات إلا أن وليم لم يستطع قـراءة الكـلمات المصـاحبة لرسم النبات وأدرك ان هذه كلمات لغة أجنبية وإن كـان لم يعرف ما هي. صحيح انه استمع إلى بعض الكلمات الفرنسية مـن العـم بيتر إثر عودته من كندا إلا أنه بخلاف ذلك لم يكن بوسع وليم أن يـدرك مـنه أي لغـة أخـرى بخـلاف الإنجلـيزية. ولجأ وليم إلى والده الـذي أفـاده بـان هذه اللغة هى "اللاتينية" وهى نفس اللغة المنقوشة على بعـض المقابر حول الكنيسـة، ورغم أنه هو نفسه لا يعرف اللاتينية إلا أنه

تذكر كتاباً قديماً في قواعد اللاتينية موضوعاً على رف في المدرسة، فأحضره وأزاح عنه الغبار وأعطاه لابنه.

بعد بضعة شهور حفظ وليم هذا الكتاب عن ظهر قلب وأصبح في وسعه أن يجري محادثة باللاتينية، رغم أنه كان يجري المحادثة مع نفسه.

إلا أن سعادته تضاعفت بعد أن أصبح في وسعه أن يقرأ الكلمات المصاحبة للصور في كتاب العم بيتر عن النباتات.

كانت مدارس القرى تقوم بتعليم الأطفال حتى سن الثانية عشرة وبعد ذلك فعلى التلاميذ أن يتوجهوا إما إلى المدينة للانخراط في مدارس أكثر تقدماً أو أن يتعاملوا مع مدرسين خصوصيين وللأسف فإن عائلة كاري لم يكن بوسعها أن تلجأ إلى أي من الوسيلتين. وهكذا أصبح على وليم مثل كافة أقرانه في سن الثانية عشرة أن يبحث عن عمل ليساعد أسرته.

في عام ١٧٧٢م. حيث أنهى وليم دراسته الأولية بدأت المناقشات بين إنجلترا والمستعمرات في محاولة الحصول على الاستقلال بدون أن يكون لها ملك يقودها في القتال. وظن البعض ان الفرنسيين هم الذين يحرضون هذه المستعمرات على طلب الاستقلال وربما في مساعدتهم للاستيلاء على مقاطعة "كوبيك". وكانت هذه الأمور موضع مناظرات في

الفصول الدراسية إلا أن وليم لم يشارك في هذا النقاش لأنه ترك الدراسة وأصبح عاملا في الحقول.

ورغم أن وليم نال قسطاً من التعليم يتيح له أن يحصل على عمل مكتبي، فإنه فضل أن يعمل خارج المكاتب في الحقول. ورغم أنه كان ضعيف البنية وكان يبدو صغيراً بالنسبة لسنه فقد أثبت أنه قوي وشديد المراس وقادر على العمل الشاق. لقد حرث الحقول تمهيداً لزراعتها بالمحاصيل وقام برعاية قطعان الماشية في تجوالها فوق مرتفعات الريف الإنجليزي.

ورغم أن وليم أحب الخروج إلى الشمس، فإن الشمس لم تحبه وتكونت لديه حساسية منها لم يستطيع طبيب القرية أن يعالجه منها. وكلما ظهرت الشمس فان وليم يعاني من طفح جلدي شديد في وجهه وفي يديه، ولأنه كان مولعاً بالعمل في وسط الحقول وبين القطعان فانه تحامل على نفسه وتحمل آلام الطفح الجلدي لمدة عامين، وفي النهاية وبرغم ولعه بالحقول فقد كان عليه أن يعترف لنفسه بأن الاستمرار مستحيل وأن عليه أن يبحث لنفسه عن عمل آخر.

ورغم أن وليم لم يدرك ذلك في حينه فان الطفح الظاهر على وجهه كان سبباً في تغيير مجرى حياته. ولولا هذا الطفح فربما عاش وليم حياته ومات في قرية "بولسبري"، وقاده البحث عن عمل جديد لمسافة عشرة أميال عن منزله وهى أول عشرة أميال في رحلة طويلة وعجيبة، ربما

فاقت في أحداثها المغامرات التي قرأ عنها في رحلات "جليفر" وفي مغامرات "روبنسون كروزو".

الفصل الثالث

صبي تحت التدريب

كـان على والد وليم أن يتخذ قراراً بشأن العمل الذي يجب أن يلـتحق بـه ابنه الأكبر وتوقع معظم الناس أن "ادموند كاري" سيلحق ابنه بالتدريب المهني كعامل نسيج كما كان هو في صباه، ولكن السيد كاري لم يحـبذ ذلـك. فقـد تكاثـرت الأخـبار في جريدة "نورث امبيتون ميركوري" خـلال العـام المنصـرم عـن ماكيـنات النسـيج الجديـدة والأنوال التي تدار بـالآلات الـبخارية، وكـيف أن عـالم صـناعة النسـيج سيختلف تماماً عن الماضـي. ولكـن العديـد مـن أهل قرية "بولسبري" تبنوا وجهة نظر أخرى تقول أن المنسوجات ظلت تصنع باليد على الأنوال اليدوية لأجيال عديدة وسـتظل كذلـك في الأجـيال القادمـة. ولكن هذا المنطق لم يكن مقنعاً للوالد الـذي توقـع أن الماكيـنات الجديـدة سـتكون قـادرة على إنتاج منسوجات أفضـل وأسـرع إنـتاجاً مـئات المـرات ممـا يمكن انتاجه باستخدام الأنوال اليدوية. وعندئذ ماذا سيكون مصير العاملين بالأنوال اليدوية؟

بالـتالي فإن إلحاق وليم كمتدرب بمهنة النسيج لن تكون فكرة مقبولة.

الآن فإذا كان وليم غير قادر على العمل في الحقول ولم يعد بوسعه أن يتدرب على أعمال النسيج. ترى ماذا عساه أن يفعل؟ ظل السؤال معلقاً لعدة أيام إلى أن نما إلى علم السيد "ادموند كاري" أن صانع أحذية اسمه "كلارك نيكولز" يبحث عن صبي للتدريب، وصانع الأحذية هو العامل الذي يصنع الحذاء من خاماته الأولية وتشمل المهنة البدء بصناعة "القوالب" من الخشب ثم قص الجلد بالمقاسات المطلوبة ثم خياطة الأجزاء سوياً ويستدعي كل هذا مهارة خاصة تفوق مهارة الإسكافي الذي تقتصر وظيفته على إصلاح الأحذية ليجعلها تعمر فترة أطول.

كان "كلارك نيكولز" يقيم في "بيدبختون" وهي مدينة تقع على بعد ثمانية أميال شمال شرق "بولسبري". وافتعل "ادمونود" مناسبة زيارة "كلارك"، وتجاذب الاثنان أطراف الحديث لفترة وجيزة ثم تصافحا. أسرع "ادموند" إلى منزله ليخبر ابنه بالنبأ السعيد فقد أصبح وليم الآن صبياً تحت التدريب كصانع أحذية.

أن تكون صبياً تحت التدريب في عام ١٧٧٤م. أمر جاد وخطير. فعلى الصبي الذي وقع عليه الاختيار أن يوقع عقداً ليتعلم المهنة من المهني المحترف وفي هذه الحالة يجب عليه أن يصير صبياً لهذا المهني لمدة سبع سنوات يتعلم في خلالها أسرار المهنة ودقائقها ليصير بعدها هو نفسه مهنياً محترفاً وخلال هذه السنين لا يتقاضى المتدرب أجراً ولكنه مع تعلم المهنة فان الحرفي الذي يدربه يقدم له الغذاء

والملابس والمأوى. وبمجرد التوقيع على العقد فإن الاتفاق يصبح ملزماً بما معناه أنه يجب على المتدرب أن يطيع المدرب ولا يكون من حقه أن يترك العمل إلا بعد انقضاء السنوات السبع.

ولأول مرة في حياته اضطر الفتى الصغير البالغ أربعة عشر عاماً، وليم كاري أن يغادر منزله ليشق طريقه في العمل. صَرت له أمه في منديل صغير قميصاً وزوجاً من الجوارب وطبقاً معدنياً وكوباً للشراب. سارت معه أسرته لتودعه حتى الطريق الرئيسي المؤدي إلى "بيد ينجتون" وشعرت "آن" البالغة اثنتى عشرة سنة و"توم" البالغ سبع سنوات بالحزن وهما يريان شقيقهما يغادر المنزل. أما "بولى" ذات التسع سنوات فقد كانت كسيرة القلب ووعدته وهى تضمه إلى صدرها بأنها ستهتم كل الاهتمام بمجموعة العينات التي تركها وليم بالمنزل.

استغرقت الرحلة أربع ساعات حتى وصل إلى "بيد ينجتون" والواقع أنه كان بوسعه أن يصل في زمن أقل ولكنه توقف في الطريق قرابة نصف ساعة ليراقب سفينة جديدة وهم يشدونها لتأخذ مسارها في ترعة جديدة تم شقها حديثاً بالقرب من "بولسبري". وفي ذلك الوقت فان الكثير من الترع كانت تشق في أنحاء البلاد وشعر وليم ان السفر بالمركب مريح جداً ويخلو من المشقة. وأثناء سيره فان المسافرين راكبي الخيول كانوا يمرقون بجواره كما أن عربة كبيرة كانت تجرها أربعة خيول مرقت أيضاً بالطريق، إلا ان معظم المسافرين في الطريق كانوا مترجلين مثله.

وجـال في خاطـره أنـه بـالفعل قـرار حكـيم أن يكـون صانع أحذية. فكل هـؤلاء الـناس يحـتاجون إلى ارتـداء الأحذيـة وهم يسيرون عبر هذه الطرق الوعرة.

عـند الظهـيرة وصـل ولـيم إلى ورشة "السير نيكولز" والتي هي منزلـه في نفـس الوقت. قابله عند المدخل صبي طويل داكن الشعر استنتج ولـيم أنـه يكـبره بحوالي ثلاث سنوات واستقبله الفتى مقدماً نفسه قائلاً: "اسمـي "جـون وار"، ولابد أنك فتى التدريب الجديد". أطرق وليم برأسه خجـلاً مؤكـداً ذلـك. قـال جون: "حسناً إنك وصلت في هذا الوقت، فلقد مللـت مـن كـثرة توصـيلي للطلـبات بنفسـي". قـال جون ذلك وهو يبتسم وأجابـه ولـيم مبتسماً: "بوسعك أن ترسلني إلى أي مكان تريد". شعر وليم بالارتـياح تجـاه جـون وقـد استنتج أنـه قضـى حوالـي ثلاث سنوات في التدريـب المهـني لصـناعة الأحذيـة، قاده جون إلى غرفته سيتقاسمها معاً عـبر السـلم الخلفـي. نظر وليم حوله مفكراً أين سيتمكن من وضع الرفوف فقـد كـان مـتأكداً أنـه سـيأتي بالكـثير مـن العيـنات عندما يقوم بتوصيل البضـائع للعمـلاء. سـارع الاثـنان بالـنزول عندما لمحا "السير نيكولز" قد وصـل إلى الـباب وهو يحمل حزمة من الجلود التي دبغت حديثاً، وعندما رأى ولـيم فانـه رحـب بـه قـائلاً: "أنـا سعيد أنك أتيت أيها الفتى. لقد أخـبرني أبـوك أنك تؤدي عملك بدقة وبسرعة، وسنرى الآن مدى حقيقة

ذلك. تستطيع الآن أن تبدأ بنقل هذه الجلود إلى الحقيبة الموجودة هناك". أشار إلى حقيبة من القماش معلقة خلف أحد الكراسي.

لم يستغرق وليم وقتاً طويلاً في استيعاب العمل المكلف به، وبما أنه المتدرب الأحدث فكان عليه أن يقوم بأنواع العمل الأكثر مشقة، مثل ضرب الجلد ليكون أكثر مرونة ودق المسامير وتوصيل الأحذية الجاهزة للعملاء. وفي إحدى مرات التوزيع هذه ارتكب وليم حماقة ظل يتذكرها طيلة حياته. فقد حدثت في وقت أحد أعياد الميلاد. يحق للمتدرب نظراً لأنه لا يتقاضى أجراً أن يحصل على بعض النقود القليلة كهبة من الحرفيين الذين يتعامل معهم صاحب العمل الذي يعمل لديه، وكان يطلق على هذه الهبات "صندوق الكريسماس" فقد طُلب إلى وليم أن يقوم بتوصيل زوج من الأحذية إلى حداد القرية الذي قام بدفع شلن إلى وليم ليوصله إلى "السير نيكولز" كقيمة للحذاء ثم سأل وليم: "وأنت ماذا تريد لصندوق الكريسماس أيها الفتى؟ أتريد ستة بنسات أم شلن؟" ولم يصدق وليم ما سمعته أذناه فقد كان الشلن في ذلك الوقت يعد مبلغاً ضخماً يتيح له شراء القلم الريشة الذي كان يريد شراءه منذ عدة أسابيع. أجاب وليم بسرعة: "الشلن يا سيدي" قبل أن تتاح للحداد فرصة التراجع وتغيير رأيه. وانتفخت أوداج الحداد وهو يعطي وليم العملة ويضحك. وخرج هذا بدوره فرحاً إلى الشارع المملوء بالثلج متخذاً طريقه إلى المتجر للتسوق. وهناك أخرج العملة الموجودة في جيبه وسلمها إلى عامل

الخزينة، وفجع وليم عندما أعاد الرجل العملة إليه قائلاً: "إنها ليست شلناً من الفضة بل أنها مصنوعة من النحاس، ولا تعتبر شلناً حقيقياً ولا يعتد بها". ثم أضاف: "بصراحة لا يليق بفتى مثلك أن يحاول خداعي بمثل هذه العملة."

واصطبغ وجه وليم بالحمرة وأدرك ان الحداد كان يداعبه عندما منحه مثل هذا المبلغ الكبير بعملة مزيفة أدرك وليم سر الضحكة الساخرة التي أطلقها الحداد عندما أعطاه هذه المنحة، وأدرك وليم أنه لن يكون بوسعه أن يستخدم القلم الذي اختاره في هذا المساء وعرف ان الحداد أعطاه شلناً حقيقياً كثمن للحذاء، وآخر مزيفاً كهدية لصندوق الكريسماس، أذن لماذا لا يستبدل العملتين؟ ومن يدري فربما تمر الحادثة بسلام مع "السير نيكولز". تم الاستبدال فوراً وذهب الشلن النحاس إلى العهدة الخاصة بالسير نيكولز وأمسك وليم بالقلم الذي تاق إلى شرائه. رسم وليم في مخيلته تفاصيل ما يمكن أن يحدث عندما يعطي إلى السير نيكولز الشلن المزيف، فإذا أدرك الرجل أنه مزيف في الحال، فإنه سيقفز إليه ويفتح عينيه في دهشة ويقدم له الاعتذار عن انه لم يفحص العملة جيداً عندما استلمها، ويعده بأن يكون أكثر حرصاً في المرات القادمة وألا يقع في هذا الخطأ مرة أخرى. عندما دخل وليم إلى الورشة وجد أن كل شئ على ما يرام فالسير نيكولز يقف خلف منضدة العمل والمطرقة بيده ويثبت الجلد إلى القالب. وضع الرجل المطرقة جانباً عندما

دخل وليم من الباب الذي تسللت منه ريح باردة. "لقد دفع الحداد القس قيمة ما تسلماه بالكامل". قال وليم هذا كأمر واقع وهو يسلم النقود إلى السير نيكولز. شعر وليم بدقات قلبه تسرع وهو يقول هذا، إلا انه تمالك نفسه وتصنع الهدوء، واستدار سريعاً ليتناول المكنسة ليمارس عمله في تنظيف الأرض المحتاجة إلى نظافة. وبمجرد أن أمسك السير نيكولز بالعملة المزيفة حتى صاح قائلاً: "من أعطاك هذا الشلن؟" فأجاب وليم في براءة: "إنه الحداد. أهناك أي مشكلة؟" قال صاحب العمل": "نعم هناك مشكلة. فهذه العملة مزيفة". نادى جون وطلب إليه أن يأخذ هذه العملة المزيفة ويتوجه إلى الحداد ويطلب إليه استبدالها بعملة صحيحة وصاح قائلاً: "يبدو أن هذا الحداد ظن أن الفتى غبي للدرجة التي لا يستطيع معها أن يميز بين الصحيح والمزيف، ويبدو أن استنتاجه صحيح". ارتدى جون معطفه واتجه نحو الخارج حيث الهواء البارد، إلا أن برودة الهواء لم تكن تقاس بالبرودة التي أحاطت بقلب وليم. مضى وليم يكنس الأرض إلا أنه لم يكن بقادر على التركيز في هذا العمل البسيط، لماذا لم يخطر بباله أن السير نيكولز سيرجع إلى الحداد؟ وماذا سيحدث إذا ظهرت الحقيقة؟ وحاول أن يبتعد عن معرفة الإجابة. فسرقة شلن في ذلك الوقت جرم خطير بل وخطير جداً وعقوبته تصل إلى السجن أو الضرب العلني بالسياط أو أن يساق للعمل في أحد المزارع بالمستعمرات بأمريكا أو "جزر الهند الغربية" لمدة سبع سنوات. الشيء الوحيد الذي طيب خاطر وليم أن

المبلغ المسروق هو شلن ولو كان أكثر من ذلك فإن العقوبة هي الشنق العلني وبعد الشنق تعلق الجثة على مدخل المدينة لتكون عبرة لأولئك الذين يزمعون السرقة. وكثيرا ما شاهد وليم مثل هذه الجثث أثناء عمله في توصيل الطلبات للعملاء.

ورفع وليم قلبه إلى الله ليصلي قائلا: "يا رب لو أنقذتني من هذه الورطة فلن أكذب ثانية أبداً وسأذهب إلى الكنيسة ثلاث مرات كل يوم أحد ولن أسرق شيئاً أبداً ثانية. فقط أنقذني هذه المرة. فأنا لا أريد أن أنفى إلى المستعمرات". وعند عودة جون بصحبة الحداد بعد حوالي نصف ساعة بدا لوليم ان الله لن يستجيب صلاته المخلصة، فلقد شرح الحداد القصة برمتها للسير نيكولز وأنه أعطى العملة الحقيقية لوليم كثمن للحذاء وأنه قدم له العملة المزيفة لصندوق الكريسماس كدعابة، وقد دهش لأن الفتى لم يدرك ذلك في الحال. قدم وليم اعتذاره للسير نيكولز وطلب منه الصفح، ووعده بأن يعيد له الشلن مع بقية ما يتوفر في صندوق الكريسماس. وأخيراً رق قلب السير نيكولز وقرر أن يعفو عنه ولا يقدمه إلى القاضي، ومر عيد الميلاد بهدوء على وليم الذي ظل شاكراً لأنه لم يكن في طريقه إلى إحدى المستعمرات كمجرم!

لم يكن وليم يمارس عمله أبداً في صناعة الأحذية دون أن يصاحبه كتاب قريب منه وبعد كل عدة طرقات من المطرقة أو إعداد بعض طبقات الجلد ليثبتها في مراحل تصنيع الحذاء، فإنه كان يختلس

النظر ليقرأ سطراً أو سطرين من كتاب أعده مفتوحاً فوق منضدة العمل. ولم يكن السير نيكولز يعترض على ذلك. إذ انه كان ينجز ما هو مطلوب منه بكفاءة، علاوة على أن الرجل نفسه كان يحب الكتب ويحتفظ بالكثير منها في منزله. وفي يوم ما أخذ وليم واحداً من هذه الكتب ليتفحصها وإذا به يجد مجموعة من السطور مكتوبة بطريقة غير مرتبة إلا أنه أعجب بها. رغم إنه لم يستطع أن يقرأ منها كلمة واحدة ولا أن يدرك بأي لغة كتبت. وملأ الفضول قلبه تجاه هذا الكتاب وقرر أن يتحرى الأمر. وخطر بباله أن يتصل بالسيد "توماس جونز" وهو واحد من محترفي النسيج في قريته القديمة والذي أكمل تعليمه الجامعي وهو أمر نادر الحدوث في ذلك الوقت. وتوقع وليم ان "جونز" لابد أن يخبره بشئ ما عن اللغة المسطر بها هذا الكتاب. وفي يوم من أيام اجازته سارع وليم إلى قريته ليقابل الرجل. وبالفعل نال وليم مكافأته، فبمجرد أن أمسك "جونز" بالكتاب حتى ابتسم في سعادة وقال إنه كتاب مكتوب باللغة اليونانية وابتدأ يترجم له بعض الكلمات. بهر وليم بهذه اللغة وسأل العديد من الاسئلة وفي النهاية عرض عليه جونز أن يعلمه هذه اللغة.

وفيما بعد اعترف السيد "جونز" لوليم أنه كان يتوقع انه سوف يستسلم وييأس بعد درس أو اثنين. فلماذا يريد حرفي تحت التدريب في صناعة الأحذية أن يتعلم اليونانية؟ ولكنه لم يكن يدرك كنة وليم، الذي ثابر طوال عامين على دراسة اليونانية في كل لحظة فراغ يمر

بهـا وفي النهاية أتقن الفتى اللغة اليونانية قراءة وكتابة في سن السادسة عشرة، وأصبح وليم واحداً من أفضل المتعلمين في المنطقة، ولم يدر بخلده في ذلك الحين انه سيستخدم علمه هذا لمساعدة الآخرين في النصف الثاني من العالم.

ونظراً لأن وليم لم يقبض عليه ويساق إلى المستعمرات في قصة استبدال الشلن النحاسي، فانه حافظ على وعده وابتدأ يحضر الكنيسة ثلاث مرات كل يوم أحد وكثيراً ما تجاذب الحديث مع "جون وار" عن الكنيسة وأحب كلا الرجلان المناقشات الدينية. وكان والد وليم أحد الخدام في الكنيسة الانجلكانية وكان والد جون أحد القادة في "الكنيسة المستقلة" (الكنيسة المستقلة تدعي أيضاً "المنشقة" وتنتمي إلى الطوائف المعمدانية والبروتستانية والكويكرز). وأمضيا معظم مناقشاتهما حول الطرق المختلفة للعبادة في الكنيسة التي ينتمي إليها والد كل منهما.

وكانت الخلافات عديدة بين الصديقين حول كثير من المواضيع اعتباراً من معمودية الأطفال إلى من يحق له أن يرسم كخادم. وكثيراً ما كانت تتحول المناقشات إلى منازعات حادة. وكان وليم بارعاً في المناقشات، وكان عادة يعد فائزاً في كل حوار ديني يخوضه مع جون. وأحياناً يشعر بأنه رغم فوزه في الجدال فانه يفقد شيئاً أكثر أهمية من الانتصار في المناقشة، ومع ذلك لم يكن يصرح لجون بذلك.

كـان ولـيم معجـباً بجـون في السـير لكونـه ينتمي إلى الكنيسة المسـتقلة، لأن الانـتماء لهـذه الكنيسة معناه التضحية، فهؤلاء المنشقون لا يحتلون مناصب رفيعة في المجتمع ولا يحصلون على رتب عليا في الجيش أو الاسـطول. كمـا ان ولـيم كـان عـلى بيـنة من أن أبناء الكنيسة المستقلة يحـرمون مـن دخـول المدرسـة. وأن تكـون منشـقا معـناه انك خارج التيار الرسمى للحياة الانجليزية في القرن الثامن عشر.

ومـع ذلـك فـلم يكن وليم يسمح لجون بأن يكون أفضل منه في أي مناقشـة ديـنية. وفي إحـدى المناقشـات ذكـر جـون أن كنيسة إنجلترا ليست حره في أن تفعل ما يريده الله منها لأن مهمتها الأساسية كانت أن تفعل ما يسر الملك، الذي كان رئيس الكنيسة بحكم منصبه، وهي في رأي جـون مجـرد أداة في يد الملك. ولم يدرك كلاهما في تلك اللحظة أن أحداثاً سـوف تجـري عبر المحيط الاطلنطي ستجبر وليم على الوصول لنفس هذه النتيجة.

كان هذا الحدث هو الثورة الأمريكية والتي تتبع وليم أحداثها عـن قـرب مـنذ أن آتـى العـم بيتر من الحرب في كندا. والواقع أن انتصار الإنجلـيز علي الفرنسيين في كوبيك هو الذي ساعد الأمريكيين على إعلان الـثورة الأمريكـية. فعـندما كانت كندا تحت الحكم البريطاني الحازم، لم يكـن المحـتلون الأمريكـيون يخشـون مـن مهاجمة فرنسا لهم من الشمال. وبـدون هـذا الـتهديد بالغـزو فـإن الكـثير مـن الفـرق الحربـية الانجليزية

المتمركزة في أمريكا تم الاستغناء عنها وإرسالها إلى الوطن في إنجلترا، ونظراً لأن المحتلين دأبوا على دفع ضرائب عالية لملك إنجلترا للقيام بحمايتهم من فرنسا. ونظرا لأن هذه النفقات قد انخفضت بعد أن تم عودة الجنود الانجليز إلى أوطانهم. فلماذا يستمر المحتلون الأمريكيون في دفع نفس هذه الضرائب الباهظة لانجلترا، وماذا يفعل لهم ملك إنجلترا ما لا يستطيعون هم أن يفعلوه لأنفسهم؟ وهكذا تمرد المستعمرون في عام ١٧٧٥م. في موقعة "ليكسنجتون"، ووقعوا وثيقة الاستقلال عن إنجلترا إعتباراً من العام التالي. وأعلنت فرنسا وأسبانيا تاييدهما لأستقلال أمريكا واستعدادهما للقتال معها وهكذا اشتعلت الثورة الأمريكية.

أصبح "جورج واشنطون" الذي تنحدر جذوره من "نورث هامبتونشاير" والمحتلون المتمردون، هم الأبطال للكثيرين في "بيدنجتون" و"بوليرسبرى" قال عدد كبير من الناس في المنطقة أن "الملك جورج الثالث" صار مجنوناً ولم يعد بوسعه اتخاذ القرارات الصائبة، ولذلك فهم يصلون أن يولى عليهم ملك جديد بدلاً من أن يصلوا لهزيمة "جورج واشنطون" والمتمردين في أمريكا. ونظراً لأن وليم يتابع الأحداث فقد تعاطف مع الأسباب المنطقية للثورة الأمريكية ورأي ان مطالب المستعمرين حق وعادلة. ولشهور طويلة فإن "جون وار" حاول دعوة وليم ليحضر معه اجتماعات كنيسته في "شاكلتون"، ولكنه دائماً ما كان يرفض إلى أن أعلن "الملك جورج الثالث" أن يوم الأربعاء ١٠ فبراير عام ١٧٧٩م. سيكون يوماً

قومياً للصلاة والصوم. فقد كانت الأمور سيئة بالنسبة لإنجلترا في أنحاء عديدة من العالم، بالإضافة إلى المشاكل في المستعمرات الأمريكية. أعلنت فرنسا وأسبانيا الحرب على إنجلترا وتوجهت سفنهم الحربية نحو القنال الإنجليزي في انتظار اللحظة المناسبة لبدء القصف، وفي الهند تعرضت القوات الإنجليزية للهجوم من قبل قوات محلية أحسن إعدادها، وفي جزر الهند الغربية فإن فرنسا تخوض معركة بحرية مع الأسطول الإنجليزي .

أراد وليم أن يشارك في يوم الصلاة لأجل بلاده مثل كل المواطنين الانجليز. ولكنه لم يستطيع الصلاة لأجل هزيمة الثوار في أمريكا نظراً لعدالة قضيتهم بل إنه تمنى لهم الانتصار.

ونظراً لاقتناعه التام بهذه المشاعر رأى أنه لا يستطيع أن يذهب للصلاة في "الكنيسة الإنجليكانية" حيث أصدر الملك أوامره للعابدين بالصلاه لأجل هزيمة المتمردين الأمريكيين. بينما تصلي الكنيسة المستقلة على الجانب الآخر لأجل انتصار الأمريكيين. ولذلك قرر وليم أن يقبل دعوة جون وار للصلاة في الكنيسة المستقلة.

لم يدرك جون كاري أي عالم جديد مزمع أن يدخل هو إليه. كما أنه لم يدرك مدى التأثير الذي سيكون له على هذا العالم في الأعوام القادمة .

الفصل الرابع

الانضمام للمنشقين

لم يكن وليم يعرف تماماً ما ينتظره وهو يدخل من الباب المنخفض المؤدي لقاعة الاجتماع. كان قد سمع أن للمنشقين عادات غريبة، وتعهد بينه وبين نفسه أن يكون حذراً للغاية. ولكن مع توالي وقائع الاجتماع، أحس إحساساً غريباً بأنه في بيته. قدم العديد من الرجال رسائل قصيرة، ووقف آخرون لقراءة أعداد من الكتاب المقدس. لم يكن وليم من قبل مع مجموعة من الناس يؤمنون عن يقين بما يقرأون. قرأ واحد من الرجال في المجموعة، هو مستر "شاتر" من "هاكليتون"، بعض الأعداد من الرسالة إلى العبرانيين الأصحاح (١٣ : ١٣): *" فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره"*.

شعر وليم أن الكلمات موجهة مباشرة إليه. كان قد قضى طوال حياته يذهب إلى الكنيسة الصحيحة، ويقول ما هو صحيح، وكان في المحلة "الصحيحة" المعترف بها. وبالرغم من كل ذلك، لم يشعر بأي قوة لتغيير حياته. بدأ يعتقد أنه ربما كان ينتمي في تلك اللحظات لمن هم خارج المحلة ـ خارج ديانة الدولة وبين المنشقين. كانت فكرة مزعجة

لوليم، ولكنه علم أنها صحيحة. عندما انتهى اجتماع الصلاة، تحدث مع "جون وار" عن القرار الذي اتخذه.

لقد أراد أن يصبح منشقاً!

نال الحماس مبلغه من جون وازدادت المناقشات بينه وبين وليم وهما يصنعان النعال ويحيكانها. ولكنهما لم يصبحا فردين كل في معسكر ولكنهما الآن أصبحا ينتميان إلى فريق واحد وأخذا يتبادلان قراءة الكتاب المقدس بصوت عال، بينما يمارس الزميل الآخر عمله في الطرق على الجلد وخياطة الأحذية.

سارت الأمور هادئة لمدة ٦ شهور إلى أن جاء سبتمبر ١٩٧٩م. حيث توفي السيد "كلارك نيكولز" صاحب العمل فجأة تاركاً كلاً من جون ووليم بلا عمل، وفي ذلك الحين كان جون قد أنهى تدريبه المهني وأصبح بوسعه أن يجد عملاً سريعاً. ولكن الموقف كان مختلفاً بالنسبة لوليم الذي بقيت له سنتان عليه أن يجتازهما كمتدرب وبعد عدة أسابيع من البحث وافق السيد "توماس اولد" من "هاكيلتون" على أن يضم إليه وليم لينهي فترة تدريبه.

انتقل وليم للقرية الجديدة على بعد ميلين حيث ابتدأ يواظب هناك على حضور اجتماعات الكنيسة المستقلة التي يرعاها "مستر بلاكت"، والذي كانت له ثلاث بنات كانت البنت الوسطى تدعى "دولي" رغم أن اسمها الحقيقي "دوروثي" وتزاملت مع وليم كثيراً في

خدمات الكنيسة المستقلة كما أنها كثيراً ما كانت تزور منزل السيد "أولد" صاحب الورشة التي يتدرب بها وليم، إذ أن السيد أولد كان متزوجاً من شقيقتها الكبرى. ورغم أن "دولى" تكبر وليم بست سنوات إلا أنها كانت فتاة خجولة وهادئة الطبع وفي نفس الوقت كانت صاحبة رأي وموقف في كل ما يعرض عليها من أمور وسرعان ما ارتبطا سوياً. وفي عام ١٧٨١م. تم زفافهما بعد أقل من عامين من وصول وليم إلى "هاكلتون". وكان وليم يبلغ الثامنة عشر من عمره وكان من الصعب عليه أن يعول زوجة إذ أنه لم يزل صبياً تحت التدريب.

كانت حفلة الزفاف متواضعة ووقعت "كيتي" الشقيقة الصغرى في سجل الزواج بعلامة (×) بصفتها اشبين العروس تماماً كما وقعت "دولى" بنفس العلامة إذ أن كلا منهما لا تقرأ ولا تكتب ولم يكن هذا غريباً بالنسبة للفتيات في هذه الفترة. ووعد وليم "دولي" بأن يعلمها القراءة والكتابة بعد الزواج.

سارت الأمور طيبة في مراحلها الأولى. وعاش الزوجان في منزل صغير قضى فيه وليم وقت فراغه في العناية بقطعتين من الأرض زرع في الأولى الخضروات وزرع في الثانية الزهور التي أحبها كثيراً.

بعد عام رزق بابنتهما الأولى "آن" والتي أسماها على اسم جدته التي ماتت وهو صغير، والآن جاء شخص ثالث يعتمد على الدخل الضئيل الذي يحصل عليه الرجل من عمله في صناعة الأحذية. وفي عامه

الثاني من الإقامة في "هاكلتون" صار وليم واعظا لبعض الوقت في الكنيسة المستقلة في قرية "ايرلزبارتون" التي تبعد ثمانية أميال عن قريته حيث يقدم عظة كل أسبوعين. ولكن الناس في هذه القرية كانوا فقراء من صانعي الحصائر ولم يكن باستطاعتهم أن يدفعوا حتى ثمن الأحذية التى يستهلكها أثناء ذهابه وعودته إليهم ماشياً.

كما واظب وليم أيضاً على الوعظ في قريته "بولسبري" مرة كل شهر حيث كان يقوم بزيارة منزل أسرته ويتناول الغذاء معهم بعد الخدمة. وكانت أمه تشعر بالفخر عندما يخبرها جيرانها أن ابنها واعظ رائع ولكن أحداً من أفراد العائلة لم يجرؤ على الاستماع إليه بنفسه، إذ لم يكن لائقاً لخادم في كنيسة إنجلترا أو أي واحد يعيش معه أن يرى في الكنيسة المنشقة. إذ أن الثمن هو أن يفقد والد وليم وظيفته لو حضر أي واحد منهم خدمة هناك.

وحتى ذلك الحين لم يكن والدا وليم قد استطاعا أن يقطعا عشر أميال ليتمكنا من زيارته في منزله الجديد "بهاكلتون" وبالتالي لم يدركا مدى العوز الذي كان يعاني منه هو و"دولي"، وغالباً ما كانت وجبة وليم وزوجته تتكون من خبز الشعير والمياه فقط. وعندما بلغت ابنتهما ثمانية شهور وبدأت تنطق بعض الكلمات أصيبت بمرض شديد، وبذل وليم ودولي كل ما في وسعهما لمساعدتها ولكنها سرعان ما توفيت. وفي نفس الوقت أصيب وليم بنفس المرض وظل حبيس الفراش، ولم

يتمكن من حضور جنازة ابنته ووصلت الأنباء إلى أم وليم التي جاءت على عجل لتساعد العائلة المكلومة. وعندما وصلت "اليزابيث كاري" إلى منزل ابنها فجعت بسبب الحالة المزرية التي كان عليها منزل وليم ودولى، فلا عجب أن مرضت الطفلة الرضيعة وماتت وكان ابنها مريضاً حتى قارب الموت من جراء الحياة في مثل هذا الجو. فالكوخ كان رطباً جداً لدرجة أن صفحات كتب وليم كانت كلها مبللة، والمنزل لا يحتوي على طعام ولا توجد به أغطية لتحمي من به من التجمد في الليالي الباردة كالثلج.

بدأت السيدة كاري في العمل في محاولة لتنظيف الحوائط البالية وفي إعداد وجبة من الحساء الساخن لابنها المريض ولزوجته وبينما هى تعمل كانت دولي جالسة بجوار سرير وليم غير مصدقة لما حدث وهل قدّر لها أن تفقد ابنتها الوليدة وزوجها في نفس الوقت؟

ومع العناية المركزة لوالدة وليم ابتدأ وليم يستعيد عافيته ببطء ولكن ليس تماماً، فقد ظل طوال حياته يصاب بالكحة وبنزلات البرد بسهولة، وكثيراً ما كانت تصيبه حساسية بالصدر خاصة في الجو البارد والرطب، ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب، فبعد قيامه من فراش المرض وجد أن شعر رأسه قد سقط وصار أصلع تماماً ولم يتبق في رأسه سوى القليل من الشعر حول اذنيه، وظل ينتظر أن ينمو الشعر في بقية رأسه ولكن بلا جدوى. وأخيراً استسلم للأمر الواقع وأشترى شعراً مستعاراً رخيص الثمن من أحد صانعي الشعر المستعار. وانتاب وليم حرج شديد

وهو يرى نفسه أصلع فى سن الثالثة والعشرين، وبصفة خاصة عندما كان يدعى للوعظ في مكان جديد.

ورغم ان وليم أصيب بالصلع وصار صدره ضعيفاً كنتيجة لهذا المرض إلا أن دولي أصيبت بما هو أسوأ من ذلك. إذ أنها بعد أن فقدت ابنتها الوليدة أصابها حزن شديد وصُدمت. صحيح أنها قد عادت مرة أخرى لأعمال الطبخ والتنظيف لكن شيئاً ما فقدَ داخلها. لقد فقدت بريق عينيها.

استغرق الأمر عدة أسابيع حتى تمكن وليم من العودة ثانية لممارسة عمله طوال الوقت، ولولا هذا العمل ما كانت عائلته تجد نقوداً لشراء الطعام. ولقد أرسل توم شقيق وليم الأصغر في كرم شديد كمية من النقود لمساعدة شقيقه مما ادخره من دخله المتواضع. ولقد حفظت هذه النقود وليم ودولي من الجوع. وعندما عادت السيدة كاري إلى "بولسبري" وشرحت الموقف للأصدقاء والجيران تكاتف العديد منهم وجمعوا نقوداً وأرسلوها لوليم ليتمكن من شراء منزل جديد في "بدنجتون". وكان المنزل الجديد يقع في مستوى أعلى من القديم، وبالتالي فهو أقل رطوبة. ولقد سعدت "دولى" بالرحيل، فلقد كان كل ما في المنزل القديم يذكرها بالطفلة التي دفنتها. وامتلأ وليم بالأمل في أن يكون المنزل الجديد بداية لمرحلة جديدة في حياة كل منهما. ولكن للأسف وحتى بعد الانتقال، فإن دولى لم

تستطع أن تتخلص من فكرة موت ابنتها والتي ظلت تطاردها ليلاً ونهاراً.

ظل وليم على حالة مثابراً فى دراسة اللاتينية واليونانية، قارئاً لكل ما يستطيع قراءته من كتب، وضمن الكتب المفيدة التى قرأها ذلك الكتاب الذى عنوانه "العون إلى المسافرين إلى صهيون: محاولة لازالة أحجار العثرة من الطريق فى أمور التعليم والتجارب والديانة العملية" (كانت الكتب ذات العناوين الطويلة هى الكتب الرائجة فى ذلك الحين). عندما قرأ هذا الكتاب وأعاد قراءته، اقتنع وليم أنه يجب عليه أن يعتمد كرجل بالغ. صحيح أنه قد مارس المعمودية وهو طفل صغير فى كنيسة القديس جيمس، ولكنه أراد المعمودية كقرار إرادى له كرجل بالغ وليس بناء على اختيار والديه له وهو طفل صغير. وفى الخامس من أكتوبر ١٧٨٣م. تم عماد وليم فى "نهر نين" فى "نورث امبتون شاير". لقد كان صباحاً منعشاً عندما قام "القس جون ريلاند" بعماد وليم كارى وكتب فى يومياته.

"تم اليوم تعميد صانع أحذية بسيط وفقير" ولم يدرك هذا الراعى أنه قام بعماد رجل سيصبح فيما بعد واحداً من أعظم المرسلين الذين عرفهم العالم.

بعد ثلاثة شهور من المعمودية أصابت وليم كارى صدمة جديدة إذ توفى "السيد توماس أولد" صاحب العمل وزوج شقيقة زوجته

وانـتقل عـبء إدارة العمـل وعبء رعاية الأرملة وأولادها الأربعة إلى وليم. صحيح أن ولـيم لم يكـن مجـبراً عـلى ذلـك، ولكـن القلـب الطيب الذى يحملـه هـو الذى دفعه لتحمل هذه المسئولية. صحيح أن حياة وليم كانت سلسـلة مـن الكفـاح حـتى تلـك اللحظة، ولكـنها الآن دخلـت فـى إطار المستحيل. فلقد خسرت إنجلترا الحرب ضد الثورة الأمريكية وعانى كل مـن كـان في إنجلـترا مالياً من جراء ذلك. لم يكن الوقت مناسباً لبدء عمل جديـد، خاصـة بالنسبة لشـخص محدود الخبرة فى عمله مثل وليم. فقد أصبح علـيه الآن وهـو فى الثالثة والعشرين أن يحقق دخلاً يكفى الأرملة وأولادهـا الأربعـة و"دولى". وفوق ذلك كان عليه أن يدرس الكتاب المقدس ويقدم العظات ويكافح مع الكنائس المنشقة المكافحة، وهو حمل عبئاً ثقيل ينوء تحت ثقله الكثير من الرجال، ولكن وليم لم يكن كذلك.

لقـد كـان شـتاء عـام ١٧٨٤م. قارساً لدرجة لم تعرفها إنجلترا من قبل. فقد تراكم الثلج فى الطرقات بكثافة لمدة تسعة أسابيع وكاد وليم أن يـتجمد مـن شدة البرد وهو يمارس عمله ويقوم بتوصيل انتاجه لعملائه وبطـريقة أو أخـرى مـر هـذا الشـتاء القاسى وجاء الشتاء التالى أقل قسوة. وظـل ولـيم عـلى كفاحه يعمل ويدرس ويحاول أن يجلب السرور إلى قلب "دولى" عبر عالم متى أو كيف يمكن أن تتحسن الظروف من حوله.

وأخيراً فى عام ١٧٨٥ وبعد عام تقريباً من وفاة عديله "توماس أولـد" بـدأت الظـروف المحـيطة بولـيم تتغير. فقد تزوجت شقيقة زوجته

مخففة عنه حمل كفالتها وكفالة أولادها، وبعد ذلك دعته كنيسة معمدانية صغيرة في "مولتون" التي تبعد تسعة أميال شمالاً، ليكون واعظها، ولم يكن بوسع هذه الكنيسة أن تدفع مرتباً كبيراً لوليم سوى ـ خمسة عشر جنيهاً فقط في العام، بالإضافة لمنزل آيل للسقوط كمكان للسكن. الدخل المادي لن يكون أفضل عما كان يتقاضاه وهو يصنع الأحذية، ولكن التغيير في الوظيفة كان في حد ذاته خطوة في الاتجاه الذي كان يرغب وليم في أن يسلكه. بالإضافة إلى أن هذا العمل سيمنحه الوقت اللازم لدراسة الكتاب المقدس ولتعلم اللغات بدون أية عوائق.

وبكل الحماس المصاحب للراعي الجديد ابتدأ وليم إعادة بناء شعب الكنيسة الذي تضاءل حجمه جداً منذ رحيل الراعي السابق منذ عشرة سنوات مضت، ونظراً لأن المدرسة أيضاً لم يكن بها ناظر، ابتدأ وليم التدريس بها مما أضاف دخلاً جديداً للأسرة. ورغم أن وليم قد استمتع بالتدريس للأطفال فإنه وجد صعوبة بالغة في أن يكون ناظر المدرسة، فلم يكن حازماً بالقدر الكافي، وغالباً ما كان يبتسم عندما يواجه بشقاوة الأطفال بدلاً من أن يعقابهم كما هو متوقع منه. وكانت أفضل المواد التي يحب وليم تدريسها هي الجغرافيا. وبذل الرجل قصارى جهده ليشد انتباه التلاميذ إلى العالم الموجود عبر حدود إنجلترا. وكان هذا الهدف صعباً فلم يتح لأي من هؤلاء الأولاد أكثر من ركوب عربة تجرها الجياد لعدة أميال بعيداً عن منازلهم. وفي محاولة لجذب اهتمامهم

رسم وليم خريطة كبيرة للعالم عن طريق لصق العديد من الأوراق إلى جانب بعضها البعض. وابتدأ في المهمة الشاقة في محاولة رسم قارات العالم على هذه الأوراق. وحتى يساعد الأولاد فإنه استخدم كتاباً عن اكتشافات "جيمس كوك". وكان "كوك" بجوار كل قارة وجزيرة رسمها في خريطته، كتب وليم مذكرات عما كان معروفاً عنها. فبجوار ما يعرف الآن باسم استراليا كتب:

"هولندا الجديدة، ١٢ مليون وثني". وبجوار جزيرة القيامة كتب: "الناس لصوص. تماثيل كبيرة. لا خشب. يزرع الموز والبطاطا والبطاطس وقصب السكر". وبجوار الصين كتب: "الصينيون متوسطو الحجم، لهم وجوه عريضة، وعيونهم سوداء وصغيرة، أنوفهم فطساء، ولهم وجنات مرتفعة، وشفاه غليظة. يرتدي الأباطرة والأمراء اللون الأصفر. يرتدي الحكام اللون الأسود، وبعضهم يرتدي اللون الأحمر. يرتدي عامة الناس اللون الأزرق. اللون الأبيض هو لون الحداد". وبجوار الهند سجل: "اندوستان (اندونيسيا). يزرع الأرز، والرمان والبرتقال....الخ. أشجار التين البنغالي والبطاطا والفجل. ٨ مليون هندي وثنيون، يقظون، قساة، مقاتلون." قد قتل منذ ستة أعوام في جزر هاواي. كان قد قام بثلاث رحلات بحرية في المحيط "الباسفيكي" قبل مقتله. وخلال هذه الرحلات استطاع أن يرسم خرائط لجزر جديدة وسواحل من القارة القطبية الجنوبية إلى "الاسكا".

إلا أن وليم كاري تأثر بدروس الجغرافيا أكثر من تلاميذه. وفي بعض الأحيان عندما يشير إلى الخريطة فإنه كان يتوقف ويأخذ نفسا عميقاً قبل أن يسترسل في الحديث فلقد أراد وبشغف أن يحمل رسالة الإنجيل وأن يشارك بها هذه السلالات المختلفة وهذه الأجناس المتنوعة ورغم أن معالم خريطة وليم كاري لم تكن شديدة الوضوح إلا أنها كانت كافية لأن تسلبه النوم ليالي كثيرة وتؤرقه عندما تراوده فكرة كيف تكون الحياة لو عاش المرء في مكان لا يعرف اسم الرب يسوع المسيح مطلقاً. لم يستمر عمل وليم كاري كمدرس لفترة طويلة فلقد عاد ناظر المدرسة القديم إلى "مولتون" وبين عشية وضحاها انسحب التلاميذ من عنده وأعادوا تسجيل أنفسهم في مدرسة الناظر القديم. وانخفض دخل وليم بدرجة ملحوظة، لم يعد بعدها قادراً على مجابهة نفقات الحياة لزوجته ولابنه الجديد "فليكس"، وعاد وليم مرة أخرى إلى حرفته القديمة وهي صناعة الأحذية. ولكنه لم يؤسس عملاً لنفسه في هذه المرة ولكنه التحق للعمل كموظف لدى السيد "جوتش" مورد الأحذية للجيش الملكي وللأسطول. ومعنى هذا أنه كان عليه أن يسافر مسافة أحد عشر ميلاً ثم يعود أسبوعياً ليسلم الأحذية التي صنعها طوال الأسبوع ويعود بكمية من الجلود ليصنع غيرها في الأسبوع التالي. أما الأجر الذي يتقاضاه بعد كل هذا العناء فهو خمسة شلنات أسبوعياً إذا أضيفت للأجر الذي يتقضاه من عمله كراعي للكنيسة المعمدانية فإنه يكفي بالكاد لرعاية شئون عائلته. وحتى ذلك

الحين لم يكن وليم قد رسم رسمياً كخادم الكنيسة المعمدانية. وحثته الجماعة التي يخدم بينها على إتمام هذه الرسامة وبعد أن اجتاز عدة مقابلات وقام ببعض العظات أمام العديد من كبار الرعاة المعمدانيين في ذلك الوقت أصبح وليم كاري خادماً معمدانياً مرتسماً في ٣ مايو ١٧٨٧ وكان قد بلغ ستة وعشرين عاماً.

قام بإتمام الرسامة ثلاثة رعاة: "جون سوتكلف"، و"جون ريلاند" (الذي قام بمعموديته)، و"اندرو فولر". وكانت هذه هي المرة الأولى التي تقابل فيها هؤلاء الرجال مع وليم ولكنها لم تكن الأخيرة فقد ارتبطوا جميعاً وظلوا كذلك بقية حياتهم.

وواحدة من مزايا الرسامة هي أنه أصبح من حق وليم كاري أن يحضر الاجتماعات العمومية لخدام الكنيسة المعمدانية في "نورث امبيتون" حيث أتيح له أن يستمع إلى وجهات نظر الخدام الآخرين الأكثر تجربة والأكثر تعليماً.

وفي المرات الأولى لهذه الاجتماعات كان وليم خجولاً للدرجة التي لم يكن يستطيع أن يتكلم فيها ولكنه لم يستطيع أن يظل بعيداً عن هذه المناقشات الحية لفترة طويلة وسرعان ما اكتشف أن لديه وجهات نظر تختلف إلى درجة كبيرة عن وجهات نظر بعض كبار الخدام واكتشف أنهم لا يريدون لخادم مبتدئ أن يتحداهم.

الفصل الخامس

متحمس بائس

جلس وليم متوتراً يستجمع شتات أفكاره في فترة الراحة أثناء اجتماع للخدام فلقد ذكر خادم عجوز "القس ريلاند" أبو جون صديق وليم، أنه ربما كان لأحد الأعضاء صغار السن بعض الموضوعات التي يود مناقشتها. اتجهت كل الأنظار نحو وليم الذي كان يعلم ما يود أن يقوله ولكنه لم يكن يعلم كيف يقوله بالطريقة الصحيحة.

فكلما قرأ وليم الكتاب المقدس كلما ازداد اقتناعه بأن الرب ينتظر من المؤمنين أن يتحدثوا ببشارة الإنجيل إلى الآخرين حتى لأولئك الذين يعيشون على الجانب الأخر من المحيط في العالم الجديد.

وهذا معناه أن الكنائس في إنجلترا ملزمة بأن ترسل مرسلين إلى هذه الأراضي المكتشفة حديثاً.

لم يكن هذا الفكر مطروقا في عام ١٧٨٧م. فمعظم الخدام كانوا على قناعة بأن يسوع عهد بمهمة توصيل رسالة الإنجيل إلى تلاميذه الإثنى عشر، وأنه بوفاتهم تكون الرسالة قد انتهت أيضاً، وليس مطلوباً من أحد أن يبشر الآخرين لاسيما في الأماكن الخطرة والبعيدة، بل لقد ذهب بعضهم إلى حد أنهم قالوا أنه لو أراد الرب لهؤلاء الوثنيين عبر

البحار أن يسمعوا بشارة الإنجيل لقام هو بنفسه بتوصيل الرسالة إليهم دون الحاجة إلى بشر أليس هو الرب كلي القدرة؟

وجه "القس ريلاند" كلامه إلى "القس كارى" قائلاً: "هل لديك موضوع للمناقشة يا جناب الراعي؟". فأجاب وليم وهو يضبط وضع شعره المستعار محاولاً ترتيب أفكاره: "نعم ياسيدى. فأنا أريد مناقشة فكرة ان أمر الرب تلاميذه أن يكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها وإلى أقصي الأرض لم يكن قاصراً على التلاميذ الأحياء في ذلك الوقت فحسب بل امتد لكل الذين يؤمنون به من ذلك الوقت فصاعداً".

وهنا رمق "القس ريلاند" وليم بنظرة غاضبة وصاح بصوت جهوري: " أمامنا الآن مثال لشخص لا يعرف خطة الله ولا تدبيراته" وأردف مؤكداً: "إن الله كلي القدرة لا يحتاج إلى بشر ليتحدثوا بدلاً منه فهو سيصل بالرسالة إلى الوثنيين بطريقته الخاصة عندما يرى أن ذلك مناسب". ثم حدق في وليم وأشار إليه بإصبعه لإحداث تأثير أكبر قبل أن يقول: "وأنت أيها الشاب متحمس بائس نظراً لاقتراحاتك المخالفة لذلك."

هنا أقفل باب المناقشة وجلس وليم يفكر فيما قيل. هل كان بالفعل متحمساً في تهور مقحماً نفسه فيما لا يعرفه؟ وهل "القس ريلاند" على صواب؟ وهل عليه أن يتوقف عن هدفه بتوصيل رسالة الإنجيل للوثنيين؟ قرر أن يعطي الأمر حقه من البحث والتفكير الجاد.

كانـت ملاحظـات "القـس ريلاند" كفيلة بأن تجعله يكف عن الـتفكير في دور المؤمـن في التبشـير للعالم إلا إنها على العكس من ذلك فقد شـجعته. فكـلما فكـر ولـيم في الـنقاش الـذي انـتهي لتوه كلما درس الأمر بصورة أعمق ليكتشف أين الصواب.

وكـان يسـجل ملاحظاتـه عـن هـذه الدراسـة. ولم يمض وقت طويـل حـتى تحولـت هـذه الملاحظـات إلى مقالة سرعان ما كبرت لتصبح مسودة لكتاب.

وجد وليم مزيداً من الوقت لإعداد كتابه عن طريق غير متوقع. فلقـد كـان السـيد "جوتـش" الـذي تعـاقد معـه عـلى أن يصـنع الأحذيـة لحسابه، عضواً في كنسية القس "اندرو فولر" في "كيترنج".

أخـبر القـس "فولـر" السـيد "جوتـش" أن القـس الشـاب وليم كـارى ينـتظره مسـتقبل واعـد في مجـال الـرعاية والخدمـة وشـعر السـيد "جوتـش" أن صـانع الأحذية الذي يعمل لديه إنما يضيع وقته ومواهبه في صناعة الأحذية ولذلك قرر أن يكتب خطاباً لوليم كارى قال فيه:

"أنـا لا أريد منك أن تتلف المزيد من الجلود، ولكن يمكنك أن تـتقدم بأكـثر سـرعة في دراسـة للغـات اللاتينية واليونانية والعبرية، وأنا بدورى سأقدم لك من مالي الخاص عشرة شلنات أسبوعياً."

ويالهـا مـن مفاجـأة تلك التي كانت تنتظر وليم عندما قرأ هذا الخطـاب فالسـيد "جوتـش" سيمنحه نفس الدخل الذي كان يحصل عليه

من جراء عمله في صناعة الأحذية، ولكن شكراً لله فالأن سيحصل على نفس ما كان يدخل جيبه. ولكن هذا المال سيأتيه نتيجة لدراسته ليصبح راعياً أفضل. دأب وليم علي القراءة والكتابة وتعلم العبرية والألمانية إضافة إلى اللاتينية واليونانية. ولم يكن في إمكانه أن يكون أكثر سعادة من هذا.

مضت الأمور في منز له بطريقة حسنة أيضاً. فلقد أصبح "لفليكس" الآن اخوان "وليم الصغير" و"بيتر" الذي سماه على اسم عمه العزيز. كما ان "دولي" كانت في حالة طيبة معظم الوقت رغم أنها أحياناً كانت تجلس محدقة في الحائط بلا هدف. كما أنها كانت كثيرة البكاء ولم تكن تعطي أبناءها أحياناً الرعاية اللازمة. وبالطبع كان ذلك مقلقاً لوليم إلا انه لم يكن بوسعه أن يفعل شيئاً.

ماتت أمه في عام ١٧٨٧م. قبل أن يولد وليم الصغير بعام وبالتالي فلم يعد للرجل من يلجأ إليه طلبا للمساعدة. ورغم إنه احتفظ بمسودات كتابه في حقيبة جلدية في مكان آمن تحت السرير فلم يكن بوسعه أن يتكفل بنفقات طباعته، فطباعة مثل هذا الكتاب تتطلب عشرة جنيهات أي سُبع دخله السنوي وليس بمقدوره أن يدخر مثل هذا المبلغ. إضافة إلى أنه لم يكن على ثقة من أن أحداً يمكن أن يشترى نسخة من هذا الكتاب لو قدر له أن ينشر. وشهد عام ١٧٨٩م. تغييراً آخر في حياة وليم فلقد دعى لأن يصبح راعياً لكنسية معمدانية أكبر قليلاً إلا أن مشاكلها كانت أكبر وكانت الكنيسة في "ليستر".

قَبل وليم الدعوة لرعاية الكنيسة رغم أن ذلك كان يعني أن يسكن في أصغر كوخ عاش فيه مع أطفاله الأشقياء الثلاثة وزوجته التي كانت تنتظر طفلاً جديداً. كان أجر وليم في الكنيسة الجديدة مساوياً للأجر القليل الذى كان يتقاضاه من كنيسته القديمة في "ملتون".

ومع زيادة متطلبات عائلته وجد وليم نفسه مضطراً مرة أخرى لأن يفكر في وسيلة جديدة لزيادة دخله. ولذلك قرر إعادة محاولة التدريس مرة أخرى. ورغم أن هذه المهنة لم تكن محببة إلى قلبه وأنه لم تكن هناك مدرسة في "ليستر" إلا انه شعر بأنه قادر أن يبدأ هذا العمل ويجمع من حوله العدد الكافي من التلاميذ حتى يكون الدخل مجزياً.

المهمة الجديدة جعلته بالطبع مشغولاً أكثر من ذى قبل. فقد كان يزاول عمله في المدرسة من التاسعة صباحاً حتى الخامسة بعد الظهر، وحتي يعطي واجباته حقها فقد وضع لنفسه جدولاً صارماً لا يحيد عنه في كل الأمسيات وكان الجدول علي النحو التالي:

مساء الاثنين: دراسة اللغات الاجنبية وممارسة بعض الترجمة.

مساء الثلاثاء: دراسة العلوم والتاريخ واستيعاب بعض الترجمة.

مساء الأربعاء: الوعظ في الكنيسة.

مساء الخميس: زيارة الأصدقاء وأعضاء الكنيسة.

مساء الجمعة وطوال يوم السبت: الإعداد للعظة.

الأحد: الخدمة والعظة في الكنيسة.

وبالإضافة إلى هذا أضيفت إلى مسئوليات وليم مسئوليات جديدة، كسكرتير لجنة الكنائس المستقلة في المقاطعة بما يعنيه هذا من الوعظ في الكنائس المجاورة وحضور اجتماعات الخدام والخلاصة أن وليم كارى صار مشغولاً جداً.

وكان الوليد الجديد بنتاً اسمها "لوسي"، وأحياناً كان وليم يشعر بالحزن عندما يحملها ويتأمل في وجهها فلقد كانت تذكره "بآن" ابنته الأولى التي ماتت ومن الموجع أن لوسى هي الأخرى مرضت وماتت عندما بلغت ثمانية شهور تماماً كشقيقتها الراحلة.

حزن وليم كثيراً لوفاتها إلا أن "دولي" غرقت أكثر في مستنقع الكآبة واستغرق الأمر عدة أسابيع قبل أن تتأقلم ثانية مع أعمالها المنزلية. ولحسن الحظ فقد هبت "كيتي" الشقيقة الصغرى "لدولي" لمعاونة وليم والأبناء أثناء هذه المحنة.

وبالرغم من المأساة العائلية والجدول المزدحم لحد الانهاك لوليم، إلا أنه لم يكف عن التفكير في كيفية توصيل بشارة الإنجيل للوثنيين في البلاد البعيدة وظل يعمل على تطوير مسودات كتابه إلى أن فرغ منه في النهاية بل وأصبح له عنوان هو "بحث في كيفية التزام المؤمنين باستخدام الوسائل المختلفة لتجديد الوثنيين في مختلف دول

العالم ومدى نجاح الطرق السابقة، مع التأمل في تطبيق طرق عملية جديدة". وهو عنوان طويل جداً حتى بمقاييس ذلك الزمان حيث كانت العناوين الطويلة تمثل العرف السائد. وعندما نُشر الكتاب فان معظم الناس اسموا الكتاب "البحث" فحسب.

احتوى الكتاب علي خمسة فصول تناول الفصل الأول التساؤل عما إذا كان المؤمنون في إنجلترا ملتزمين وتقع عليهم مسئولية الكرازة.

وغطى الفصل الثاني كل العمل المرسلي الذي بدأ منذ أيام المسيح. واستلزم هذا الفصل الكثير من الأبحاث وتناول جانباً من تاريخ العالم. واحتوى الفصل الثالث مسحاً شاملاً لكل ما يعرفه الشعب الانجليزى عن بقية العالم. ولقد صرف وليم ساعات طويلة يصنف ثلاثة وعشرين جدولاً عن البلاد المختلفة.

يوضح كل جدول اسم البلد أو الجزيرة، وطولها وعرضها وتعداد السكان التقديرى إضافة إلى عاداتها. ولقد بدأ وليم الدراسة الأولية لهذا البحث منذ ثماني سنوات عندما رسم خريطة العالم لتلاميذ المدرسة في "مولتون"، وبمرور الوقت تمكن من إنهاء بحثه وربما كانت معلومات وليم كارى عن جغرافية العالم أكثر غزارة من أي شخص آخر في انجلترا في ذلك الحين. والواقع أن هذا الكتاب قد احتوى بين دفتيه معلومات عن التاريخ والجغرافيا أكثر مما احتواه أي كتاب آخر سبق كتابته.

وتحدث الفصل الرابع عن الوسائل التي يمكن أن يتبعها المسيحيون لكي يعظوا بالانجيل. ولقد شرح بعض المخاطر والصعوبات التي قد يقابلها المرسل وأوضح أفضل السبل للسفر للأماكن البعيدة وكيفية تجنب محاولات الوثنيين قتل المرسل فور وصوله.

كما شرح أيضاً أنواع المأكولات الآمنة وكيفية البحث عن مكان للمعيشة. وأسرع طريقه لتعلم اللغات المحلية. ولقد قرأ وليم العديد من الكتب في سبيل إعداد هذا الفصل رغم أنه هو نفسه كان صاحب خبرة عظيمة يستطيع تقديمها في كيفية تعلم لغة أجنبية.

وتحدث الفصل الخامس والأخير عن كيفية تدبير الأموال اللازمة للذهاب كمرسل إلى بلد آخر.

ونظراً لأن "البحث" كان أفضل كتاب كتب في مجاله، فلقد أراد وليم كارى له أن يطبع، ولكن السؤال كان هو كيف؟

وفي عام ١٧٩١م. وأثناء حضور وليم لمؤتمر للخدام في مدينة برمنجهام حيث تم تقديمه إلى شاب اسمه توم بوتس سبق له زيارة أمريكا، وأراد وليم أن يسمع منه عن تفاصيل رحلته وبصفة خاصة عن الوصف الرهيب لما رآه توم عن تجارة العبيد هناك. وسرعان ما تجاذبا أطراف الحديث في كافة مناحي الحياة وابتدأ وليم الحديث عن حاجة العالم إلى مرسلين.

وهنا قال له توم بعد أن استمع إلى قوة منطقه بشأن احتياج العالم البعيد لسماع كلمة البشارة: "لابد لك أن تكتب هذا لأنه يجب أن يعرف كل مؤمن قوة المنطق الذى تتحدث به كما شرحته لي تماماً."

وأجابه وليم في خجل قائلاً: "الواقع أن كل هذا قد كتب فعلاً." فرد توم في شغف: "أرجوك. أخبرني من أين أستطيع شراء نسخة من هذا الكتاب." وهنا أخبره وليم أن الكتاب لم ينشر للعجز عن مجابهة تكاليف الطباعة والتوزيع.

وصاح "توم بونس": "يجب أن تعلن هذه الرسالة. وأنا أحسبه شرفاً عظيماً لي بأن أتكفل بنفسي جميع مصاريف نشر هذا الكتاب."

وكان الرجل صادقاً في كلمته ودفع بالفعل تكاليف طباعة كتاب "البحث" وصدرت الطبعة الأولى منه في ١٢ مايو ١٧٩٢. وبيعت النسخة الواحدة منه بشلن وستة بنسات.

تم تكليف وليم بإلقاء حديث في اجتماع للخدام المعمدانيين بعد ثلاثة أسابيع من نشر الكتاب. وكعادته تحدث إليهم عن حاجة العالم إلى الإرساليات والمرسلين. ولكن الأمر اختلف هذه المرة. فلقد كان الكثيرون منهم قد قرأوا الكتاب بالفعل وبدأوا في استيعاب ما كان يخبرهم وليم به منذ زمن بعيد. وختم وليم كارى حديثه بعبارتين ظلتا مدويتين لقرن من الزمان بعد وفاته " **توقع أشياء عظيمة من الرب وأعمل أشياء عظيمة للرب**".

أخـيراً اقتـنع العديـد من زملاء وليم كارى الخدام أنه قد حان الوقت لأن يفعلوا شيئاً لأجل الرب. وفي ٢ أكتوبر ١٧٩٢ اجتمع اثنا عشر خادماً ليضـعوا خطـة لتنفـيذ ذلـك. وبـين هـؤلاء كنـت تستطيع أن ترى أصدقاء وليم: "جون ريلاند"، و"اندرو فولر"، و"جون سانكليف"، وكلهم رعـاة لكـنائس صـغيرة أعضـاؤها مـن الفلاحـين والعمـال والفقـراء. وبعض الـرعاة كـان يحصـل على أموال كافية للعناية بعائلاتهم ومواجـهة نفقاتهم اليومـية مـن واجـباتهم الـرعوية. وكـان على البعض الآخر أن يبحث عن عمـل إضـافي مـثل وليم لمجابهة متطلبات الحياة. إلا أنهم جميعاً أجمعوا عـلى أنه يجب عمل شئ ما لتحقيق هدفهم وإنشاء الإرساليات ولكن ماهو هـذا الشـئ؟ وفي الـنهاية اتفقـوا علـي إنشـاء جمعـية أسموهـا " الجمعـية المعمدانية الخاصة لنشر الإنجيل".

وعـد كـل واحد من المجتمعين أن يعطي لهذه الجمعية كل ما يستطيع تقديمه من أموال. وعندما جمعوا كل العطايا وجدوا أن مجموعها ثلاثـة عشـر جنـيهاً، وتبرع وليم بتقديم كل ما يأتي به الكتاب. فبالنسبة له شعر أن شيئاً ما أعظم من المال قد تحقق في هذا الاجتماع. فأخيراً وبعد أن وعـظ كـثيراً عـن الاحتـياج للإرسـاليات اسـتطاع الكتاب الذى ألفه أن يقنع هـذه المجموعـة مـن الـرجال أن يـأخذوا هـذه الدعـوة مأخذ الجد. وانتظر وليم في شغف لأن يرى ما سوف يحدث بعد ذلك.

وثـارت تسـاؤلات كـثيرة في الاجـتماع الـرسمي الأول للجمعية المعمدانـية الخاصـة لنشـر الإنجيل. ما هي المؤهلات التي يجب أن يتمتع بهـا المرسـل؟ وهـل يعرف أحد شخصا مؤهلاً لأن يكون مرسلا ويرغب في أن يوفـد كمرسـل؟ مـا هـي الأمـاكن المناسبة لإرسال مرسلين إليها؟ وماذا يجـب عـلى المرسـل أن يفعـل بعد أن يصل إلى وجهته؟ وهل يجب على المرسل أن يبحث عن عمل في المكان الجديد؟ وهل يجب عليه أن يصحب معـه عائلته. وهل يجب عليه أن يعود إلى إنجلترا ليكتب تقريراً عن تقدم العمـل؟ ولم تكـن هـناك أيـة إرسـالية سـابقة في إنجلـترا وبالتالي لم يكن هناك نموذج يمكن أن يحتذى به.

غـني عـن البيان أن هناك العديد من الأمور كان يجب أن يتم تمحيصـها بدقـة قـبل أن يـتم إيفـاد أول مرسـل. وبمرور الوقت في دراسة التفاصـيل الدقـيقة للعمـل بـين الخـدام المجتمعين أثير سؤال لم ينطق به أحد، ألا وهو من سيكون المرسل الأول؟

الفصل السادس

سأذهب

قلّب وليم كاري المظروف بين يديه والدهشة تعتريه وهو ينظر إلى الخط المنمق المكتوب على الخطاب الذي وصله لتوه والذي كان يحمل ختم بريد لندن. وكان اسم المرسل دكتور "جون توماس". أخذ وليم يفكر وهو يفتح الخطاب عن الغلافة يمكن أن تربطه بأى شخص فى لندن. فهو لم يذهب إلى هناك قط ولا يتوقع أن يكون هناك من يعرفه فى تلك المدينة. أخذ وليم الخطاب بين يديه وأخذ يقرأ، وكلما أمعن فى القراءة زادت درجة إثارته. فإن د.توماس عائد لتوه من إقليم "البنغال" فى الهند. بعد أن قضى هناك أربع سنوات. فقد ذهب إلى هناك فى البداية كطبيب لباخرة تابعة لشركة شرق الهند. وآمن بالرب يسوع أثناء وجوده فى "كلكتا"، وسرعان ما تأثر بقوة باحتياج الهنود المقيم بينهم إلى كل من الرعاية الروحية والطبية، فقرر أن يترك عمله على السفينة ويقيم بين الناس هناك ويعمل بينهم. ولقد تعرف على بعض الأصدقاء من الانجليز المسيحيين هناك والذين أعطوه الدعم المادى اللازم لإتمام رسالته، ولكن المال نفذ فعاد إلى إنجلترا ليحصل على مزيد من الدعم المادي ليتمكن من

العودة مرة أخرى إلى "البنغال" ولقد أخبره أحد أصدقائه عن وليم كارى وعن جمعية المرسلين الجديدة.

"ترى هل أرسل الرب لهم المرسل الأول بهذه السرعة؟" تساءل وليم بعد قراءة الرسالة، ولم يطق صبراً لحين مجيء موعد الاجتماع التالى للجنة جمعية المرسلين ليخبر أعضاءها بما لديه من أخبار.

انبهر أعضاء الجمعية بهذه الأخبار تماماً كما حدث لوليم. كلف "اندرو فولر" بالكتابة إلى د.توماس ليدعوه لحضور اجتماع الجمعية القادم فى "كترنج" والذى كان سيعقد فى ١٠ يناير ١٧٩٣.

ورغم أنه قبل الدعوة إلا أنه وصل متأخراً وابتدأ الاجتماع بدونه. وقبل نهاية الاجتماع سمعوا طرقاً على الباب واندفع وليم لفتحه، إذ أراد أن يكون أول من يرحب بمرسل حقيقي. صافح د.توماس بحرارة ولاحظ أنه يكبره بحوالى خمس سنوات ويفوقه طولاً بحوالى ست بوصات.

وفى خلال دقائق معدودات شعر كل من وليم ود.توماس أنهما صديقان قديمان. فلقد كان د. توماس متعاطفاً ومتحمساً لتوصيل رسالة الإنجيل للوثنيين تماماً مثل وليم. ومضت تلك الأمسية بسرعة.

أما وليم الذى كتب أطول وأقيم كتاب في ذلك الزمان عن الإرساليات، كان لديه العديد من الاسئلة ليوجهها لهذا المرسل الحقيقى. كم تبلغ نفقات إعاشة أسرة فى الهند؟ وهل يتحدث د. توماس اللغة البنغالية؟ وهل يتوفر لديه أى مادة مكتوبة بهذه اللغة ليتعرف على

شكلها؟ وكم تبلغ نسبة الهنود الذين يعرفون الانجليزية؟ وما هى المطبوعات الانجليزية التى تمت ترجمتها إلى لغتهم الوطنية؟ وكم تبلغ تكلفة إقامة منزل متواضع من القش والطين فى الهند؟ وتداعت الاسئلة واحدا بعد الآخر ومع كل إجابة يتلقاها، تزداد درجة إثارته ويزداد خياله توقداً.

وأخيراً أخرج د.توماس خطاباً من جيبه وقرأ جزءاً منه، وكان مكتوباً من قبل ثلاثة من وجهاء البراهمة الذين خدم بينهم والذين كتبوا قائلين: "تعاطفوا معنا وأرسلوا لنا من يعظنا ومن يقوم بالترجمة". كاد قلب وليم أن ينفجر فى صدره وهو يستمع إلى هذه الكلمات، فهو يعرف أن الرب قد منحه موهبة استيعاب اللغات بسرعة، وها هو يرى قوماً من الوثنيين يلتمسون شخصاً يترجم لهم الكتاب المقدس، وفى هذه اللحظة أدرك وليم كارى أنه ينبغى أن يذهب إلى الهند.

بعد أن أعاد د.توماس الخطاب إلى جيبه، أضاف وقد ارتفع صوته من الانفعال "إن المواطن الانجليزى لن يجد صعوبة فى العثور على عمل فى خلال ثلاثة شهور من وصوله، ويستطيع أن يحصل على دخل يكفيه ويكفى عائلته ويتبقى لديه المزيد ليستطيع أن يصرف على الخدمة والوعظ. وهذا بالضبط ما تاق وليم لأن يسمعه. وفى كتابه"البحث" سبق له أن اقترح أن تقوم الجمعيات القائمة على شئون الإرساليات بالتكفل بنفقات إرسال المرسل إلى البلاد الأجنبية، ودفع النفقات الأولية المطلوبة

للإقامة على أن يقوم المرسل في أسرع وقت ممكن بالالتحاق بأى عمل مناسب ليتمكن من إعالة نفسه. والآن ها هو يقف أمام مرسل حقيقى يؤكد له أن هذا التصور قابل للتنفيذ في الهند.

وهنا سأله "اندرو فولر". "وماذا بوسعنا أن نقدم لك يا دكتور توماس؟" وأجاب الرجل: "لو استطعتم أن تدفعوا لى ولزوجتى وابنتى ثمن التذاكر بالإضافة إلى النفقات المتوقعة لى ولعائلتى لمدة سنة فسيكون بوسعى أن أعود للبنغال ثانية لاستئناف العمل الذى بدأته". أومأت كل الرؤوس الموجودة بالحجرة بالموافقة. وأضاف د.توماس: "لو أمكن أن يرافقني شخص مناسب في هذه الرحلة فسيكون بمقدورنا أن ننجز عملاً أفضل كثيراً مما يمكنني أن أقوم به بمفردى".

وشعر وليم كارى بأن قلبه يدق بصوت مسموع في داخل صدره، فهو الرفيق المناسب وهو يدرك ذلك. نهض على قدميه وقال في حسم "سأذهب". اتجهت كل العيون إليه وكرر عبارته معلنا في صوت عال "سأذهب". "اؤيدك في قرارك" هكذا صاح أندو فولر وهو يهز يده مصافحاً إياه ذاكراً أن هناك منجماً من الذهب من النفوس البعيدة في الهند ويجب أن نبحث عنها. ورد وليم قائلاً: "سأنزل إلى أعماق المنجم لو ساعدتموني بالامساك بالحبال وانزالها إلىَّ." وكانت لحظة نادرة نظر فيها وليم بكل اهتمام إلى "أندرو فولر" و"جون ساتكليف" و"جون ريلاند". عرف الرجال الثلاثة ماذا يعني وليم بعبارته هذه. فإذا كان عليه

أن يذهب إلى الهند، يمكنه أن يعتمد عليهم بنسبة مائة بالمائة. التف الرجال الثلاثة حول وليم وردد كل منهم له عبارة "أتعهد أن أقوم بتقديم الدعم لك بغض النظر عن أي اعتبارات إلى يوم وفاتي" وكرر كل منهم هذه الجملة على التوالي، ومن تلك اللحظة أصبح الطريق لبقية حياة وليم كاري معدا. وأدرك أنه لم يعد هناك مجال للعودة إلى الوراء.

تجاذب وليم ود.توماس أطراف الحديث طوال الليل، وعندما افترقا في الصباح، كانا قد أعدا لنفسيهما خطة محكمة هدفها أن يتجها سوياً إلى الهند في الأول من أبريل، أي بعد حوالى ثلاثة شهور. وهذا يتيح لهما أن يجمعا الأموال المطلوبة وأخبر د. توماس وليم أن الرحلة تستغرق قرابة خمسة شهور للوصول إلى الهند وما لم يغادرا قبل منتصف مايو فإن الرياح ستكون معاكسة لاتجاه سير الباخرة.

أثناء سير وليم في رحلة العودة إلى منزله في شوارع ليستر، أخذ يفكر فيما عسى أن يكون رد فعل الآخرين المحطين به تجاه قراره. ترى أيتفهمون ذلك؟ وماذا تقول دولي؟ فإنها لم تبتعد عن المنزل الذي ولدت فيه بأكثر من ثلاثين ميلاً. وهكذا كان حال وليم، ولكنها على عكس وليم لم تكن لديها روح المغامرة، وكل شئ كان يجعلها تفقد أعصابها، فبالإضافة إلى حملها الأخير فلقد كانت في انتظار وليد جديد في شهر مايو القادم أي انه سيولد في البحر. والحمد لله فإن د.توماس وزوجته سوف يكونان برفقتهما لو احتاجا لمساعدة في حالة حدوث خطأ

ما. كما كان هناك والده أيضا وماذا عساه أن يقول؟ انه مازال يعمل كخادم في كنيسة انجلترا ببلدته. ووليم يعلم أن والده لن يتفاعل أبداً بما هو مزمع أن يفعله. ثم ماذا عن شعب الكنيسة؟ وكيف سيكون رد فعل أعضاء كنيسة شارع هارفي المعمدانية عندما تصلهم الأنباء؟ فلقد تخلصت الكنيسة تحت قيادته من المشاكل التي عانت منها وأصبحت تنمو بسرعة مطردة. وكانت الكنيسة قد فرغت لتوها من بناء مقصورة جديدة لتتسع للعابدين الجدد الذين انضموا إليها. وأخذ وليم يصلي لأجل كل هذا أثناء سيره . فلقد أدرك بما لا يدع مجالاً للشك أن الرب قد دعاه ليذهب إلى نصف العالم الآخر في الهند وكان يأمل أن يتفهم الناس الذين أحبهم بدرجة عظيمة هكذا. "يا لها من فكرة مجنونه" هكذا صاحت دولي عندما أخبرها زوجها بما عقد عليه النية. "كيف خطر على بالك أنني يمكن أن أذهب للهند وأنا اتوقع أن تأتيني آلام الولادة في الطريق؟ إن الرب رحيم وهل لا يوجد لديك عمل تؤديه في الكنيسة في إنجلترا؟ ثم عليك أن تفكر في الأولاد فليكس ووليم وبيتر والأمراض الغريبة التي قد تصيبهم. لقد سبق لى أن دفنت ابنتين ولسوف أموت حتماً لو قدر لى أن أفقد طفلاً آخر.

وانهمرت دموع اليأس على وجنتيها، ومع ذلك لم تكن قد انهت حديثها بعد واسترسلت قائلة: "وماذا عن الرحلة البحرية في قارب

صغير وسط هذا المحيط الضخم. لن أفعل ذلك أبداً وإنها لقسوة بالغة منك أن تفكر في هذا مجرد تفكير."

اقترب منها وليم وأمسك بيدها وهو يعلم كم هى خائفة من المحيط رغم انه لم يسبق لها أن رأته. "علينا أن ندع الأمر في يد الرب"، قال لها وليم هذا محاولاً تهدئتها. ونزعت دولي يدها منه وقالت: "أنا لن أذهب وهذا قرار نهائي، وإذا أردت أن تتركنا فأذهب وحدك وهذا كل ما يمكن أن أفعله."

أخذ وليم نفساً عميقاً فهو يعرف من تجاربه السابقة أنه من المحال أن يغير رأي زوجته، إلا أنه وفي نفس الوقت كان شائعاً في القرن الثامن عشر أن يترك الرجال عائلاتهم لفترات طويلة. فالبعض يذهبون إلى الحرب وآخرون يسافرون للبحث عن الذهب. ورجال مثل كابتن كوك يغادرون بلادهم لسنين طويلة لأعمال الاستكشاف. وبالتأكيد فإن الذهاب للكرازة بالإنجيل لأولئك الذين لم يسمعوا قط عن البشارة من قبل لهو هدف أكثر نبلاً مما سبق ذكره من أسباب.

جاء الدور عليه لإخبار والده عن خطته الجديدة وجلس وليم يوم السبت التالي وسطر هذه الرسالة لأبيه:

ليستر في ١٧ يناير ١٧٩٣.

إن أهمية والدي العزيز المبجل تكريس أوقاتنا للرب هو أحد المبادئ الأساسية للإنجيل، ويقول الرسول بولس: "فأطلب إليكم أيها

الأخـوة بـرأفة الله أن تقدمـو أجسـادكم ذبـيحة مقدسـة مرضـية عـند الله عـبادتكم العقلـية". وتكـريس أنفسـنا كذبـيحة لأهـداف مقدسة هو العمل الحقـيقي للمسـيحي المؤمـن. وبمـا أنـي اعتـبر نفسي مكرساً لخدمة الرب وحـده. فـإني الآن أعـرف مـاذا يجب عليّ أن أفعله. فلقد عينت للذهاب إلى "البـنغال" في جـزر الهند الشرقية كمرسل إلى "الهندوس". وأعرف أنه يجب عليّ أن أقدم الكثير من التضحيات. عليّ أن أترك عائلتي المحبوبة ومجموعة من أكثر الأصدقاء إخلاصاً ولكنني وضعت يدي علي المحراث.

ابنك المحب دائماً

وليم كاري

ولقـد كـان إرسـال ولـيم الخطـاب لوالده أفضل من أن يقدم له الأخـبار بنفسـه فلقـد أخبرته شقيقته بولي فيما بعد أن الغضب قد استبد بوالده عندما قرأ الرسـالة. وصـرخ شاكياً: "هل أصاب الجنون وليم؟ وكيف يـأمل رجـل انجليزى لا يرى الشمس إلا نصف اليوم أن يعيش في الأجواء الأسـتوائية؟ ومـاذا عـن زوجـته وأولاده؟" ولاشـك أن "ادمونـد كارى" قد داهمـته فكره أن رحيل وليم وتنفيذه لمشروعه معناه أنه لن يرى ابنه ثانية وفي الأحـد الـتالي رأي ولـيم أنـه قد حان الوقت لأن يخبر شعب كنيسته عن خطته المتوقعة، فهو إن لم يخبرهم سريعاً بنفسه، لنقلت لهم الأخبار عـن طـريق شخص آخر. وبقلب مثقل أزاح وليم الستار عن الأنباء لأعضاء

الكنيسة وكتب في مذكراته في اليوم التالي "لم أر في حياتي روح حزن سائدة على المكان كما رأيتها في مكان عبادتنا في يوم الأحد الماضي" إلا أن الكنيسة تقبلت هذه الأخبار في الأسابيع التالية. فلقد صلت الكنيسة في الفترة الماضية أن يرسل الرب مرسلين للأمم الوثنية، والآن فإن عليهم أن يتفهموا أنه يجب على كنيستهم أن تقدم أول تضحية. فبينما هم يفتقدون راعياً أحبوه كثيراً فانهم يربحون مرسلاً وسرعان ما أصبحوا متفاعلين بقوة مع تسلسل الأحداث.

إلا أن دولي لم تغير موقفها أبداً، ولقد حاول كل من "جون سانكليف" و"أندرو فولر" صديقا وليم أن يجعلاها تلين عن قراراها وتعيد النظر فيما قررته إلا أن محاولاتهما ذهبت سدى. وأخيراً صار على وليم مواجهة الحقيقة بأنه ذاهب إلى الهند بدونها. وأصبحت خطته الجديدة هي أن ينشئ قاعدة للإرسالية في مكان ما في إقليم "البنغال"، وعندما يصبح لديه منزل جميل وحديقة فإنه يعود ليصحب عائلته إلى الهند. قدر وليم أن تنفيذ هذه الخطة سيستغرق من ثلاث إلى أربع سنوات راجياً أنه في خلال هذه الفترة تكون دولي قد غيرت رأيها واقتنعت بفكرة الذهاب إلى الهند، ومع ذلك فإنه كان لا يزال يعاني من فكرة أن يترك عائلته ويرحل بمفرده وأخيراً فإنه تمكن من إقناع دولي بأن يصحب معه ابنه الأكبر فليكس البالغ من العمر ثماني سنوات وبذلك يصبح معه واحد من أفراد العائلة ليؤنس وحدته.

هنا يبرز السؤال التالي: وماذا عن دولي والولدين الآخرين والرضيع القادم إبان غياب رب الاسرة عنهم في البلاد البعيدة؟ ونظراً لأن وليم لن يكون راعي الكنيسة في هذه الفترة فلن يكون بوسع دولي استخدام مسكن الراعي بالكنيسة، ولا قبل لها برعاية نفسها إطلاقاً، لذلك قررت إدارة الإرسالية أن تتكفل بها وترعاها وقررت دولي أن تقيم برفقة شقيقتها كيتي التي تقيم في بدنجتون.

برغم الكرم الواضح الذي أبدته إدارة الإرسالية في التعهد برعاية عائلة وليم أثناء سفره إلا أنها لم تكن تملك الموارد المالية الكافية لمجابهة ذلك. فكل رصيدها بالبنك يبلغ ثمانية وثمانين جنيهاً، وبالطبع فإن الأولوية الأولى في جدول الإرسالية هي تدبير نفقات سفر وليم وابنه "فليكس" إضافة إلى ثلاث تذاكر أخرى لعائلة د. توماس، ناهيك عن الدعم المالى للمجموعة في الفترة الأولى لإقامتها فى الهند. وتبلغ الميزانية التقديرية لهذا المشروع ما يقرب على خمسمائة جنيه وهو مبلغ ضخم بمقاييس ذلك الوقت، ولذا شعر وليم أن تدبير هذا المبلغ لن يتم إلا بمشاركة كل كنيسة معمدانية في إنجلترا ولكن كيف يتسنى له ذلك؟

أخيراً استقر الرأي على أن يقوم وليم والدكتور توماس بالقيام بجولة تستمر عدة أسابيع في كنائس إنجلتر في محاولة لإقناع الكنائس بجدوى التبرع لاحتياجات العمل المرسلي، قررت الكنائس أن يبيعوا نسخاً من كتاب "البحث" ويطلبوا من المستمعين أن يتبرعوا بمبلغ من

المـال يخصص لصالح العمل المرسلي. والواقع ان هذا المشروع أثبت نجاحاً في بعض الأماكن وفشـلا في أماكن أخرى. ففي مدينة "برمنجهام" قابلهم المستمعون بترحيب حار ووعدوهم بتقديم مائتي جنيه لصالح العمل، أما في مدينة "باث" فكانت القصة مختلفة، إذ أنهم لم يتلقوا سوى بنس واحد كعطاء ولم يصدق د.توماس أن أهل "باث" غير مبالين بالعمل المرسلي إلى هذا الحد، فقرر أن يقف في نهاية الاجتماع ويقول: "أنا أشكركم لأنكم جئتم واستمعتم إلينا وسوف نسجل بكل شكر تقدمتكم بنساً واحداً في سجل حسابات الإرسالية جنباً إلى جنب مع بقية التقدمات التي تقدمها المدن الآخرى".

وسرت همهمة بين الشعب، إذ كيف تعرف بقية المدن أن كل مافعلوه لدعم المرسلين هو بنس واحد. وهنا قام واحد من أعضاء الكنيسة وأخذ طبق العطاء لجولة ثانية من التقدمات بلغ مجموعها أكثر من عشرين جنيهاً في هذه المرة ولم يسجل أبداً في السجل مبلغ بنس عن كنيسة "باث".

أما في لندن فلم تدعمهم الكنائس مطلقاً اذ اجتمع خداماً لمناقشة المشروع عدة مرات، وفي النهاية قرروا أن الوصول للشعوب الوثنية هو مهمة الرب وليست مسئوليتهم هم. بالإضافة إلى ان العمل في إنجلترا يحتاج الكثير. وبأنه من السخيف أن يقوم أحدهم برحلة خطيرة كهذه الرحلة لمجرد التبشير برسالة الإنجيل للوثنيين.

ورغم النكسة التى تلقوها فى لندن، فإن وليم كارى استمتع برحلته فى أرجاء إنجلترا ولقد قطع مع رفاقه مئات الأميال سواء وهو يمتطى صهوة جواده أو وهو يسير على قدميه، وطول الطريق فان وليم شاهد العديد من الأشياء التى كان قد قرأ عنها أو سمع بها. لقد وقف على شاطىء البحر ونظر عبر المياه الباردة لبحر الشمال لقد حاول أن يتخيل سابقاً ما هو البحر وها هو يشاهده الآن، وذهب إلى لندن وعبر "نهر التايمز"، وشاهد برج لندن وكانت الأشياء التي شاهدها أكثر إبهاراً مما تخيلها. أما أكثر ما أسعد وليم فى هذه الرحلة أنها أعطته الفرصة ليشارك الآلاف سواء فى الكنائس الكبيرة أو الأكواخ الصغيرة أفكاره ومشروعاته عن أهمية العمل المرسلي. وفي اجتماع في مدينة "هل" تقابل وليم مع شاب اسمه "وليم وارد" تأثر به كثيراً. عندما أخبره فى نهاية الاجتماع أنه يعمل كجامع حروف فى مطبعة إحدى الصحف، لمعت عينا وليم وهو يتذكر خطاب البراهمة الذى قرأه لهم د.توماس عن احتياجهم إلى ترجمة الكتاب المقدس وبالتالى حاجتهم إلى طباعته. وهنا قال له: "لو باركنا الرب فى عملنا فسوف نكون فى حاجة إلى رجل مثلك في الهند وأرجو أن تفكر فى الالتحاق بنا فى غضون ثلاث أو أربع سنوات. وتصافح الرجلان على أمل اللقاء فى الاجتماع التالى إلا أن جامع حروف الطباعة الشاب لم يستطع أن ينسى حديثه مع وليم كارى وبالفعل كتب لهما أن يتقابلا ثانية.

وبعد بضعة أسابيع من التجوال فى انجلترا استطاع هذا الثلاثى أن يجمع النفقات الكافية لسفر خمسة أفراد ومساعدتهم فى أولى مراحل وصولهم للبنغال والعناية بدولى والأولاد لمدة عام. ويتبقى بعد ذلك بعض الأموال الكافية لشراء بعض المشغولات المعدنية ليأخذوها معهم ليبيعوها فى الهند. اقنع د.توماس إدارة الإرسالية أن حصيلة ما سيتم جمعه من بيع هذه المشغولات سيكون كافياً لمتطلبات معيشتهم هناك لسنة كاملة على الأقل. إلا أنه وفى أثناء إعداهم لرحلتهم وجمعهم للأموال اللازمة فإن حدثين هامين قد وقعا. الحدث الأول كان أن فرنسا أعلنت الحرب مع إنجلترا وهولندا مرة ثانية. وهذا معناه أن البحار المحيطة ببريطانيا العظمى ستكون مليئة بسفن القراصنة الفرنسيين للانقضاض على أى سفينة انجليزية. وبأذن من الحكومة الفرنسية، وموافقتها كانت هذه السفن تتحين الفرص لمهاجمة السفن البريطانية التي تغادر المواني الانجليزية. وخاف الكثير من القباطنة وقائدو السفن الانجليزية على حياتهم وبالتالى لم يغادروا الموانى الانجليزية لما يمثله رفع العلم الانجليزى على السفن من خطورة كبيرة فى البحار الواسعة.

أما الحدث الثانى فربما كان أكثر خطورة لأنه يعني انه حتى لو وجدوا سفينة مغامرة تأخذ وليم ورفاقه وتستطيع أن تنجو من سفن القرصنة الرسمية المحيطة بانجلترا وتصل إلى الهند بسلام فإنهم لن يتمكنوا من البقاء فى الهند إذ انه فى عام ١٦٠٠ قامت "الملكة اليزابيث

الأولى" بمنح امتياز لمجموعة من رجال الاعمال الأغنياء لإنشاء شركة يكون لها حق احتكار أعمال التجارة مع الهند. وسرعان ما أصبحت هذه الشركة هى الرائدة فى العالم فى تجارة الجوت والاصباغ والقطن والحرير والتوابل والشاى. وفى عام ١٧٩٣ قدم مشروع قرار للبرلمان الانجليزى بامتداد حق الامتياز هذا لشركة شرق الهند والذى بمقتضاه تكون هذه الشركة هى صاحبة الحق الوحيد لأن تمنح حق دخول الهند لمن تريد فقط. وحتى ذلك الحين لم تكن تمنح التصريح بالدخول إلا للتجار ولموظفى الحكومة فحسب. ولم تكن تعطى التصاريح لأية جهات أخرى. وكان آخر ماتفكر فيه أن تمنح تأشيرة دخول لمرسلين ومدرسين ليتدخلوا فى شئون الهند الداخلية.

صحيح أنه ظهرت أصوات داخل إنجلترا تنادى بالالتزام الأدبى لبريطانيا تجاه نشر الحضارة فى البلاد البعيدة التى تعانى من التخلف وبالتالى ضرورة الموافقة على إرسال المدرسين والمرسلين للمساعدة فى عملية التطوير هذه، إلا أن المفاهيم الجديدة لكلمات مثل الحرية والاستقلال كانت تتناقض مع استراتيجية شركة شرق الهند، إذ أنها تفضل أن يظل الشعب على جهله فلا أحد يدرى ماذا يمكن أن يحدث للتجارة إذا تخلص الناس من تخلفهم وأدركوا حقوقهم. فأكثر ما تفضله الشركة أن يعمل الجميع لديها ويبذلوا أقصى الجهد دون أن يسألوا أسئلة. ولذلك استخدام رجال الأعمال الأغنياء من شركة شرق الهند كل

نفوذ لهم على البرلمان ليمدوا فترة الامتياز حتى يبقى الوضع على ماهو عليه دون أن يتدخل أحد في استراتيجية احتكارهم لشئون الهند. وكانت هذه أخبار سيئة لأول إرسالية معمدانية إلى الهند والتى أدركت أنه لاسبيل لهم للحصول على تصريح دخول للهند ليؤدوا رسالتهم السامية. وإذا تسللوا ودخلوا بطريق غير شرعي فإنهم قد يجدون أنفسهم مقيدين في زنزانة في غياهب السجون. ولقد أرقت هذه المشكلة وليم ود.توماس لبعض الوقت وتحيرا في كيفية التصرف تجاهها. وهنا طرأت فكرة لدكتور توماس إذ أنه كان طبيب السفينة "أمير اكسفورد" ولا زال على علاقة طيبة أقنع الدكتور توماس القبطان وايت بالسماح لأفراد المجموعة بأن يركبوا السفينة إلى الهند بدون تصريح. وعندما يصلون إلى هناك فإنه سيتصرف بحيث يجدلهم وسيلة للبقاء.

لم يكن وليم سعيداً بهذه الخطة إلا أنه كان مضطراً للاعتراف بأنه لا توجد وسيلة أخرى للالتفاف حول القوانين الصارمة لشركة شرق الهند، وقرر أن يأخذ نصيحة رجل صديق للقس "جون نيوتن" والذي كان فيما مضى قائداً لسفينة للعبيد، إلا أنه نال الإيمان وصار مسيحياً ثم أصبح راعياً معروفاً. وشرح وليم الموقف لجون نيوتن وسأله عما يجب أن يفعله إذا لم تسمح له السلطات الهندية الواقعة تحت نفوذ شركة شرق الهند بالدخول، وهنا أجاب القس نيوتن قائلاً: "في هذه الحالة عليك أن تستنتج أن الرب لا يجد لك عملاً تقوم به داخل هذه البلاد، ولكن إذا

كـان لـه عمـل هـناك فـلا قوة على ظهر الأرض يمكن أن تعوقك". تشجع وليم كثيراً بهذه الكلمات. "لا قوة على ظهر الأرض يمكن أن تعوقك" أخذ ولـيم يكـرر هذه العبارة لنفسـه. فإذا أراد له الرب أن يذهب إلى الهند فإنه لا أحد يمكن أن يعطل مسيرته.

وفي ٤ أبـريل عـام ١٧٩٣ وبعـد قـرابة ثلاثـة شـهور من اللقاء الأول وقـف ولـيم كـاري وابنه فليكس مع دكتور توماس وزوجته وابنتهما "اليزابيـث" ذات الأربعـة أعـوام سـوياً على ظهر السفينة "أمير اكسفورد" وهـى تـأخذ طريقها مـن لـندن مـبحرة في "نهـر التايمز" في طريقها لبحر الشـمال. وأخيراً وبعد أن أصبح عمره واحداً وثلاثين عاماً أخذ وليم كاري طـريقه إلى حقـل العمـل المرسـلي أو هكـذا كـان له من الأسباب ما يجعله يؤمن بذلك!

الفصل السابع

أخبار سيئة وأخبار سارة

انه لأمر مؤسف اننا لا نستطيع أن نتجه إلى الهند مباشرة قال ذلك "الكابتن وايت" قائد السفينة "أمير اكسفورد" وهو يتنهد.

كانت السفينة قد غادرت "نهر التايمز" الآمن منذ ساعة وهى الآن في غمار بحر الشمال. قال "الكابتن وايت" وهو يتحدث إلى كل من وليم ود.توماس على ظهر السفينة: "إنه يلمح سفن الحرب الفرنسية عند الأفق وهو يخشى ألا يكون بوسعه الوصول إلى المحيط الاطلنطي" وأطرق وليم برأسه إذ انه قد شاهد السفن الحربية الفرنسية المتربصة كما لو كانت رابضة في مكانها تتحدى أية سفينة إنجليزية أن تقترب منها.

هنا قال الربان: "لقد أصدرت أوامري لمساعدي أن تأخذ السفينة طريقها بمحاذاة الشاطئ تجاه جزيرة وايت وسترسو السفينة هناك في "بورتسماوث" حتى تتجمع عدة سفن في هذه النقطة ومن هناك نتحرك جميعاً في قافلة واحدة بصحبة حراسة حتى نتجنب خطر السفن الحربية الفرنسية". سأل دكتور توماس الربان بعصبية: "وكم من الوقت يستغرق ذلك؟".

أجابه قائلا: "إن ذلك يعتمد على عدد السفن الراسية في الميناء فعلا وأرجو أن يستغرق الأمر يوماً أو يومين أو أسبوعاً على الأكثر".

صرخ د. توماس "أسبوع كامل". تجهم وجه وليم وهو يرى الضيق يستبد برفيقه من جراء فقدان عدة أيام. ولم تكن الأخبار مشجعة عندما وصلت السفينة إلى الجزيرة، فلقد غادرتها قافلة من السفن بالأمس فقط ويتطلب الأمر قرابة شهر لتجميع قافلة أخرى من السفن ونصحهم "الكابتن وايت" بعدم التوتر وبمحاولة قضاء وقت طيب في ميناء "بورتسماوث"، وبالفعل توجه وليم ورفاقه إلى المدينة وأقاموا في فندق رخيص في انتظار تجمع المزيد من السفن. وتركوا معظم حقائبهم على ظهر السفينة ولم يصحبوا معهم سوى القليل من الملابس.

كتب وليم خطاباً إلى "دولي" يشرح فيه الموقف ويستفسر عما إذا كان الوليد الجديد قد آتى، قال فيه "لو كنت أملك العالم كله لقدمته طواعية حتى تكوني معي أنت وأبنائي الأحباء، ولكن الإحساس بالمسئولية الذي يتملكني أقوى من أي اعتبارات أخرى، فلا يمكنني العودة دون إحساس بالذنب فى داخلي. أرجو أن تخبريني باسم الصغير العزيز: "زوجك المخلص والمحب لك إلى الأبد. وليم كاري".

في الوقت الذي انهمك فيه وليم في تعليم "فيلكس"، وكتابة الخطابات، وزيارة الكنائس المحلية، لاحظ أن الدكتور توماس بدأ يتصرف بغرابة شديدة. فكلما طرق شخص على الباب، كان الدكتور

توماس يسرع إلى الحجرة الخلفية وينظر إلى الزائر من شق في الجدار. وكان أيضا يسأل صاحب الفندق ثلاث أو أربع مرات في اليوم عما إذا كان هناك بريد إليه. وكلما وصله خطاب، كان يخاف أن يفتحه.

كان وليم يتساءل عما يمكن أن يحدث. لماذا يتصرف زميله هكذا؟ لم ينتظر طويلاً حتى اكتشف الجواب. خلال الأسبوع الثالث من إقامتهما في "بورتسماوث"، أصر الدكتور توماس على الذهاب إلى لندن لأجل موضوع عاجل. ولما ذهب، حضر زائر، كان للدكتور توماس كل الحق في أن يخاف منه. كان تاجراً من "برايتون" جاء يطالب بسداد مبلغ الـ ١٠٠ جنيه التي ادعى أن الدكتور توماس مدين له بها.

صدم وليم. كان الدكتور توماس قد أخبره أن عليه عدداً قليلاً من الكمبيالات التي تأخر في سدادها، ولكنه بالتأكيد لم يكن ينوي أن يترك إنجلترا وهو مازال مديناً بمبلغ مائة جنية. لابد أن في الأمر خطأ ما.

انتظر وليم رجوع الطبيب من لندن لشرح الموقف. ولكن الدكتور توماس لم يستطع أن يرجع. فالقصة إذن حقيقية. فالدكتور توماس مدين للتاجر من بريتون بمبلغ مائة جنيه، والأدهى من ذلك، أن عليه ديوناً أخرى تصل في مجموعها إلى خمسمائة جنيه. شعر وليم بالقلق. فلو أن السفينة (أمير اكسفورد) قد غادرت "بورتسماوث" مبكراً بيوم واحد ولحقت بالقافلة المسافرة، لما عرف شيئاً عن هذا الموضوع.

أصبح هذا الموضوع يشكل عبئاً ثقيلا عليه. هل يصح أن يذهب إلى الهند مع زميل مرسل غارق في الديون إلى هذا الحد؟

بدا أن الإجابة على هذا السؤال قد وصلته بطريقة تدعوه إلى الإحباط. فبعد مرور ثلاثة أيام وصلت مذكرة من القبطان "وايت". أخبره الكابتن "وايت" فيها أنه قد وصله خطاب من مجهول يفيد أن شركة الهند قد علمت انه يحمل على ظهر سفينته رجالاً يريدون دخول الهند بدون تصريح منها وانه سوف يفقد رخصة مزاولة المهنة الخاصة به لو أخذ هؤلاء الرجال معه. وأظهر وليم هذه المذكرة للدكتور توماس حين عاد من لندن وهو يقول متنهداً يبدو أننا لن نستطيع أن نبحر بعد كل هذا العناء". وفوجئ وليم بالرجل يقول: "يبدو أن واحداً من دائني هو الذي فعل ذلك. سوف أعود إلى لندن مرة أخرى لأرى ما يمكن أن أفعله".

ولكن ضاعت الفرصة بالفعل. وقف وليم بجوار ابنه فليكس وبجوارهما الحقائب الخاصة بهما والتي أنزلها كابتن وايت من على ظهر السفينة التي بدت مستعدة للاقلاع وعلى متنها السيدة "توماس" وابنتها "الزا". شاهد وليم البحارة وهم يمدون الأشرعة ويمسكون الحبال تمهيداً لسفر السفينة "أمير اكسفورد" حاول وليم أن يرجو كابتن وايت أن يعيد النظر في قراره ولكن الرجل لم يكن على استعداد لأن يفقد وظيفته في سبيل أن يصحب معه اثنين من المرسلين يريدان دخول الهند بدون تصريح . إلا أنه وافق على أن يصحب معه السيدة توماس وابنتها إذ أن

الخطـاب حذره من وجود رجال على ظهر السفينة. وبعد ساعة وقف وليم وفـيلكس تحـيط بهمـا الصـناديق الخشـبية والحقائـب الجلديـة يراقـبان السفينة "أمير اكسفورد" وهى تندفع إلى عرض البحر. ورغم شعور الحزن الـذى تملكـه لأنـه لم يكـن بداخـلها إلا أن المـنظر كـان رائعـاً لست سفن تـتحرك سـويا تجـاه القـنال الانجلـيزى فـى ظهـيرة يـوم ربـيعى مشرق. ولوحـت السيدة "توماس" و"الزا" لهما بالأيادى من مؤخرة السفينة. وبعد أن اختفت السفينة خلف الأفق تحير "وليم" مما قد يحدث فيما بعد ترى أكـان عـلى صـواب عندما سـمح للسيدة توماس وابنتها بالسفر؟ وماذا لو لم يـتمكن د. تومـاس نفسـه من ترتيب أمر سفره إلى الهند؟ وادار وليم ظهره إلى الـبحر والاسـئلة فـى عقلـه أكـثر كـثيراً من الإجابات. ولكن التصرف العمـلى الأن هـو أن يـنقل حقائـبه إلى الفـندق وأن يحـاول العـثور عـلى د.تومـاس ليخـبره. اتجـه صـوب الفـندق ومـن هـناك استقلا عربة تجرها الجياد إلى لندن.

وبالإضـافة إلى البحـث عن د. توماس كان على وليم أن يكتب رسـالة إلى أنـدرو فولـر و إلى مجلـس إدارة الإرسالية ولكن مشكلته الكبرى كانـت فيما عساه أن يقول فى رسالته. اتجه وليم إلى حيث يقيم د.توماس فـى لـندن الـذى تأسـف كـثيراً للأحبار التي سمعها ولكن وليم وعده بأنه سيتصـرف وسـيجد وسـيلة أخـرى للذهاب. فكر وليم فى أنه سيتوجه إلى إدارة شـركة شرق الهند ويلتمس أن يحصل منها على تصريح بالذهاب إلى

الهـند إلا أنه عرف أن استجابتهم لمثل هذا الطلب تعد ضربا من الخيال. ثـم راودتـه فكـرة أن يذهـب مـن هولندا إلى "كلكتا" بالهند عن طريق البر ولكـنها رحلـة طويلة وشاقة وخطيرة. وأخيراً راودت الدكتور توماس فكرة ولكـنه لم يفصـح عـنها بل أخذ قبعته ومعطفه واندفع خارج الباب. وعاد بعـد سـاعة وهـو يلهـث ولكـنه يلـوح بورقـة في يده مكتوب فيها "شركة الشرق الدانمركـية ١٠ شـارع كـانون" وقـال: "إنـه عنوان بحار دانمركي حصلت عليه من صديق وهو ينتظر أن تصل سفينته من "الدانمارك" قادمة مـن "كوبـنهاجن" لترسـو فـى لـندن فـى طـريقها إلى الهـند ولعـل الـرب يسـاعدنا لـنجد عـلى متـنها مكانـا لـثلاثة أفـراد هـيا بـنا لنقابله بأقصى سرعة".

ارتـدى ولـيم قبعـته ومعطفـه وتـبع د. تومـاس إلى الخـارج و"فـيلكس" يهـرول خلفهمـا. تجـاذب الـرجلان أطـراف الحديـث أثـناء اتجاهمـا إلى "شارع كانون" قائلين: "ان سفينة أجنبية ذاهبة إلى الهـند لن تكـون واقعـة تحـت سـطوة شركة شرق الهند. وبالتالى لن يكونوا مطالبين بالحصـول عـلى تصـاريح لركوبها كما أنها سترسو فى "سيرمابور" بالهند وهـى مديـنة خاضـعة لسيطرة "الدانمـرك" وبعـيدة عن نفوذ شركة الهند الشـرقية أيضاً". شعر وليم بجذوة الأمل وهى تنتعش فى داخله، فهل آن الآوان ليرى أن الطريق الشرعي لدخول الهند قد فتح أمامه؟ وعندما وصلا إلى العـنوان المنشـود، كانـت الأنـباء رائعـة. كـان الـبحار الدانمـاركى فى

انـتظار وصـول سـفينته المسـماة "الأمـيرة ماريـا" فـى غضون أيام قليلة إلى "ميناء دوفر" على بعد ٦٠ ميلا جنوب انجلترا. وأخبرهم الرجل أنه وفقاً لمعلوماتـه فإنـه توجد كبائن خالية على سطح الباخرة. سأله وليم عن ثمن التذكرة إلى الهـند فأجـاب الـرجل مائـة جنـيه للشخص البالغ وخمسين للطفـل وخمسـة وعشرين جنيها للخادم. وأعطاهم عنوان التوكيل الملاحي في لـندن ليتمكنوا من حجز التذاكر هناك وشكر وليم الرجل على ما أمدهم بـه مـن معلومـات. إن الـتكلفة المطلوبـة الآن تبلغ مائتان وخمسين جنيها للوصـول إلى الهـند. وكـل مـا يملكونـه الآن مائـة وخمسـين جنـيها قيمة الـتذاكر الـتي ردهـا لهم الكابتن "وايت". وقد رأى وليم الآن أن د.توماس رجـل مفـيد جـداً وانـه جاد في محاولة دفع ديونه السابقة وبالتالي فلابد لهـم أن يجـدوا وسيلة ليسافروا ثلاثتهم معاً. ظلوا حائرين لا يعرفون ماذا يفعلـون عـند وصـولهم إلى حيـث يقيم د.توماس حيث وجدوا خطاباً باسم القـس ولـيم كارى الذى تعرف سريعاً على الخط الغير متقن الذى اعتادت زوجـته أن تكتـبه بـه مـنذ أن عـلمها القـراءة والكـتابة. وفتح الخطاب في لهفـة وحملـت الرسـالة أنـباء رائعـة فلقـد وضـعت زوجـته ابـنها وسمـته "جابـيز" وهـو اسم عبري معناه "في آسـف" وشعر في هذه اللحظة أنه بعيد جداً عن زوجته المحبوبة وأبنائه الأعزاء. وصاح لا يوجد شئ لا يمكن الا أن أضـحي بـه في سبيل أن أرى ابني وعائلتي. وفجأة صفق بيديه قائلاً: "نعـم هناك وقت" وأشار إلى د.توماس وكرر: "نعم يوجد وقت" فنظر إليه

الـرجل في دهشـة. وجـذب وليم الكرسي وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً. وقال: "بالطبع. يمكننا أن نفعل ذلك" وسأله د.توماس "نفعل ماذا؟" وهنا رد ولـيم: "لـو أخذنـا العربة الليلة فبوسعنا أن نكون فى بيدنجتون صباح الغـد. فـربما أراد الـرب لهـذا التأخير أن يحدث حتى يولد الطفل ويكون بوسع زوجتي أن تأتي معنا."

ففـي خلال نصف الساعة كان الثلاثة قد وضعوا بعض الملابس البسـيطة في حقيـبة جلدية، وركبوا عربة متجهة إلى "نورثهامتون شاير"، وقـبل حلـول الفجـر كـانوا قـد نـزلوا على بعد ميل واحد من "بدنجتون" حيث تعيش "دولي" مع شقيقتها "كيتي".

فتحـت دولـي فمهـا مـن الدهشـة عـندما فتحـت الباب لتجد زوجهـا وفلـيكس ود.توماس واقفين أمام باب المنزل. ورحبت بهم بحرارة وسـرعان ما جلس وليم وهو يحمل "جابيز" في أحضانه. لم يضع أي وقت وأخـبر زوجـته أنـه جاء خصيصاً ليصحبها معه. توسل إليها وطلب منها الموافقـة عـلى طلـبه إلا أنهـا لم تغـير رأيهـا وأصرت على موقفها السابق. صـحيح أن الولـيد قـد ولـد بسـلام ولكن المتاعب والمصاعب لازالت محدقة بها هى والأطفال اذا ماسافرت. وهى لن تسافر.

أعـدت "كـيتي" الإفطـار أثـناء حديـث دولـي ووليم. وتناولوا الطعـام شـاكرين، وعـندما انـتهوا مـن الأكـل أدرك ولـيم أنهـم يجـب أن يـرجعوا في طـريق العـودة ثانية. كانوا بحاجة أن يسيروا إلى "نورثامبتون"

لمقابلة "جون ريلاند" لعله يستطيع أن يجمع بعض الأموال المطلوبة لشراء تذاكر السفر إلى الهند. عانق وليم ابنته وابنه الرضيع وقبّل زوجته وبدا الفراق أصعب في هذه المرة. اتخذ وليم طريقه بسرعة يحمل قلباً مهموما في طريقه إلى "نورثا مبتون". ولكن السرعة لم تدم لأن وليم ببساطة كان محبطاً من جراء فراقه لعائلته. وكان موقناً بأن الرب رتب هذا التأخير حتى يتمكن من اصطحابهم معه، ولكن دولي لم تتزحزح عن موقفها. وأخيراً جلس وليم على جانب الطريق وأخذ يبكي.

ولم يستطع د. توماس أن يتحمل رؤية صديقه وهو على هذه الدرجة من الحزن وقرر أن يفعل شيئاً. أخذ وليم من ذراعه واستدار عائداً قائلاً إنه لا يجوز أن نقطع أوصال مثل هذه العائلة. سار وليم في صمت خلف د.توماس وهما يعودان وسرعان ما وصلا إلى المنزل. وفتح الباب ورأيا "دولي" جالسة بالداخل تبكي متهدجة.

عندما رأتهما مسحت دموعها وقالت ماذا جرى؟ وقد تبدلت دهشتها بدموعها. وصاح د.توماس بصرامة: "إنك أنتِ السبب يا سيدة كارى. لقد عدنا لنمنحك فرصة ثانية. إنه ليس من الحكمة أن نمزق شمل العائلة. فالرب أرسل وليم إلى الهند ويجب أن تكون عائلته معه. وليس جيداً أن يشب الأطفال وهم لا يعرفون أباهم وكيف لك أن تسامحي نفسك لو قُدِّر لهذه اللحظة أن تكون هي آخر لحظة تشاهدين فيها زوجك حياً؟" لم تنطق "دولي" ببنت شفة وأخذت تقلب بصرها بين زوجها

وبين د.توماس. ثم نطقت أخيراً وقالت: "ولكنني خائفة جداً وأخشى الذهاب بمفردى. وماذا عن عائلتي هنا وهل من الانصاف أن اترك "كيتي" والا نرى بعضنا البعض ثانية؟" "ربما وافقت "كيتي" على أن تسافر معنا" هكذا قال توماس وهو ينظر بهدوء إلى شقيقة "دولي" التي شحب لون وجهها وصاحت: "أنا لا أستطيع. أعني أنني...." ووقف الكلام في فمها وتلعثمت وجلست بجوار شقيقتها. وصمتت الحجرة لفترة من الوقت إلا من بعض الضجيج الذي يصدره جابير أثناء نومه.

فجأة نهضت "كيتي" وجسدها كله يرتعش. وقالت: "لو كان سفري يحافظ على وحدة العائلة. فسوف أسافر" وجهت كلامها لدولي: "حسناً سوف نسافر معاً وسوف أساعدك". نظر وليم إلى عينى زوجته وهما يزدادان اتساعا وهى تقول بهدوء: "حسناً سنسافر معاً". واندفع وليم نحو زوجته يحتضنها وأخيراً ستذهب "دولي" والأولاد معه إلى الهند. وصرفوا بقية اليوم في سباق مع الزمن لإعداد حاجيات سيدتين وثلاثة أطفال للسفر في رحلة بحرية تستغرق خمسة شهور يليها ما يليها من زمن في الهند. واستمر وليم الصغير خمس سنوات وبيتر أربع سنوات في العدو والدخول والخروج من المنزل. حاول د. توماس أن يقدم كل مساعدة ممكنة حيث أنه يعرف ما الذي تحتاجه العائلة سواء على الباخرة أو في الهند. فقام بجمع وترتيب ما يحتاجونه من ملابس ومن أغطية للفراش. أنهم سوف يصلون في منتصف الشتاء البارد. وسرعان ما

انتشـرت الأخـبار في القـرية حيـث تجمـع الجـيران المندهشون وهو يرون دولي وكيتي تعدان نفسيما للسفر إلى الهند.

وبيـنما بقـى د.تومـاس ليساعد فى إعداد حاجيات السفر فان ولـيم توجـه صـوب "نورثامبـتون" مـرة ثانية الا انه سار مرنما هذه المرة، وملأ الخوف قلب "جون ريلاند" وهو يسمع آخر الأخبار بسفر عائلة وليم معـه. ورغم انه لم يكن قد قام بجمع أية مبالغ لصالح الأسرة بعد، إلا أنه هو نفسه كان يدخر مائتى جنية لحسابه الشخصى فى البنك، واليوم يوم السـبت ولـن يكون بوسعه الحصول على المبلغ قبل الساعة العاشرة صباح الاثـنين. صـدر صـوت أنـين مـن ولـيم وهـو يقول: "فى هذه الحالة يمكن للسفينة "الأميرة ماريا" أن تكون قد وصلت ورحلت" وبعد بعض المداولات أفـاد جون ريلاند أن لديه بعض الأصدقاء الأغنياء فى لندن وهو متاكد أن بوسـعه أن يوصـيهم بدفع مائتى جنيها إلى وليم على أن يردها إليهم فيما بعـد. وبسـرعة كتـب ريلانـد خطابـات لهـؤلاء الأصدقاء طالباً أن يقرضوا المـبلغ لولـيم مـتعهداً بـأن يـرده إليهم قبل نهاية الأسبوع. ولم يكن هناك متسـع لـمزيد مـن الوقـت فشـكر وليم صديقه متخذاً طريقه نحو العودة إلى "بيدنجتون"، وهو يسرع الخطى فى سرعة بين العدو والمشى. عند وصوله كانـت الأسـرة قـد انتهـت مـن حزم عتادها، وباكراً فى صباح اليوم التالى رحلت الأسرة وبصحبتها د. توماس فى طريقها إلى لندن. حدقت دولى فى

المـناظر حولهـا من نافذة العربة. وهى ترى المناظر التى ألفتها منذ صباها تختفي وتحل محلها مناظر طرق وقرى لم يسبق لها أن شاهدتها من قبل.

أمسـكت "كـيتي" بـيد شـقيقتها وضغطت عليها مؤكدة عزمها على أن تدعمها وتساعدها بينما تنطلق العربة فى طريقها.

أما وليم فقد جلس "بيتر" على ركبتيه. فكان ينظر عبر النافذة أيضاً. ولكن لم يكن يتأمل المناظر التى تتابع عبر ناظريه، فقد كان يجرى عمليات حسابية، نفس العمليات الحسابية، فلديه الآن مائة وخمسون جنيهاً استعادها من كابتن وايت وسيحصل على مائتى جنيه عندما يصل إلى لندن أى أن المجموع ثلاثمائة وخمسين جنيهاً.

المسـافرون للهـند الآن أربعة كبار تبلغ أثمان تذاكرهم أربعمائة جنـية وأربعـة أطفـال سـعر الـتذكرة لكـل مـنهم خمسـين جنـيهاً لـيكون المجموع ستمائة جنيهاً أى ان العجز يبلغ مائتان وخمسين جنيهاً.

أخذ وليم نفساً عميقاً وهو محتار فيما يجب أن يفعله وياله من موقـف شـديد السـخرية. أنـه وبعـد أن أقـنع دولى بالسفر معه يجد نفسه عاجـزاً عـن إتمـام الـرحلة لأنه لايملك ثمن التذاكر. وأخيراً رفع قلبه فى صـلاة إلى الـرب قـال فيها "يارب أنت الذى قدتنى إلى هذا المدى، وأنت الذى منحتنى نعمة أن تكون دولى والأولاد معى، وأنا متاكد انك ستعد لنا طريق الذهاب إلى الهند".

وصـل الجمـيع إلى لندن مساء الأحد، ولم يجد وليم صعوبة في الوصـول إلى أحـد أصـدقاء "جـون ريلانـد" الـذى ابدى استعداده لاقراضه المـائتي جنية وبمجرد أن جاء بالنقود حتى أخذها منه د.توماس مع المائة والخمسـين الـتي سـبق اسـتعادتها من السفينة "أمير اكسفورد" وتوجه إلى التوكيل الملاحي.

وحيث أنه د.توماس فلابد له أن يتصرف تصرفا آخر لم يسبق له مناقشته إلا مع "كيتي". وبعد فترة عاد وهو يلوح فى يديه بعدد ثمانى تذاكـر واحـدة لكـل فـرد. سـأله وليم متعجباً: "وكيف استطعت أن تفعل ذلـك؟" قـال د.تومـاس بابتسـامة عريضـة: "لقـد حكيـت القصـة للوكيل الملاحى الذى شعر بأهمية إيفاد مرسلين إلى الهند. وأنه لا يجب لمثل هذا المرسـل أن يبـتعد عـن أسـرته. وسـأل عن المبلغ المتوفر معى فأخبرته به. وطلبـت مـنه أن يعتـبرنى أنـا وكيـتى كخـادمين للأسـرة". وافـق الـرجل وأعطـانى الـتذاكر. سـألته: "ومـتى سـترحل السـفينة بعـد أن تفحصـت الـتذاكر فـى نشـوة". وجاءتـه الإجابـة: "إنهـا ستغادر من دوفر غداً عند الظهر عندما يكون المد عالياً لذلك يجب أن نسرع. وشهق وليم في خوف، فـان ذلـك صـعب جداً لضيق الوقت حيث أن حقائبهم الأصلية لازالت في الفـندق في "بورتسـماوث". وهـنا جذب د. توماس تذاكر إضافية من جيبه قـائلاً: "لقـد حصلت من أحد أصدقائي على ثمن تذاكر القوارب من لندن إلى دوفر".

سأله وليم: "وماذا ستفعل أنت؟".

قــال تومــاس: "إنــي أنــوي أن أســافر في هــذه الــلحظة إلى "بروتسماوث" لآخـذ حقائـب سـفري. وبعـون الله، سـوف ألـتقي بكم في "دوفر" غداً".

الفصل الثامن

الطريق إلى الهند

وصل د. توماس ووصلت الحقائب بسلام إلى "دوفر" في الموعد المحدد وتم وضعها في مخازن العفش، وانهمك البحارة في العمل لإعداد السفينة للابحار فالبعض يمدون الشراع الرئيسي والآخرون ينقلون براميل أو يربطون أقناص من كل حجم وشكل وأخيراً صدر صوت الربان بصوت جهورى "أبحروا" وتم نزع الحبال التي تربط مقدمة السفينة ومؤخرتها إلى رصيف الميناء وبدأت "الأميرة ماريا" تنساب فوق المياه.

راقب وليم جموع البشر المتحركة على الرصيف وهى تتضاءل في الحجم شيئاً فشيئاً إلى أن اختفوا عن ناظريه، للمرة الثانية في خلال شهر واحد كان يبحر إلى الهند، ولكن في هذه المرة فان زوجته وأبناءه الأربعة كانوا بصحبته. أخذت السفينة طريقها نحو مضايق "دوفر" حيث رافقتهم سفينة حربية إنجليزية بطول القنال الانجليزى واستمرت معهم حتى خليج بسكاى.

ورغم أن "الدانمارك" لم تكن في حالة حرب مع إنجلترا إلا أن الواقع كان يقول أن سفن الحرب الفرنسية كثيراً ما اندفعت نحو أية سفينة غير فرنسية واستولت على مابها من عتاد.

اختفى منظر الميناء تماماً من مجال الرؤية واختفت معه ما قد تكون آخر نظرة له ولأفراد أسرته على أرض الوطن.

كتب وليم في مذكراته في ذلك المساء "وهكذا أصبح يوم الخميس ١٣ يونيو ١٧٩٣ فوق ظهر السفينة "الأميرة ماريا" يوم سعادة بالغة لنفسي، فقد دبر لي الرب فرصة أن أصحب عائلتي معي واستمتع بالبركات التي سبق أن تنازلت عنها طواعية لأجل عمل الرب.

قضى وليم بضعة أيام تالية مع "فيلكس" و "وليم الصغير" و"بيتر" يشرح لهم معالم الباخرة من مقدمتها إلى مؤخرتها والبالغ طولها مائة وخمسة وثلاثين قدماً والتي ستكون منزلهم طوال الرحلة إلى الهند.

استكشفوا سطح السفينة وماهو تحت السطح أيضاً فاحصين مخازنها ومتسلقين حول حبال الأشرعة وصواريها في حذر حتى لا ينزلقوا أو يتسلقوا لارتفاعات أعلى مما يجب، ونظروا في امعان إلى جوانب السفينة حيث شرح لهم وليم كيف أن أسطح السفن الحديثة مثل "الأميرة ماريا" تغطى بألواح من النحاس فوق كتل الخشب وهذا يعطي السفينة المقدرة على الانزلاق بطريقة أسرع لدرجة أنها تستطيع أن تذهب إلى الهند وتعود في أقل من اثني عشر شهراً.

ومثلت الرحلة البحرية لوليم وللأولاد مغامرة عظيمة، ولكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لدولي وكيتي. ففي الأسبوع الماضي كانتا تعدان في سعادة للحياة معاً في وداعة في قريتهما في "بيدبختون" في مسافة

لا تبعد أكثر من ميل من المكان الذى ولدتا فيه. والآن هما فوق سطح باخرة تعلو وتهبط مع أمواج المحيط بعيداً جداً عن الامان الذى استشعرتاه في منزلهما. لم تشأ "دولي" أن تصعد إلى سطح الباخرة فان اتساع المحيط بدون أي قطعة أرض أمامها كان يخيفها. وصوت البحارة وهم يتحدثون بالدانماركية أو النرويجية كان يذكرها بأنها تركت اللغة الانجليزية وراءها أيضاً.

وبالاضافة إلى دولي وكيتي، كانت هناك امرأة ثالثة على سطح الباخرة، امرأة سوداء تقيم وتأكل مع البحارة. وكانت هى أول سيدة سوداء سبق لدولي أن شاهدتها، وأخافها منظر بياض عينيها وهو يومض في وسط وجهها الأسمر.

كان الكابتن "كريسماس" وهو مواطن إنجليزى حصل على الجنسية الدانماركية رجلاً ودوداً. "فعلى الرغم أن المرسلين لم يدفعوا ثمن التذاكر بالكامل مثل باقي الركاب (إنجليزيان وفرنسيان) إلا أنه بذل ما في وسعه ليجعل الرحلة مريحة لكافة الركاب، ومنح عائلة المرسل أكبر كابينة وصفها وليم بأنها تبلغ نصف عرض المركب ولها نوافذ جنوبية وجدرانها مغطاة بأوراق الحائط. بل أنه دعاهم إلى تناول الطعام على مائدة القبطان حيث استمتعوا كل يوم طوال الأسابيع الأولى من الرحلة بتناول وجبات غذاء شهية تحتوى على نوعين من اللحوم على الأقل وعلى كمية ضخمة من الحلوى أو الفاكهة.

والواقـع أنهـم كـانوا يتـناولون طعامـاً أفضـل مما اعتادوا على تناولـه أثـناء حـياتهم العاديـة. وتوطـدت أواصر العلاقة بين أفراد العائلة ونمـت. ورغـم خـوف دولـي مـن الـبحر. وصار الصغير جابيز سميناً جداً للدرجة التي دعاه فيها أبوه بالرفيق البدين.

ومـنذ وصـول السفينة بسلام عبر مضيق بسكاى متجـهة صوب المحـيط الاطلـنطي، أخـذت حياة وليم طابعاً مرتباً منتظماً فهو يقوم بعقد اجتماع صلاة في غرفته كل صباح ومساء. ويقضي معظم الوقت أثناء النهار في تعلم اللغة البنغالية من د. توماس، ورغم أن الأخير لم يكن ملماً بخبايا اللغـة المعقـدة فإنـه كان يحلم مع وليم بأن يريا الكتاب المقدس وقد ترجم إلى اللغات الهندية المختلفة.

عكـف الـرجلان عـلى تـرجمة سـفر الـتكوين إلى البنغالـية، وساعدت معرفة وليم باللغة العبرية عملية الترجمة إلى حد كبير. وفي بقية الوقـت دأب ولـيم على تسجيل ملاحظاته من أكثر من مائه كتاب ومجلة صحبها معه فوق السفينة.

ومـع اقتراب السفينة من خط الاستواء أخذت درجات الحرارة تـرتفع باضطراد، وهنا قرر وليم أن يتخذ قراراً شخصياً. فلقد ترك انجلترا خلفـه وبـدأ حـياة جديـدة في أرض غريـبة دون أن يـرى داعٍ لأن يواصـل حـياته مرتدياً الشعر المستعار (الباروكة) غير الأنيق والباعث على الحرارة الـذى اعتاد عليه. وفي صباح يوم قبل أن يستيقظ أفراد العائلة، صعد وليم

السلم إلى سطح السفينة ونزع باروكة شعره وألقى بها في المحيط الاطلنطي.

شعر براحة عظمى بعد أن تخلص منها وشعر بنسمات الهواء البارد تلمس صلعة رأسه. وعندما صعد د.توماس ورأى وليم ضحك في سرور وقال له: "ان السيد ولسون الذى صنع لك هذه الباروكة رجل مسيحي مؤمن ممتاز ولكنه من أسوا صناع الباروكات الذين ولدوا على وجه الأرض". وضحك كلاهما من قلبه.

وبالاضافة إلى الوقت الذى كان يقضيه وليم مع عائلته ومع د.توماس فقد صار صديقاً حميماً للكابتن "كريسماس" وهو رجل متعلم يجد سعادة في أن يشرح لوليم كيف يحدد الطريق إلى الهند وسط المحيط. صار وليم مهتماً بأمور الملاحة منذ أن قرأ عن الكابتن "كوك"، وكيف استطاع استخدام "كرونوميتر هاريسون" في تحديد خطوط العرض. ولاحظ وليم كيف يستخدم الكابتن "آلة السدس" في تحديد ارتفاع الأجرام السماوية والنجوم ليلاً والشمس نهاراً، وبالاستعانة بالقراءات كان يحدد الكابتن "كريسماس" موضع السفينة على خريطة كبيرة ملفوفة بعناية في غرفته.

المسار الذى حدده الكابتن للسفينة "الأميرة ماريا" يقودهم إلى شمال غرب الشاطئ الأفريقي إلى أن يلتفوا بالرياح الشمالية الغربية التجارية. حيث يستفيدون من اتجاه الرياح هذه لتأخذهم عبر الاطلنطي

إلى جنوب أمريكا، وبعد أن يصلوا إلى جزيرة ترينداد أمام شواطئ "ريودى جايـنرو" في الـبرازيل يسلمون قـيادتهم إلى الرياح الجنوبية الشرقية التي تسير بهم عبر جنوب الاطلنطي بمحاذاة "جزيـرة تريستان داكونـا" الصغيرة آخر نقطة يتجهون إليها جنوباً في رحلتهم ومن هناك يتجهون شرقاً صوب رأس الرجاء الصالح في نهاية جنوب قارة أفريقيا ومنه إلى المحيط الهندى حيث تلتقط السفينة الرياح الجنوبية الشرقية مرة أخرى لتدفعهم طول الطريق نحو خط الاستواء، بالقرب من جزر هولندا الشرقية (اندونيسيا الآن) ومن هناك تملأ أشرعة السفينة الرياح الموسمية الشمالية الغربية لتقودها إلى خليج البنغال، ومن ثم إلى "كلكتا" التي تقع في الطرف الشمالي للخليج.

وإذا سار كل شئ على ما يرام فإن الرحلة تستغرق خمسة شهور إلا أن الرياح بطبيعتها موسمية وإذا وصلوا متأخرين بحيث لم يظفروا بالرياح المواتية سيكون عليهم الانتظار لمدة قد تطول إلى ستة أشهر.

وتضمنت الخطة أن ترسو السفينة لعدة أيام بمدينة "كيب تاون" في رأس الرجاء الصالح. شغل وليم ود.توماس نفسيهما بكتابة العديد من الرسائل لترسل بالبريد عندما يصلون إلى هناك، ولكن الكابتن "كريسماس" انتابه قلق شديد لأن الرياح لم تكن قوية كعادتها، والسفينة لا تسير بالسرعة المقدر لها أن تسير بها، وعليهم أن يكونوا في خليج

البنغال قبل نهاية الرياح الموسمية في أوائل أكتوبر. وكنتيجة لذلك اتخذ الرجل قراراً بألا تذهب السفينة إلى "كيب تاون" نهائياً بل تستمر في سيرها مباشرة إلى المحيط الهندى. أعاد وليم ما كتبه من رسائل إلى والده وإلى مجلس إدارة الإرسالية إلى حقائبة على أن يعاود إرسالها بالبريد عندما يصلون إلى الهند.

لم تكن دولي سعيدة بهذه التطورات، فان أحداً لم يخبرها من قبل أنها ستقضي خمسة شهور كاملة على ظهر سفينة دون أن تغادرها مرة واحدة تشعر فيها أن هناك أرضاً ثابتة تحت قدميها. وحتى الفرصة التي اتيحت لأن ترسو السفينة في "كيب تاون" تبددت، ولو كانت قد علمت بما ينتظرها لما تراجعت عن قرارها بالبقاء في انجلترا.

مضت الأمور طيبة حتى طلب من وليم في يوم ما أن يقيم خدمة جنائزية في البحر. فلقد مرضت السيدة السوداء المسافرة معهم وماتت ودفنت في البحر مقابل شاطئ رأس الرجاء الصالح. توترت أعصاب دولي بدرجة أكبر وهى تشاهد مراسم الجنازة وتسترجع أحداث الموت. فقد سبق لها أن قررت ألا تفكر في المخاطر المحدقة بالعائلة من جراء المغامرة التي يقومون بها، ولكن موت السيدة السوداء أعاد المخاطر من طي النسيان إلى الذاكرة الواعية، وتعلقت دولي بالأطفال ولم تدعهم يخرجون من غرفتها إلا بصعوبة وظلت تقضي طوال النهار ساهمة تنظر من كوة السفينة.

حـدث أن اجتاحـت السفينة "الأميرة ماريا" عاصفة هوجاء في الساعات الأولى مـن صـباح ٢٦ أغسـطس. وبلـغ ارتفـاع المـوج أكـثر مـن خمسـين قدمـاً حـول السـفينة الصغيرة تضربها يميناً ويساراً وكانت ألواح السـفينة تـئن وتعاني من ارتطام الأمواج. وصحا وليم من النوم على صوت أنـين واحـد مـن الأولاد كـان يعاني من الضربات المتتالية التي يتلقاها من تخـبط السفينة من جراء الرياح العاتية. وقفز من السرير محاولاً أن يحتفظ بـتوازنه بقـدر الإمكـان ووجد وليم الصغير وقد سقط من سريره إلى الأرض فأمسك به محاولاً مساعدته ليعود به إلى موضعه مرة أخرى. أما دولي فقد اسـتيقظت بـالفعل وضمت "جابيز" إلى صدرها بقوة وكانت تصرخ في حزن ووضع وليم ذراعه حولها محاولاً أن يمنحها بعض الهدوء.

وسـرعان مـا فـتح بـاب الكابيـنة واندفعت منه كيتي فارة من كابينتها المجاورة شاحبة الوجه ومرتعبة. حاول وليم طمأنتهم وهم يعانون مـن سمـاع صوت ارتطام الأمواج الصاخبة بجوانب السفينة. وبالإضافة إلى صـوت الأمـواج المرعـب كنـت تسـتطيع أن تسـتمع أيضاً إلى صـوت كابتن "كريسـماس" وهـو يلقـي بأوامـره عـلى سـطح السـفينة في هـياج شديد إلى البحارة.

لم يـدر ولـيم مـالذى يجـب علـيه أن يعملـه عـندما شـاهد د. تومـاس يقـف عـلى عتـبة الـباب وهـو يصـيح قائلاً: "إن الأمور تجرى بطـريقة سـيئة" قـال هـذا وهـو يفـرد ذراعيه وقدميه تجاه الباب حتى لا

يسقط من جراء الحركة العنيفة للسفينة الهائجة. وأضاف قائلاً: "كل الأشرعة الرئيسية والمساعدة قد أصابها البلل فوق سطح المركب".

طلب وليم إلى أفراد أسرته أن يبقوا في أماكنهم فوق أسّرتهم وارتدى ملابسه واتجه مع د.توماس إلى السطح المظلم لعله يستطيع أن يقدم مساعدة. ظلت العاصفة مستمرة لمدة يومين شارك فيهما وليم ود.توماس بجهدهما في مساعدة البحارة في إنجاز عملهم فوق سطح السفينة لمواجهة هذه الرياح العاتية. وأخيراً ذهبت العاصفة فجأة كما جاءت فجأة مخلفة وراءها أشرعة ممزقة وصاريتين من ثلاثة صوارى مكسورتين.

استغرق الأمر عشرة أيام من العمل الدؤوب والجاد لمحاولة اصلاح ما دمرته الرياح حتي تعود "الأميرة ماريا" إلى الإبحار في مسارها مرة ثانية. ورغم أنه لم تكن هناك خسائر في الأرواح أثناء العاصفة فان نجار الباخرة قضى نحبه بعد عدة أيام متأثراً بالتهاب رئوى أصابه أثناءها. ومرة ثانية يقود وليم صلاة جنائزية على ظهرالسفينة.

وبالاضافة إلى الموقف الشخصي الصعب الذى واجهه وليم فان أفكاره تداعت أيضاً إلى الأعداد الرهيبة من البشر الذين يقطنون القارات والجزر الكثيرة التي مروا بها أثناء رحلتهم البحرية والذين لم يسمعوا قط ببشارة الإنجيل. كتب وليم خواطره هذه في رسالة وجهها إلى إدارة الإرسالية يقول فيها: "أرجو لعمل الإرسالية أن يمتد وأن تستمع جموع

الوثنيين إلى كلمة الحق المجيدة. فأفريقيا تقع على مسافة ليست ببعيدة عن انجلترا، وتقع "مدغشقر" على مقربة منها ويليها الكثير من الجزر الكبيرة في المحيط الهندي وبحر الصين. وأرجو ألا تُهمل كل هذه الأماكن. فهناك حقول مفتوحة للعمل في كل اتجاه وهناك الملايين من الوثنيين الذين يسود عليهم الجهل وعبادة الأوثان وينتظرهم الهلاك الأبدي."

توتر الموقف على سطح السفينة "الأميرة ماريا" مع إنقضاء كل يوم وهى في طريقها نحو المحيط الهندي فلم يعد هناك المزيد من اللحوم ولا الأغذية ولاحتى على مائدة الربان فإن مخازن الأغذية والمياه قد امتلأت بما يكفي للمسافة من "دوفر" إلى "كيب تاون" حيث اعتادت السفينة أن ترسو هناك لتعاود شحن مخازنها بالمؤن مرة أخرى، ونظراً لأنهم لم يتمكنوا من الذهاب إلى هناك فقد اضطر مسئولو التغذية على السفينة لترشيد استهلاك الطعام القليل الباقي حتى يكفيهم للوصول وساعدتهم السماء بهطول الأمطار، فجمعوا المياه الساقطة عليهم بعناية فائقة في براميل على سطح المركب. وأخيراً وفي شهر أكتوبر عبرت السفينة الدنماركية الصغيرة خليج البنغال رافعة في خيلاء علمها الأحمر الذي يتوسطه الصليب الأبيض وأصبحوا الآن على بعد مائتي ميل فقط من وجهتهم النهائية.

إلا أن الكابتن كريسماس أظهر قلقاً ملحوظاً وكان على حق في ذلك، فان الرياح الموسمية قد أتت وانتهت والآن فان التيار واتجاه الرياح يتحركان في اتجاه معاكس لهم. وبالتالي ستكون حركتهم بطيئة وشاقة في سيرهم نحو الشمال وضد اتجاه الريح. وعند إبحار السفينة ضد اتجاه الريح فانها لا تستطيع أن تسير في خط مستقيم بل عليها أن تتبع طريقاً متعرجاً. بمعنى أن تتقدم وتتأخر مع الرياح لتقتحم طريقاً ضد الرياح المعاكسة. وقضى وليم الذي أبدى اهتماماً ملحوظاً بالعمليات الملاحية الساعات الطويلة مع الكابتن كريسماس وهما منحنيان على الطاولة يدرسان موقع السفينة على الخريطة ويتتبعان تقدمها.

وأخيراً وفي ٩ نوفمبر ١٧٩٣ وبعد شهر كامل من دخول خليج البنغال أرست "الأميرة ماريا" مراسيها على مصب "نهر هوجلى" في انتظار وصول مرشد يتولى قيادتها إلى "كلكتا" و"سيرامبور" وهناك نهران كبيران يكونان دلتا عظيمة في الأراضي الهندية ويصبان في خليج البنغال هما "نهر الجانج" و"نهر براهما بوترا". أما "نهر هوجلى" فهو واحد من الأنهار العديدة المتفرعة من النهرين العظيمين.

وما أن ألقت السفينة مراسيها حتى تداعت إلى ذهن وليم فيض من الاسئلة أين يجب أن يبدأوا عملهم المرسلي؟ وأين يجدون مكاناً للمعيشة؟ وماذا سيكون رد فعل شركة شرق الهند عندما تصلها الأخبار بأن اثنين من الإنجليز يعظون الهنود؟ ولقد قرأ وليم فيما مضى أن

تعداد الإنجليز المقيمين بالهند كلها يبلغ ألف وخمسمائة شخص. في ذلك الوقت ومعظمهم موظفون لدىهذه الشركة. وكم من الوقت يأمل أن يمر دون أن يلاحظ واحد منهم نشاطه؟ إلا أن كل هذه الاسئلة لم تكن في أهمية سؤال لم يرد وليم حتى مجرد التفكير فيه رغم أنه يعرف أنه لابد له من مواجهته ألا وهو: كيف سيتسنى لهم عبور نقاط التفتيش التي يتولى إدارتها موظفوا شركة شرق الهند في طريقهم إلى "سيرامبور"؟ ولو اكتشف أمرهم وهم على سطح السفينه في النهر فلن يسمح لهم أن تطأ أقدامهم أرض الهند، ناهيك عن الوعظ والتبشير هناك.

انحنى وليم فوق سور السفينه محدقا في مياه النهر الصفراء، ومد يده في جيبه وأخرج منها قطعة من الورق. فبوسيلة أو أخرى كان يجب عليه أن يجد وسيلة ما للتغلب على ما كتب في هذه الورقة.

الفصل التاسع

فوق تراب الهند

جلس وليم أمام المكتب في غرفته يقلب الورقة التي بين يديه مرة ومرات ويقرأ محتوياتها كل عدة دقائق ثم يعيد القراءة مرة أخرى رغم انه حفظ ما بها عن ظهر قلب ويحق له أن يجزع مما بها. فقد كتب فيها:

"لو تواجد أي شخص من رعايا صاحب الجلالة في أي وقت بشرق الهند بدون تصريح رسمي فإن هذا الشخص يعد مداناً بارتكاب جريمة كبرى وتطبق عليه العقوبة ويكون عرضة للغرامة والحبس"

كذلك سجل وليم على نفس الصفحة القرار الصادر من الحاكم البريطاني للهند وأعاد قراءة الكلمات مرة ثانية."على كل قائد سفينة تصل إلى الهند أن يقدم قائمة دقيقة بأسماء الركاب المسافرين معه على سطح السفينة إلى المفتش الموفد من قبل السلطات موضحا عما إذا كانوا يحملون تصريحاً من شركة شرق الهند أم لا "حكومة الهند، عام ١٧٨٩م.

لم يدر وليم ماذا يفعل. إنه لن يسأل كابتن كريسماس أن يكذب من أجله كما انه لا يستطيع تحمل مخاطرة اعادته للهند مرة أخرى لابد أن يكون هناك حل آخر ولكن ترى ما هو هذا الحل؟

أثناء تفكيره العميق في هذه الورطة قفزت إلى ذهنه فكرة وسرعان ما أعاد قراءة قرار الحكومة مرة أخرى، ووجد الحل في نص القرار. ان النص هو أنه على قائد السفينة أن يقدم قائمة بالمسافرين "على سطح السفينة" ولكن ماذا عن المسافرين الذين يغادرون السفينة قبل أن يصلها المفتش؟ إن النص المرسوم لا يشير إلى أنه يجب على الركاب أن ينتظروا وصول المفتش قبل أن يغادروا السفينة، وابتسم وليم ابتسامة واثقة ونهض سريعاً متوجها إلى كابتن كريسماس وبعد أربع ساعات تسلل ثمانية أفراد هم أعضاء البعثة التبشيرية إلى قارب محلي صغير اسمه "بانسي". وكانت الخطة هى أن يلتقى أفراد الفريق مرة أخرى مع الكابتن كريسماس في "كلكتا" على متن السفينة "الأميرة ماريا" حيث ترسو هناك لعدة أيام قبل أن تواصل اقلاعها إلى "سيرامبور" عبر النهر وكان المد في صالحهم عند بداية رحلتهم في "نهر هوجلى".

انبهر وليم بكل ما رآه على ضفتى النهر. فالنساء يمشين وهن يحملن سلالاً متزنة على رؤوسهن ويرتدين ملابس طويلة اسمها الساري. ويلف الرجال عمامات حول رؤوسهم وهم يرتدون ملابس قطنية فضفاضة وبنطلونات قطنية تدعى بيجاما. وشعر وليم كما لو كان يتجول بداخل صفحات قصة مغامرات.

وأخيراً عندما اندحر المد ولم يصبح بوسع "بانسي" أن تستمر في السير بالنهر ضد التيار القوي، أخبر بحار القارب د. توماس أنهم

مضطرون للتوقف على أن يعاودوا السير مرة أخرى بعد ان يصبح المد في صالحهم في خلال ست ساعات.

لم يصدق وليم نفسه عندما وجد نفسه أخيراً يقف على شاطئ النهر بقدمين ثابتتين فوق تراب الهند حيث استقرت "بانسي" بجوار سوق قرية صغيرة. حدق وليم بعينيه للمناظر المدهشة من حوله والتي لم يرا لها مثيلاً في إنجلترا. فالبائعون يقفون أو يجلسون القرفصاء أمام سلال كبيرة ومسطحة مملوءة بالخضراوات والفاكهة لم يسبق له أن رأى معظمها من قبل، وباعة آخرون كانوا يبيعون أسماكاً مجففة بينما كان يتاجر الآخرون في الأوعية النحاسية والفضية والمنسوجات القطنية الزاهية والصنادل الجلدية، وأشياء أخرى كثيرة لا يدري أي فائدة لها. وحول التجار كان المشترون يساومون على الأسعار بغرض الحصول على أفضل سعر ممكن لمشترياتهم. وامتلأ جو سوق القرية بأنواع من الروائح بعضها نفاذ ومنفر وبعضها طيب وعبق، واستطاع وليم أن يميز بعض هذه الروائح ولم يتمكن من معرفة العديد منها.

وفي خلال دقائق تجمع حولهم العديد من أهل القرية وامتدت الأيادي الداكنة تلمس خدي "جابيز" والأولاد الأكبر منه في فضول، وانسحبت "دولي" في خوف مما قد يحدث فيما بعد. لم يكن هناك ما يدعو للخوف وكل ما في الأمر أن القوم لم يسبق لهم أن رأوا سيدة بيضاء ومعها أطفالها بدون خدم.

أراد وليم أن يقدم عظته الأولى للجمع الملتف حوله ولكنه لا يجيد البنغالية بعد فطلب إلى د. توماس أن يلقي العظة وعندما ابتدأ د. توماس في الحديث اصغى إليه سكان القرية في اهتمام. وبعدما انتهى الرجل مما يريد قوله، تقدم أناس من وسط الجمع مقدمين لهم وجبة مطهية بالتوابل مكونة من الخضراوات والأرز الموضوع بعناية في أطباق من أوراق النباتات ليأكلوها. وضحك القرويون كثيراً وهم يشاهدون د.توماس ووليم وعائلته وهم يستخدمون أصابعهم للمرة الأولى في تناول الطعام. إلا ان أبناء وليم الثلاثة الكبار استمتعوا بأسلوب تناول الطعام الجديد، وقد تخلصوا من الشوك والسكاكين التي التزموا باستخدامها على مائدة الكابتن كريسماس.

بعد أن انتهوا من تناول الطعام استمر وليم في استكشاف سوق القرية، بينما أخذ وليم يجيب على أسئلة القرويين. وقبل أن ينتهي وليم من استكشاف كل ما يريده أشار لهم البحار بأن المد قد عاد ثانية، وأن الوقت قد أزف لمواصلة الرحلة ثانية تجاه "كلكتا". واذ رحلت المجموعة إلى القارب فإن العديد من أهل القرية أشاروا لهم بأنهم يرحبون بعودتهم ثانية في أي وقت. تناقش وليم ود. توماس بشأن الخبرة المستفادة من أول اختبار تبشيري، وتعجب وليم من مقدرتهم على الوقوف طويلاً لسماع رسالة الإنجيل وهي تلقي، وأعجب بالأسئلة الذكية التي سألوها فيما

بعـد. وتكـرر نفـس الأمر في اليومين التاليين في قرى مختلفة قبل أن تصل "بانسي" إلى وجهتها النهائية في كلكتا.

وسـرعان مـا وصـلت "الأمـيرة ماريـا" بعدهـم بقلـيل. وأخـذ المرسلون كافة متعلقاتهم من على السفينة وودعوا الكابتن كريسماس.

جلـس كـل أفـراد عائلـة كـاري ينتظرون ومعهم حقائبهم على مقهـى ذي طـابع إنجلـيزي بقـرب رصـيف المـيناء في كلكتا، بينما انطلق د. تومـاس يبحـث عـن زوجـته وابنـته وعـاد بعـد ساعتين حاملاً أخباراً سـارة. فقـد وجدهما سالمتين تعيشان في منزل استأجرتاه بالقرب من وسط المديـنة. بالإضـافة إلى ذلـك فقـد اصطحب د. توماس معه عدداً من الخدم ليحملوا حقائبهم إلى ذلك المنزل حيث يستطيعون جميعا الإقامة هناك.

بعد أن اخترقوا شوارع المدينة ذات المنازل المبنية من الحجارة والمليـئة بالاسـواق والدكـاكين، وصـلوا إلى شـارع ملـئ بالأشـجار عـلى الجانـبين، ويـبدو كمـا لـو كـان شـارعاً إنجليزياً. وأخيراً وقفوا أمام منزل يحمـل رقـم ٤٣ حيـث دق د. تومـاس جـرس الـباب. وبعد لحظات فتح الخادم الباب الخشبي وخلف الخادم وقفت السيدة توماس و"الزا".

وبعـد حوالـي سـاعة غـيروا فيها ملابسهم تجمعت المجموعة ثانـية في "بهـو" المـنزل حـول مـائدة كبيرة مصنوعة من خشب الماهوجني واحتسـوا أكواب الشاي وتبادلوا قصص وصولهم من إنجلترا إلى الهند دون أن تكـون لديهم التصاريح الرسمية وأخبرتهم السيدة توماس أن واحدة من

صديقاتها متزوجة من ضابط ذي رتبة كبيرة طلبت من زوجها أن يستخرج إذناً خاصاً للإقامة لها ولابنتها بل أن هذه الصديقة اقرضتها بعض النقود للمساعدة في تكوين المنزل.

وأثناء حديث المجموعة بعد التئام الشمل ظل الخدم يروحون ويجيئون حاملين معهم الساندوتشات وأباريق الشاي وحاولت إحدى الخادمات أن تمد ذراعيها لتحمل "جابيز" لتريح دولي من مشقة حمله وبدلاً من أن تتركه لها فإنها ازدادت تشبثا به وضمته أكثر إلى حضنها.

و برغم مخاوف دولي فان السعادة ملأت قلب وليم لوصوله إلى الهند. وزادت سعادته وهو يرى د. توماس وقد عاد إلى زوجته. إلا أن الافكار قد افزعته بل وضايقته بسبب هذا الوضع الذي وجد نفسه فيه. فهو قد جاء إلى الهند ليشارك الهنود المقيمين في القرى البعيدة عن العمران في رسالة الإنجيل وليس للإقامة في مثل هذا المنزل المليء بالخدم والحشم إضافة إلى ذلك فانه لا يملك الموارد التي تتيح له أن يعيش بمثل هذا الأسلوب.

في صباح اليوم التالي أصدرت السيدة توماس أوامرها للخدم أن يفتحوا حقائب الملابس ويفرغوا محتوياتها في الوقت الذي أخذ فيه الأطفال يجرون ويصعدون السلم، ويدخلون ويخرجون في شرفات المنزل سعداء وهم يقفون ثانية فوق أرض صلبة وجافة. وبينما ظل الأولاد يمرحون جلس وليم في الشرفة يفحص متأملاً زهور نبات الخبيزة

مستخدماً العدسات المكبرة وأثناء استغراقه في تأمل نبات الخبيزة استمع إلى جرس الباب يدق ووقع أقدامه على الأرض الرخامية، وما هى إلا دقائق قليلة وإذا بصوت د. توماس يناديه وألقى وليم نظره أخيراً على براعم النبات من خلال العدسات المكبرة وقام متجها لداخل المنزل ليجد رجلاً هندياً طويلاً واقفاً في الصالة مرتدياً عمامة بيضاء وقميصاً أخضر وسروالاً أبيض وانحنى الرجل في لطف عندما شاهد وليم.

ابتسم د.توماس ابتسامة عريضة وهو يقول: "هذا هو "رام بوشو" وهو واحد من الثلاثة الذين تجددوا حديثاً والذين حدثتك عنهم كثيراً. أشرق وجه وليم فرحاً وعلته ابتسامة عريضة.

وقال "رام" في إنجليزية رصينه: "إنه لشرف لي أن اقابلك ياسيدي" وأضاف: "إنني بمجرد أن سمعت أن د. توماس قد عاد أتيت مسرعاً لمقابلة صديقي العزيز. توجه الرجال الثلاثة نحو المكتبة ليواصلوا حديثهم. وأخرج وليم من حقيبته خطاباً موجهاً إلى رام من مجلس إدارة الإرسالية في إنجلترا وامتلأت عينا الرجل بالدموع أثر قراءته لهذا الخطاب. وقال: "أنا لست أهلاً لأن أتلقى مثل هذه المشاعر المسيحية الرقيقة" وأضاف معترفاً: "إنك منذ فارقتني يادكتور توماس تعرضت لضغوط عنيفة من عائلتي الذين أرادوا لي أن أشاركهم في عبادة آلهتهم. ولقد قاومت لأسابيع عديدة. ظللت اخدم فيها الرب يسوع المسيح إلا أنني استسلمت أخيراً وذهبت معهم إلى المعبد ولذلك فأنا لا استحق".

رغم أن عودة "رام" ثانية لآلهة الهندوس أمر مفزع فأن وليم ود.توماس شعرا بأنه يظهر آسفاً شديداً لهذا التصرف. ونظرا لأنه يتحدث الإنجليزية بطلاقة فإن وليم طلب إليه أن يكون مرشده في تعلم البنغالية حتى يتمكن من تحقيق حلمه في أن يكون مرسلاً في بلاد الهند. لقد وضع وليم في كتابه "البحث" مبادئ العمل المرسلى والآن جاء الوقت لوضع هذه المبادئ موضع التطبيق العملي. أولاً عليه أن يجد طريقا ليعيش بنفس القدر من البساطة التي يحياها الشعب الهندى.

وثانياً عليه أن يجد وسيلة للحصول على دخل يكفيه حتى تستطيع إدارة الإرسالية أن توفر نقوداً لإرسال مرسلين لجهات أخرى. وأدرك وليم أن ذلك سيستغرق وقتاً ولكن الخطوة الأولى هى بيع البضائع التي أتوا بها من إنجلترا، ولقد سبق أن أكد لهم د. توماس أنه يمكن بيع المشغولات المعدنية والأثواب الصوفية بسهولة ليحصلوا على مبلغ مائة وخمسين جنيهاً وهو مبلغ كافي لمعيشتهم لمدة عام كامل.

إلا أنه خلال الفترة التي غادر فيها د.توماس الهند حدث إغراق للسوق بهذه النوعية من البضائع وبالتالي فإن بيعها بمثل هذا القدر من النقود أمر غير وارد.

أدرك المرسلون بعد أسبوعين أن نقودهم تنفذ سريعاً وأن عليهم أن يعيدوا النظر في خططهم المستقبلية. وبعد مناقشات مضنية وبرغم الاعتراضات التي أبدتها السيدات الثلاث تقرر أن يرحلوا إلى قرية

"باندل" على بعد ٣٠ ميلاً من كلكتا حيث يتوقع أن تكون تكاليف المعيشة أقل بدرجة ملحوظة.

ونظراً لأن السفر عن طريق "نهر هوجلي" بركوب القارب "بانسي" إلى باندل أسرع من السفر عن طريق البر فإن المجموعة بصحبة السيدة توماس و"الزا" و"رام" وجدوا أنفسهم ثانية في القارب في رحلة تستغرق ثلاثة أيام، يسرع بهم التيار حيناً ويبطئ حيناً ويساعدهم المد أحيانا ويعاكسهم أحياناً.

وما أن وصلوا إلى "باندل" حتى أسرع وليم و د. توماس بصحبة "رام بوشو" للبحث عن مكان يقيمون فيه ووجدوا منزلاً صغيراً مناسباً قاموا باستئجاره وأقام ستة أفراد من عائلة كارى بالإضافة إلى كيتي في غرفة وأقام ثلاثة أفراد من عائلة توماس في غرفة أخرى وأقام "رام" في حجرة صغيرة خلف المنزل كانت تستخدم كمخزن فيما سبق.

وبمجرد أن استقروا اشترى وليم خريطة وأخذ يضع خطط الجولات التي يجب عليه أن يقوم بها مع د. توماس وسرعان ما قاما بشراء قارب وفي خلال أيام كانا يستقلانه ليشاركا رسالة الانجيل والتبشير في القرى التى تقع على شاطئ "نهو هوجلى".

وحيثما كانا يذهبان فإن مجموعات يصل عددها أحياناً إلى مائتين أو ثلاثمائه تلتف حولهما وتستمع إليهما وفي البداية كان

د. توماس يقوم بإلقاء العظة ولكن في خلال أسبوع استطاع وليم أن يعظ باللغة البنغالية. وابتدأ الرجل يشعر بأنه صار مرسلاً حقيقياً.

أحب وليم حياته كمرسل في باندل ولكن الأمر لم يدم طويلاً وكان د. توماس هو السبب هذه المرة إذ أن وليم اعتماداً منه على أنه سبق له الحياة في الهند فيما مضي فإنه اتخذ قراراً أدرك فيما بعد أنه غير حكيم، إذ أنه جعل وليم مسئولاً عن المصروفات للعائلة.

ففي منتصف ديسمبر وبعد أربعة أسابيع فحسب بعد وصولهم إلى "باندل" أصبح الوضع المالي متدهوراً وبينما تنص الخطة الأصلية على أنه بقى لهم أحد عشر شهراً يعتمدون فيها على ما يمتلكونه من مال ومن بضائع لمواجهه نفقات المعيشة وجدوا أنهم انفقوا كل شئ تقريباً ولابد من التصرف العاجل.

ولقد سبق لهم أن خصصوا مبلغاً من المال لإنشاء مقر رئيسي للإرسالية، وبغض النظر عن أية معوقات قد تأتي فإن القرار هو عدم الأقتراب من هذا المبلغ لحين الاحتياج إليه في الغرض الذى خصص من أجله.

احتار وليم في كيفية التصرف إزاء هذا الموقف العسير وفي خضم حيرته هذه وصله خطاب من كابتن "كريسماس". فلقد عرف عن طريق أصدقائه بأنه توجد وظيفة خالية لكبير المشرفين الزراعين على حدائق شركة شرق الهند في كلكتا. وتذكر الرجل خبرة وليم العميقة في

مجال النباتات لذلك رشحه لشغل تلك الوظيفة وقد قبلوا ترشيحه. كان بوسع وليم أن يمارس عمله الجديد فوراً لو أراد ذلك. علماً بأنه يوجد سكن خاص لمن يشغل هذه المهنة.

وفي نفس اليوم نما إلى علم د. توماس أن واحداً من الدائنين يلاحقه. وبالتالي لم يكن اتخاذ القرار صعباً. حزم الجميع حقائبهم متجهين إلى "كلكتا" حيث يعمل وليم ككبير للمشرفين الزراعين ويكون بوسع د. توماس أن يفتح عيادة ويحصل على بعض المال ليسدد ديونه وفي هذه الحالة ستنفصل العائلتان وتعيش كل منهما بمفردها إلى أن يتحقق لهما الاستقرار المالي، وبعدئذ يستطيعان أن يجدا وسيلة أو أخرى لبدء العمل المرسلي مرة ثانية.

لقد كانت خطة رائعة إلا أنها لم تنفذ فعندما توجه وليم إلى إدارة الشركة أخبروه أنه قد حدث لبس في الفهم وأن الوظيفة قد أعطيت بالفعل لشخص آخر.

وبالتالي لم يبق مع عائلة كارى سوى القدر القليل من النقود في الوقت الذى لا يوجد لهم مكان يسكنون فيه.

وضاقت الدنيا بوليم ولم يدر ماذا يفعل، ولكن شكراً لله فقد استطاع "رام بوشو" أن يتصرف فقد استطاع أن يقنع أحد أصدقائه من رجال البنوك أن يسمح لعائلة كارى أن تقيم في منزل صغير بحديقة منزل ذلك الرجل في "مانيكتولا". و"مانيكتولا" هذه منطقة في شمال شرق المدينة

مليئة بالمستنقعات المليئة بأسراب من الناموس الناقل للملاريا وتحفل شوارعها باللصوص. إلا أن عائلة وليم كارى لم يجدوا أي مضايقة من اللصوص ربما أن مظهرهم يدل على عدم امتلاكهم لأي مقتنيات ثمينة وغير ثمينة.

وسرعان ما أصيبت دولي وفليكس ووليم الصغير "بالدوسنتاريا" ومضت الأيام متثاقلة وبدأت دولي وكيتي تشكوان من كل شيء يحيط بهما. الجو شديد الحرارة شعرتا بالوحدة مفتقدتين أي صحبة من بني وطنهما ويحيط بهما الملل من كل جانب. إضافة إلى خوفهما من الجيران وإلى صعوبة اللغة البنغالية وعدم قدرتهما على تعلمها، ولم يعرف الأطفال طعم الراحة ولم تستطع أمعاؤهم التأقلم مع أكل الخضراوات الهندية والأرز بصفة مستمرة. وكان الأطفال يتعجبون من أكل الهنود لخبز الشعير بدلاً من تناول أنواع الخبز الجيدة التي اعتادوا عليها في وطنهم . كما وجهوا جميعهم اللوم لدكتور توماس للوضع الصعب الذي قادهم إليه.

ورافقتهم الأسئلة التي لا إجابة عليها مع الشكوى المستمرة طوال أيام وليالي متتالية. كتب وليم في مذكراته "أن زوجتي وشقيقتها أيضاً لا يريان أهمية العمل المرسلي والتبشيري كما أراها أنا وتتعجبان من تصرفاتي، ولو كانت عائلتي تدعم المهمة الملقاة عليَّ قلبياً لانزاح عبء ثقيل من على كاهلي".

وبغض النظر عن درجة الفقر التي وصلوا إليها ومقدار البؤس المحيط بموقفهم، فإن وليم أعرب عن امتنانه للدكتور توماس الذي سبق وأن خصص مبلغاً من المال للعمل المرسلي نفسه، أي لطبع الكتاب المقدس أو لشراء مكان ليكون مقراً للإرسالية وللعبادة والتبشير، وليس لشراء الطعام. لقد بقى هذا المبلغ في الوقت الذي أصبحت الأحوال فيه تسير من سئ إلى أسوأ وأصبحنا الآن في أوائل يناير ومر على وصولهم إلى الهند قرابة شهرين ولم يعد لديهم سوى جوال واحد من الارز.

مر أسبوعان حاول فيهما وليم ترشيد استخدام الأرز قدر الإمكان ولكن لابد له في النهاية أن ينفذ. وبدا له أنهم سيموتون جوعاً. جاء له "رام بوشو" بأخبار طيبة. فقد وافق أحد أعمامه على أن يمنح وليم حق استخدام قطعة أرض يؤجرها له لمدة ثلاث سنوات بدون مقابل على أن يدفع الإيجار بعدها. وتقع الأرض هذه في "ديشاتا" على بُعد أربعين ميلاً شرق كلكتا، ويستطيع وليم أن يزرع هذه الأرض ويأكل من ثمارها، وعلى الأقل يتوفر للأسرة الاكتفاء الذاتي من الطعام. ولكن الرحيل إلى هناك إضافة إلى شراء البذور اللازمة يستلزم نقوداً.

ولكن بما أن هذا المكان يمكن أن يكون قاعدة يبدأ منها العمل المرسلي. قرر وليم أن يستخدم الأموال التي خصصها د. توماس لشئون العمل المرسلي في تنفيذ هذا المشروع. وهكذا يمكنه أن يشتري المستلزمات الضرورية ويدفع مصاريف انتقال الأسرة إلى هناك في "ديشاتا"، وعزم على

أن يـتجه فـوراً في صباح اليوم التالي إلى "كلكتا" لزيارة د. توماس ويأخذ منه النقود المطلوبة.

الفصل العاشر

الرحيل إلى ساندر بانز

صافح وليم كاري صديقه، وخرج من المنزل عبر البوابة الحديدية الضخمة. وما أن ابتعد عن المكان حتى مادت الأرض تحت قدميه، توقف عن المسير واستند على حائط حجري بجواره، وضع يده على رأسه وأخذ يفكر فيما سمعه ورآه.

لقد فرغ وليم لتوه من زيارة صديقه د. توماس في مكتبه الجديد في أحد الأحياء الإنجليزية في "كلكتا". ولم يمهد له أحد حتى يستعد لما سيراه أثناء هذه الزيارة. لقد كان د. توماس يعيش في رفاهية. لقد استأجر منزلاً فخماً مؤقتاً بأثاث خشبي فخم ويخدمه في هذا المنزل اثنا عشر خادماً، وأشار أثناء الحديث لرغبته في اقتناء هذا البيت وكانت المفاجأة بالغة ومثيرة. وعندما تطرق الحديث إلى المبلغ الخاص بالإرسالية السابق تخصيصه لإنشاء المبنى الإداري لمقر العمل المر سلي حتى يتسنى لوليم أن يرحل إلى المكان الجديد مع عائلته لبدء المشروع في قطعة الأرض التي وعده بها عم "رام بوشو" إذا بدكتور توماس يخبره وبوجه مبتسم أنه قد أنفق هذه النقود وليس هذا فحسب بل إنه قد اقترض مزيداً من النقود باسم الإرسالية وقام بصرفها هي أيضاً.

ولم ينطق وليم ببنت شفة، إذ كيف يتصرف رجل يملك مثل هذا الذكاء بمثل هذه الحماقة؟

ولم يقتصر الأمر على هذا الحد بل إن د. توماس أضاف بأنه لم يعد متأكداً من رغبته في استكمال العمل كمرسل لأن الأمر برمته لا يروق لزوجته. وملأ الشك قلب وليم في أن الأمر لا يروق للدكتور توماس أيضاً. فزوجة د. توماس تريد أن تنضم للمجتمع الإنجليزي وتتبوأ مكانتها بين هذه الصفوة ولا يمكن لهذه المكانة أن تتحقق وهو يعمل كمرسل يعيش في أكواخ في أماكن بعيدة يعاني من لدغات الناموس وهو يقدم الإنجيل للفقراء وقرر وليم ألا يخبر دولي وكيتي بنتيجة هذه الزيارة المفجعة التي ستزودهما بذخيرة حية تطلقانها عليه وسيرسل رسالة إلى مقر الإرسالية بإنجلترا يشرح فيها كيف نفذت منه النقود في عشرة أسابيع فقط.

جلس وليم في تلك الليلة بعد أن خلد الآخرون إلى النوم متعباً. فكيف يكتب تلك الرسالة لأصدقائه في إنجلترا؟ لقد كان يريد أن يخبرهم بأن الدكتور توماس محل تقدير واحترام، ولكنه ليس الرجل المناسب لبدء عمل مرسلي فهو مملوء بالحماس ولكنه يفتقد إلى الرزانة والحكمة في تصرفاته وبعد معاناة شديدة تكونت هذه الأفكار التي يريد تسجيلها في عقله وبعدئذ سطر هذه الكلمات:

"د. توماس رجل ممتاز ولكنه لا يصلح إلا للحياة على سفينة في البحر حيث التصرف محدود أمامه والبرنامج اليومي معد له.

وأخشى أن تكون مشاركته في العمل ضارة أكثر مما هي نافعة... وأنا أحبه ولقد تعايشنا معاً في توافق تام ولكنني أقر بأن رام بوشو هو الرجل الأنسب وفقاً لتقديري."ذهب وليم إلى النوم بقلب مهموم. فهو بلا أصدقاء ولا نقود ولا يملك إلا القليل من الطعام. وبعد غفوة قصيرة فتح عينيه وقرر أن أفضل ما يفعله هو أن يتخلى عن كبريائه وأن يذهب إلى واعظ الجيش في قلعة وليام التي تقع على بعد خمسة أميال فربما استطاع زميل الخدمة هذا أن يقدم له يد المساعدة.

كان يدرك تماماً بأنه بذهابه إلى هناك فسيكون رهن الاعتقال لوجوده في الهند بدون تصريح.

ولكنه بالفعل توجه في صباح اليوم التالي باكراً لزيارة الرجل. ونظراً لحرارة الجو ولصعوبة الطريق إلى القلعة فقد سار وليم بخطوات بطيئة، مفكراً طوال الطريق فيما عساه أن يقول له للقس براون واعظ الجيش. فهو سيخبره بأنه يريد الاعتماد على نفسه في رعاية عائلته وتوفير احتياجاتها. وأنه تلقى عرضاً بإيجار قطعة أرض زراعية لا يدفع إيجارها لمدة ثلاث سنوات وأنه بزراعتها سيتمكن من الحصول على الطعام اللازم له ولأسرته.

وسـيطلب مـنه أن يسـاعده في إمكانـية الذهـاب إلى "ديشـاتا" حيـث تقـع هـذه المـزرعة. ووصـل إلى القلعة عند الظهر منهكاً من الطريق ومن قلة الطعام.

قابله "القس براون" عند الباب وشرح وليم له الموقف بتفاصيله إلا أنـه ارتكب خطأ إذ ذكر اسم د. توماس في حديثه. وهنا غضب "القس بـراون" وذكـر بعـض الكلمات الغير طيبة في حق الرجل، وأغلق الباب في وجهـه، عـاد ولـيم إلى مـنز لـه يحمل غصة في حلقه إذ أن مصادفة بحتة جمعـت بـين "القـس براون" و د. توماس حدث فيها احتكاك بينهما قرر بعدهـا "القـس بـراون" ألا يـتعامل أبـداً مـع أي شخص له علاقة بدكتور تومـاس. تفهـم وليم مشاعر "القس براون" ولم يضمر له أية ضغينة. وكتب في مذكراته تلك الليلة:

"أنـا مكتئـب لأبعـد مدى فأنا في أرض غريبة وحيداً بدون أصـدقاء مؤمنين، ومعي عائلة كبيرة وليس لدي ما يلبي احتياجاتهم إنني ألـوم د. تومـاس الذي قادنا للإسراف بغير حكمة في البداية، ولكنني ألوم نفسي أيضاً لأني انقدت وراءه، إنني مكتئب ليس من أجل نفسي فحسب ولكن من أجل عائلتي"

جلـب "رام بوشـو" معـه شـعاعاً مـن الأمـل لـلموقف المظلم في صـباح الـيوم التالي عندما جاء ومعه جوال من الأرز للعائلة. فقد كانوا قد أفـرغوا آخر حفنة أرز في اليوم السابق ولمعت عيون أبناء كاري عندما ألقى

"رام" بالجوال على الأرض. شعر وليم بالشكر والعرفان لوصول الأرز ولكنه كان أكثر اهتماماً وتفكيراً في الخطوة التالية التي يجب عليه اتخاذها. وأخيراً قرر أن يلجأ إلى أخر خيار أمامه وهو البحث عن شخص ما يقترض منه بعض الأموال. وهذا القرار جعل اليوم من أسوأ أيام وليم إذ أنه في أكثر أيامه احتياجاً في إنجلترا فهو لم يلجأ أبداً إلى اقتراض الأموال ولكنه الآن لا يملك أي خيار آخر وهو يعاني من وخز الجوع في معدته الخاوية ويتذكر المعاناة التي لاقاها في محاولة لترشيد استهلاك أخر كمية أرز لديه لتبقى لأطول فترة ممكنة.

توجه بعد ظهر ذلك اليوم إلى كلكتا ليبحث عن شخص يقرضه، ولكنه لم يجد أحداً وتكرر الأمر في اليوم التالي، لكن لا يوجد من يستطيع أن يقترض منه روبية واحدة في المدينة كلها. وتوجه إلى منزله وهو على درجة كبيرة من الاكتئاب لم ينحدر إليها من قبل. وأكل قليلاً من الأرز وألقى بنفسه على الفراش لينام.

في صباح اليوم التالي الموافق ٣١ يناير ١٧٩٤م. سمع صوت طرقات على الباب. وما أن فتح الباب حتى وجد أمامه د. توماس الذي شرح له بأنه فكر فيما قد حدث بينهما منذ بضعة أيام وأنه شعر بالذنب من جراء ذلك، وأنه قرر أن يقترض مبلغ مائة وخمسين روبية لصالح عائلة كاري. كان هذا المبلغ كافياً لرحيل العائلة إلى "ديشاتا" وشراء المستلزمات اللازمة للزراعة.

ولم يضع وليم وقتاً بل انكب سريعاً مع أفراد أسرته لحزم أمتعتهم استعداداً للرحيل، فكلما وصلوا إلى "ديشاتا" سريعاً أسرعوا بزراعة الأرض واعتمدوا على أنفسهم في مواجهة نفقات معيشتهم وغذائهم.

توجه "وليم" و"رام" في صباح اليوم التالي الموافق يوم السبت إلى سوق المدينة لشراء البذور وشراء فأس للزراعة وكمية كافية من الغذاء تكفي للرحلة. وتوجها مرة أخرى إلى السوق يوم الأحد ولكن ليبشرا الناس هذه المرة. وفي يوم الاثنين اشتريا قارباً صغيراً وفي صباح اليوم التالي، استقلت عائلة كاري بصحبة "رام بوشو" هذا القارب متوجهين إلى مقرهم الجديد.

ولم تكن دولي وكيتي سعيدتين بهذا التطور الجديد، فكانتا تخشيان من المجهول الذي ينتظرهما وتشكوان بضيق دائماً من أنهما مجبرتان على التوجه إلى الصحراء البعيدة. ولهما كل الحق في هذا القلق الذي أصابهما، فالذهاب إلى منطقة "ساندربانز" حيث تقع "ديشاتا" يعد حركة يائسة. فالمنطقة مكونة من فروع أنهار صغيرة وفروع ترع تكون دلتا بين نهري "الجانجز والبراهما بوترا" قبل أن يصبا في خليج البنغال وهى منطقة موحشة والإقامة فيها خطرة.

حاول وليم أن يرفع من الروح المعنوية للمجموعة وهو يحاول مع "رام" قيادة القارب ببطء في المجاري المائية التي تربط بين "كلكتا"

و"ديشاتا". كانت المناظر الجميلة قد خلبت ناظري وليم. فحقول الأرز المحاطة بنبات البامبو الكثيف تنبثق في وسطها أشجار النخيل، منظر لم تقع عليه عيناه من قبل. كما انبهر أطفاله الصغار بما يرونه على الأقل في اليوم الأول. أما في اليوم الثالث فإن الضيق قد أصاب الجميع وعانى الكل من حرارة الجو.

وفي الليل كانوا يتجهون بالقارب إلى إحدى جانبي النهر ليناموا. إلا أنّ أحداً لم يحظ بقدر كاف من النوم بسبب الضوضاء التي يسمعونها من فوق الأشجار والظلال المتحركة بين الأشجار.

فالنمور البنغالية تجول ملتمسة فريسة على جانبي النهر، كذلك تفعل الفهود، ووحيد القرن والجاموس البري المتوحش، وتطلق القرود صيحات ذعر من فوق قمم الأشجار، وتتسلل الأفاعي وثعابين الكوبرا بين الحشائش العالية. وفي أثناء النهار أثناء قيادة القارب، كثيراً ما كانوا يلمحون التماسيح وهي ترقد في كسل تحت الشمس، فوق الأرض الطينية على جانبي النهر. وعندما كانوا يرون تمساحاً كانوا يتأكدون بأن هناك العديد من التماسيح المختفية في مياه النهر الموحلة. أما الناموس فبالرغم من صغر حجمه فهو يمثل مشكلة مثل الحيوانات الأكبر حجماً والمحيطة بهم. فبعد يوم من الرحيل امتلأت أجساد الأولاد بالجروح المؤلمة الناتجة عن حك أماكن لسعات الحشرات.

في صباح اليوم الثالث وجه "رام" القارب إلى مدخل "نهر جوبونا" وسرعان ما وصلوا إلى قرية "ديشاتا" حيث انطلق "رام" ليبحث عن عمه، ثم عاد إلى القارب ليواصلوا السير قرابة نصف ساعة عبر النهر ليجدوا قطعة الأرض التي وعدهم الرجل بها. ولم تكن هذه الأرض أكثر من قطعة من الأدغال الموحشة إلا أنّ وليم عقد العزم على أن يجعل منها مزرعة غنّاء. صحيح أن الأمر يحتاج لبعض الوقت. لكن مع ذلك فالوقت لم يكن متاحاً له. فقد صرفوا كل ما معهم من نقود في تدبير مؤونة الرحلة، كما أنهم قد أكلوا فعلاً كل ما لديهم من غذاء إلا أنّ إرادة وليم لم تلن، بل صمم أكثر على أن يعمل بأكثر سرعة وبأكثر قوة لينظف الأرض من الحشائش البرية والشجيرات التي تملأُها، وليقوم بعدها بزراعة الحقل.

نظر وليم متأملاً الحقل فإذ به يرى بناءً حجرياً نظيفاً يقع على الضفة الأخرى من النهر. قرر وليم أن يذهب ليرى من يعيش هناك قبل أن يحط الرحال مع أسرته في مقرهم الجديد، ربطوا القارب إلى المرسى الصغير أمام المنزل وترجلوا جميعاً، سعد الصغار كثيراً وهم يرون أخيراً أرضاً ممهدة يمكنهم الجري فيها. كانت دولّي تصيح فيهم غاضبة كلما ابتعدوا عنها أمتار قليلة. تحركت المجموعة بأقدامها الموحلة نحو الباب الذي فتح وإذا برجل إنجليزي يأتي من الداخل لمقابلتهم.

صافح الرجل وليم بحرارة مقدماً نفسه له باسم "تشارلز شورت". وبالطبع فإن الدهشة اعترت الرجل وهو يرى أمامه عائلة إنجليزية في "ساندر باند" ودعاهم جميعاً لتناول الغذاء معه.

أثناء تناول الطعام تبادل وليم والسيد "شورت" الحديث عن سبب وجودهما في هذا المكان، أخبر شورت الجماعة أنه جاء من لندن من قبل شركة شرق الهند ليدير مصنعاً لإنتاج الملح في "ديشاتا". كما أنّ وليم أخبره بدوره أنه قدم من إنجلترا كمرسل وعندما قال وليم ذلك ضحك "شورت" بصوت عال قائلاً: "وكيف لك أن تتخيل أن تكون مرسلاً في مكان كهذا تسيطر عليه عقائد دينيةٍ في منتهى القوة؟" ثم أضاف: "ولماذا هذا يا صديقي العزيز؟ أليس من الأفضل أن تترك كل امرئ على عقيدته التي ولد بها؟"

فكر وليم في المعابد والتماثيل الوثنية التي رآها منذ وصوله إلى الهند، والذبائح البشرية التي سمع عنها. هز رأسه موجهاً حديثه للرجل "إن الرب قد دعاني للبشارة لهؤلاء القوم الوثنين وأنا على استعداد تام لتقديم حياتي بسعادة في سبيل توصيل رسالة الإنجيل إليهم."

أمال السيد "شورت" كرسيه إلى الوراء مفكراً فيما سمع ورد قائلاً: "لا أستطيع أن أقول أنني اتفق معك فيما تقوله وأنا نفسي لست إنساناً قريباً من الله ولكنني أرى أنك تحتاج إلى مكان للإقامة فيه وأنا أملك منزلاً واسعاً كما ترى، لك أن تقيم معي للفترة التي تراها مناسبة

وأنـا سأعطي أوامري للطباخ أن يعد لكم الطعام في كل الوجبات طوال هذه الفترة". ثم ومضت عينا الرجل قائلاً: " قد مرت فترة طويلة جداً منذ آخر مرة تحدثتُ فيها بالإنجليزية محادثة شيقة. وأنا أعتقد أنّ رجلاً معمدانياً مثلك قادر على منحي هذا الامتياز."

شـكر ولـيم السـيد "شـورت" عـلى دعوتـه الكـريمة، وأتـت المجموعة بمتعلقاتها وحقائبها من القارب إلى المنزل الفسيح. ولا تسل عن سـعادة ولـيم الـبالغة وهـو يـرى أن أولاده وزوجـته سيناموت تحت سقف وسيجدون وجـبات الطعـام في حيـنها يومياً. رفع وليم في قلبه صلاة شكر صـامتة للـرب بعـد أن دخلـت آخـر حقيـبة لهم المنزل. إلا أنه تعاهد مع نفسـه ألا تطـول فـترة استضـافتهم هذه، وفي صباح اليوم التالي ومع بزوغ أول ضـوء ابـتدأ بـرفقة "رام بوشـو" في تطهـير قطعة الأرض من الحشائش البرية والشجيرات.

وفي مسـاء ذلـك الـيوم وبعـد وجـبة رائعـة مـن شـرائح الضـأن والخـبز، وبيـنما كانـت دولّـي وكـيتي تدفـع الأولاد للـتوجه إلى الفراش، جلـس السـيد "شـورت" إلى مكتبه ليقوم ببعض الأعمال المكتبية في الوقت الـذي أخـذ فـيه ولـيم ورام يـتحدثان بصـوت خفـيف. قال "رام" بصوت تحمـل نـبرته علامـات الانزعاج: "لقد تحدثت مع الرجل الذي يعمل في الحديقـة هـذا الصـباح وقـد أخـبرني بـأن كـل أهل القرية قد غادروا هذا المكـان ولم يـبق فـيه سـوى الذيـن يعملـون في مصـنع المـلح لـدى السـيد

"شورت". رد عليه وليم في قلق واضح: "ألم يخبرك لماذا غادروا المكان؟" أجاب "رام" بصوت أكثر انخفاضاً: "بلى إنها النمور. فقد ابتليت المنطقة بأعداد كبيرة من هذه الحيوانات المتوحشة". ابتلع وليم ريقه ونظر من فوق كتفيه إلى الأدغال المحيطة بهم وهو يستمع إلى "رام" الذي استرسل في كلامه قائلاً: "إن النمور فتكت بعشرين رجلاً في الشهور الثلاثة الماضية ولذلك فإن القرويين يخشون العمل في الأماكن المفتوحة".

رد وليم على "رام" وهو يحاول عدم إظهار خوفه: "من المناسب أن نعرف ما يحيط بنا"، وأضاف: "لعل في ذلك سبباً يجعلنا نصلي ونحن نعمل."

استغرق تنظيف الأرض من الأعشاب عدة أسابيع من العمل الشاق تمكن فيها وليم و"رام بوشو" تطهير قطعة من الأرض تكفي لبناء كوخ ليقيموا فيه وقطعة صغيرة للزراعة. أعد "رام" العدة لبيع الأخشاب التي قطعوها في سوق القرية ليتمكنوا من شراء ما يحتاجون إليه من مؤن. أثناء عملهم كانوا يتعلمون اللغة البنغالية، تعلم وليم أثناءها الكثير من الكلمات الجديدة والتعبيرات المستخدمة إلى جانب إبقاء عيونهم مفتوحة على الأدغال المجاورة خشية هجوم النمور التي سمعوا عنها. ظلت بندقية وليم بجواره. صحيح أنه لم ير نموراً ولكنه كثيراً ما كان يطلقها ليصطاد غزالاً أو خنزيراً برياً يأكل منه كل أهل المنزل.

ومما يدعو للعجب أيضاً أنّ الحساسية التي عانى منها وليم في إنجلترا لم تعد تصيبه أبداً وهو يعمل تحت شمس الهند الحارقة.

بعد ثلاثة أسابيع أصبح الكوخ قابلاً للسكنى تقريباً. إلا أن وليم عانى كثيراً لاقناع زوجته وأختها للذهاب للعيش فيه، فبعد أن اعتادتا الإقامة في بيت مبني من الحجارة على الطراز الإنجليزي تنعمان بالطعام الوفير يقدمه لهما مجموعة من الخدم ويعده أمهر الطهاة، تجدان نفسيهما الآن مضطرتين للانتقال للإقامة في كوخ من أعشاب الخيزران، أرضه مغطاة بالأعشاب وسقفه مصنوع من أغصان الأشجار. والواقع أن دولّي لم ترد أن تترك منزل السيد شورت أبداً وغالباً ما كانت تتجاهل الأطفال، وتجلس منزوية في ركن تدندن لنفسها بعض الألحان لأوقات طويلة، وعلى ما يبدو أنها لم تكن لتستمع لوليم وهو يحاول ملاطفتها لتصاحبهم لتناول إحدى الوجبات.

كان على وليم مجابهة الأمر الواقع في تردي الحالة النفسية لدولّي. حاول أن يفعل كل ما في وسعه لمساعدتها، ولكن في عام ١٧٩٤ اتضح بأنه لا يمكنه أن يقوم بعمل أي إجراء جديد، وقامت كيتّي برعاية شئون الأولاد. وكثيراً ما صحبتهم إلى زيارة مصنع الملح بصحبة واحد من الخدم لأنها كانت تخشى مهاجمة أحد الحيوانات المفترسة لها أثناء ذهابها أو عودتها في رحلتها القصيرة. ولم يكن لدى وليم الوقت الكافي للقيام بزيارات فلقد كان عليه أن يزرع الأرض في أسرع وقت ممكن حتى

يمكنه أن يحصل على الإنتاج اللازم لغذاء الأسرة. في نفس الوقت الذي كان ينتهز فيه كل فرصة ممكنة ليصحب "رام بوشو" في القارب إلى القرى القريبة ليقدم لهم بشارة الإنجيل.

وبعد واحدة من هذه الرحلات عاد وليم كسير القلب مما شاهده في إحدى القرى. فبعد أن ربطا القارب توجها إلى حيث تجمعت مجموعة حاشدة تطلق أصواتاً عالية. شقا طريقهما إلى المقدمة، ارتعب وليم مما شاهده فعلى ارتفاع حوالي ستة أقدام رأى رجلاً يتأرجح وهو معلق بحبل إلى عمود طويل من الخيزران، ويدور حوله أهل القرية وهم يدفعونه للدوران السريع حول عمود الخيزران مما يجعل الرجل يعاني من الدوار من جراء هذه الحركة الدائرية السريعة، وإلى هنا قد يبدو الأمر محتملاً لكن ما هو غير محتمل هو أن الرجل كان معلقاً بالحبل عن طريق خطافين مغروزين في ظهره العاري والرجل يحمل ثقل جسده كله.

نظر وليم حوله بانزعاج ولقد سبق له أن قرأ عن مثل هذه الممارسات ولكن أن يرى إنساناً يؤذي نفسه بمثل هذه الدرجة بغرض إرضاء الإله"سيفا" الإله الهندوسي فهو أمر لا يمكن احتماله.

ظل الرجل معلقاً بواسطة الخطافين وهو يدور حول عمود البامبو لأكثر من خمس عشرة دقيقة وأخيراً أنزلوه إلى الأرض وهو ينزف ويعاني من الألم الشديد. تاق وليم في أن يقدم رسالة الإنجيل لهؤلاء القرويين ليخبرهم كيف يحبهم الله. وهنا أدرك وليم أنّ الوعظ وحده لا

يكفي لهؤلاء الناس فالرياضات الهندية تحتوي على الكثير من التعاليم المقدسة التي يجلها الهنود ويتبعونها. وإذا أراد المرسلون أن يلقوا نجاحاً في رسالتهم في هذا البلد فعليهم أن يقدموا الكتاب المقدس مترجماً إلى اللغات الهندية المختلفة في أسرع وقت ممكن. وقرر أن يعود سريعاً إلى المشروع الذي بدأه مع د. توماس في ترجمة سفر التكوين أثناء الرحلة من إنجلترا إلى الهند.

وأثناء العمل في إنهاء كوخ البامبو لعائلة كاري وصلت إلى مسامع وليم أخبار طيبة. فقد تناثرت في المقاطعة أنباء أن رجلاً أبيض بحوزته بندقية جاء وبنى كوخاً بالقرب من "ديشاتا"، لقد بث هذا العمل الشجاعة في أوصال أبناء القرية الذين سبق أن فروا منها. وبدأ الكثير منهم يعود إليها.

وسرعان ما أصبح وليم محاطاً بالهنود واشتاق الكثير منهم لسماع بشارة الإنجيل. وأخيراً نال وليم قدراً عظيماً من التشجيع بعد سلسلة طويلة من الإحباطات خاصة بعد أن أتى لزيارته خمسة من البراهمة(وهم أشراف القوم من الهندوس)، وقدموا له الشكر لأنه استقر في وسطهم. إن "ديشاتا" أصبحت الآن المدخل للعمل المرسلي العظيم الذي يتطلع إليه وليم.

الفصل الحادي عشر

مودنا باتي

لم يكن وليم يعلم أنه في نفس الوقت الذي يبحث فيه عن نقود وهو في "كلكتا" لشراء الطعام لأسرته ومواجهة نفقات الرحلة إلى "ديشاتا"، أنّ حدثاً قد وقع في أحد الروافد الخطيرة لنهر هوجلي بالقرب من "مالدا" على بعد مائة وعشرين ميلاً تجاه الشمال.

حدث مأساوي في حد ذاته لكن سيكون له تأثير ضخم على مسار حياة وليم في الهند.

لقد وقع تصادم لقارب في النهر أسفر عن غرق اثنين من الإنجليز هما "روبرت أوندي" وزوجته اللذان كانا في طريقهما إلى مقاطعة "ديناجنبور" ليعملا لدى جورج .شقيق روبرت. وجورج هذا هو الممثل التجاري لشركة شرق الهند في إقليم "مالدا" وهذا يعني أنه أقوى الرجال نفوذا في المنطقة وهو المسئول عن تنمية الزراعة والصناعة في الإقليم كله وبمقدوره أن يمنح القروض للمساعدة في إنشاء المشروعات الصناعية أو الزراعية وفي نفس الوقت فهو رجل مسيحي مؤمن وسبق له أن تعرف على د.توماس أثناء زيارته الأولى للهند. وكما هو الحال بالنسبة للعديد من أصدقاء د.توماس فإنه اقترض من "جورج أودني" بعض الأموال

وكالعادة أيضاً لم يسدد القرض الذي أخذه مما أحدث شرخاً في جدار صداقتهما ومع ذلك فقد أرسل د.توماس خطاباً إلى صديقه للتعزية فور قراءته لنبأ وفاة أخيه في الصحيفة.

ولأنّ جورج صاحب قلب كبير متميز بالتسامح فقد كتب له شاكراً مشاركته له الحدث الأليم داعياً إياه لزيارة "مالدا"، لبّى د.توماس الزيارة وعادت الصداقة لمجراها مرة ثانية. وأثناء الزيارة شكا د.توماس لصديقه من أحواله في "كلكتا" فرغم أنه يحصل على دخل طيب من عمله كطبيب إلا أنّ مشكلته هي أنه وزوجته ينفقان أكثر من الدخل الذي يحصلان عليه، وأنه يتطلع إلى حياة أكثر بساطة ليحل مشكلة الموقف الصعب الذي يعاني منه. قدم له جورج وظيفة مدير لواحد من مصنعين جديدين بنيا حديثاً لاستخراج الصبغة من نبات النيلة. وبما أنّ الرجل قد مات فلا بد من البحث عن شخص آخر ليقوم بهذه المهمة، وتساءل عما إذا كانت هذه الوظيفة تروق لدكتور توماس، خاصة وأن مميزاتها كثيرة، فبالإضافة إلى المرتب الضخم فهو أيضاً سيمنحه سكناً مجانياً في منزل فخم، إضافة إلى مشاركته في الأرباح التي سيحققها المصنع.

قبل د. توماس الوظيفة في الحال وسأل "جورج أوندي" عما إذا كان يعرف شخصاً آخر لإدارة المصنع الثاني فأجاب جورج بالنفي، وهنا صاح د.توماس بأنه سيرشح له الشخص المناسب لهذه المهمة.

جلس وليم في شرفة منزل السيد "شورت" يعمل في ترجمة سفر التكوين الذي بدأه مع د.توماس، حتى سمع صوت "فيلكس" الذي أصبح عمره تسع سنوات وهو يجري قائلاً بابا.. بابا هناك خطاب لك! ابتسم الرجل وهو يشاهد ابنه ملوحاً بالخطاب في يديه. ويالها من مفاجأة أن يصله خطاب بعد ستة أشهر من وصوله إلى الهند، وبالطبع لم يعرف من هو مرسل هذه الرسالة، ترى أهم أحباؤه في الإرسالية أم تراه والده؟ لكن الخطاب لم يكن من أي منهما.

فض وليم الغلاف فتعرف في الحال على خط صاحبه إنه نفس الخط الذي يقرأه الآن، خط د. توماس، وبدأ يقرأ الخطاب وكلما أمعن في القراءة كلما زادت درجة انفعاله. فإن السيد "جورج أوندي" الممثل التجاري لمقاطعة "ديناجبور" يعرض عليه الآن وظيفة مدير مصنع استخراج صبغة النيلة الزرقاء بمرتب قدره مائتان وخمسون جنيهاً سنوياً، وهذا في حد ذاته يبلغ خمسة أضعاف ما كان يحصل عليه من قبل، وبعملية حسابية سريعة اكتشف وليم أنه يستطيع أن يعيش مع عائلته بربع هذا المبلغ وبالتالي يتبقى له أكثر من مائة وثمانين جنيهاً يمكن إنفاقها في ترجمة وطبع الكتاب المقدس باللغة البنغالية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن د. توماس أشار إلى أنّ "جورج أوندي" رجل مؤمن وسيقدر أنّ وليم سيشغل الكثير من وقته بعيداً عن المصنع سواء في الوعظ والتبشير أو في ترجمة الكتاب المقدس، إضافة إلى أنه في

حالـة قبولـه للوظـيفة فـإن "جورج أوندي" سيمنحه تأشيرة للإقامة مدتها خمـس سـنوات، وبالتالي سيختفي من رأسه هاجس أن يقبض عليه ويتم ترحيله مقيداً إلى إنجلترا. وبدا له أنّ كل المواصفات ممتازة لدرجة يصعب تصديقها.

فكـر وليم في الميزات الرائعة التي ستصاحب هذه الوظيفة فإن الخطـاب يشـير إلى أن عـدد العمـال في المصـنع يبلغ تسعين عاملاً، وشعر ولـيم بـأن الفرصـة سـتتاح لـه للقيام بتبشيرهم. صـحيح أنّ الرحـيل عن "ديشـاتا" الـتي أحـبها وشـعر بأنها أصبحت وطنه ومكان بدء خدمته أمر قـاس عـلى نفسـه، لكـنه شـعر بأن الوظيفة المعروضة عليه تبدو مرتبة من الـرب لـه ولعائلته. وقال لدولي تخيلي أننا لن نشغل بالنا بالحصول على نقـود لشراء طعام فيما بعد. وكتب في مذكراته" يبدو أنّ هذا تدبير سماوي لنـنعم بالراحة والاستقرار" وفي ٢٣ مايو ١٧٩٤ رحلت العائلة لا إلى الكوخ المصـنوع مـن الخـيزران الـذي تعـب وليم ورام في بنائه ولكن الوجهة هذه المرة كانت إلى "مالدا" عبر نهر هوجلي لمقابلة جورج أوندي وبدء العمل في مصنع الصباغة.

ورغم الوظيفة الرائعة التي تنتظر وليم فإن دولي لم تكن ترغب في الرحـيل عـن مـنزل السيد "شورت" ولها في ذلك مبرراتها القوية أولاً: لأن الـرحلة نفسـها شاقة وخطيرة فعليهم أن يستقلوا القارب مسافة مائتي مـيل في درجـة حرارة تبلغ الأربعين أو تزيد أثناء الرياح الموسمية بالهند.

وثانـياً: لأن كيتي لن تصحبهم هذه المرة فقد جمع الحب بين قلبها وقلب السـيد "شـورت" وقـررا الـزواج. وهـذا معناه أنّ دولي ستكون مسئولة عن الأولاد لـثلاثة أسـابيع أو أربعـة عـلى قارب لا تزيد مساحته عن مساحة سرير كبير.

ومـاذا لـو حدث عائق يحول دون شغل هذه الوظيفة؟ وأخذت دولـي تكـرر هـذا السؤال لـزوجها مذكـرة إيـاه بما حدث حين رحلوا إلى "كلكـتا" لشـغل وظـيفة مشرف الحدائق ووجدوا أنّ شخصاً آخر قد حصل علـيها. ولو تكرر مثل هذا الموقف مرة ثانية لانحدر حالهم إلى موقف أسوأ كثيراً مما لو استمروا في البقاء في "ديشاتا".

إلا أنّ ولـيم اتخـذ قراره بأنّ الرحيل هو التصرف الصحيح وفي الصباح الباكر ودعوا "كيتي" والسيد "شورت"، كانت لحظة الفراق قاسية جـداً عـلى الأولاد، فقـد ارتبطوا ارتباطاً شديداً بخالتهم كيتي التي كانت لهم أماً أكثر من والدتهم في نواح كثيرة.

لكـن في النهاية وبعد أن ذرفوا دموعاً كثيرة اتخذوا طريقهم إلى وجهـتهم. اسـتغرق الطـريق إلى "مـالدا" اثـنين وعشـرين يومـاً مـن الأيـام الطويلـة والحـارة، عـانى فيها فليكس و دوللي من الدوسـنتاريا وظلا طول الوقـت راقديـن في منتصـف القـارب في ظـل الشـراع الممـدود والذي يغطي معظـم مسـاحته. وحتى في الظل فإن درجة الحرارة كانت في حدود السبع

والثلاثين درجة مئوية. وكانت درجة الحرارة شديدة لدرجة أصابت باقي الأولاد الذين لم يكونوا مرضى بالخمول.

وفي الأمسيات كانوا يرسون بالقارب إلى جانب إحدى القرى حيث يتجه وليم و"رام" للتبشير فيها لمدة ساعة أو أكثر. كانوا يشترون الطعام اللازم لهم من الأرز و الخضار من الباعة الذين كانوا يملأون الطريق على جانبي النهر والذي يعد بمثابة طريق رئيسي للسفر.

وأثناء السفر لاحظ وليم أنّ الكثيرين يتحدثون باللغة الهندوستانية، وهي لغة الطبقات المنبوذة اجتماعياً، وبدأ في الحال يسجل بعض الملاحظات عن كيفية ترجمة الكتاب المقدس إلى هذه اللغة.

أعادت مسيرة القارب البطيئة لذاكرة وليم رحلة "سفينة الأميرة ماريا" أثناء دخولها خليج البنغال وسباحتها ضد التيار، ولكن بطء القارب في هذه المرة لا يعود إلى اتجاه الريح فحسب ولكن أيضاً للطبيعة المتعرجة للأنهار التي يبحرون فيها. وإقليم البنغال بصفة عامة عبارة عن سهل ضخم من الطمي تخترقه العديد من الأنهار التي كانت تجري ببطء والتي تلتف حول نفسها في بعض الأماكن. كان وليم و"رام بوشو" يستغرقان يومين كاملين لقطع أربعة أميال في خط مستقيم!

في ٧ يونيو، وصل القارب إلى مدينة "باسيتبور"، حيث قاموا بشراء بعض الأشرعة المربعة اللازمة لإبحار أفضل مما جعل باقي الرحلة تمضي بأكثر سرعة، ولكن كان ذلك يعني أيضاً أنهم لم يشعروا بمدى

عمـق المـياه مـن تحـتهم مما جعلهم يصطدمون دائماً بالأرض في العديد من الجرون الضحلة في النهر الذي كان يبلغ عرضه تسعة أميال.

وفي ١٥ يونـيو كتـب ولـيم في مذكـراته" الآن أشـعر بـأنني قد تحررت من السجن" أما السجن الذي يعنيه هنا فهو القارب، فقد وصلوا بسـلام إلى مـالدا حيـث رحـب بهـم جـورج أوندي ووالدته التي تقيم معه وأعـد الاثـنان ولـيمة فخمـة للترحيب بالزائرين، واعتنى واحد من الخدم بالأطفال بيـنما خلدت دولي إلى الراحة في الوقت الذي أخذ وليم وجورج يتناقشان في تفاصيل العقد.

وأكـثر مـا بعـث الراحة في قلب وليم أنّ د. توماس لم يبالغ في مدح خصال جورج أوندي أبداً. فالرجل مسيحي تقي يهتم من أعماق قلبه بالهـنود الذيـن يعملـون لديـه، وأخـبر ولـيم أنه طالما أنّ الأمور تجري في المصنع بانضباط والعمـل يسير بصورة طيـبة، فلـه كـامل الحرية في أن يستغل وقته في ترجمة الكتاب المقدس، وبعد عشاء شهي من لحم الغزال كتـب ولـيم إلى إدارة الإرسـالية يصـف فيها وظيفته الجديدة بسرور بالغ. وطلـب إلـيهم ألا يرسـلوا لـه أية أموال رغم أنه لم يكن قد تلقى منهم أي شـيء بعـد، بـل حثهم على إرسال مرسـل آخر باستخدام المبلغ الذي كان مـن المفـروض تخصيصـه لـرعاية أسـرته في إنجلترا. وباختصـار فإن الأمور سارت بالأسلوب الذي تاق أن تسير به.

وطالت إقامة آل كاري بمنزل جورج أوندي لأكثر من أسبوعين. وصرف وليم هذا الوقت الطويل في محاولات إغراء دولي للعودة إلى القارب لاستئناف الرحلة لمقر المصنع ولكي يجيب جورج على أوندى تساؤلات وليم الكثيرة عن كيفية استخراج الصبغة الزرقاء الزاهية باستخدام نبات النيلة. كان هناك الكثير مما يجب استيعابه، ولم يرد وليم أن يرتكب أية أخطاء، وشرح له جورج أوندي كل شيء بصبر شديد وأخبره أن موسم الرياح الموسمية سيأتي سريعاً، وهذا هو الوقت الذي تبدأ فيه عملية استخراج الصبغة. فلمدة ثلاثة شهور بدءاً من نهاية يوليو تبدأ عملية جني ثمار نبات النيلة الذي يزرع في شهر مارس حيث تجمع بصيلات النبات وتشحن في عبوات كبيرة إلى المصنع. وهناك تغمر في أوعية ضخمة مملوءة بالمياه. وأثناء غمر هذه النباتات فإنها تضرب حتى تفرز الصبغة الزرقاء. ولكي تتم هذه العملية فإن العمال الهنود يقفزون عراة بداخل هذه الأوعية الكبيرة يضربون النباتات المغمورة بعصا من نبات الخيزران. وبعد إتمام استخلاص العصارة من أوراق النباتات وسيقانها يترك السائل المشبع بخلاصة النبات ليتخمر وبعد ذلك يترك لتتبخر المياه مخلفة وراءها أقراص صلبة هي الصبغة الزرقاء المستخرجة من نبات النيلة. حيث يتم تكسيرها وتعبئتها في عبوات مناسبة ومن ثم تنتقل إلى كلكتا لتباع في السوق المحلية أو تشحن إلى أوربا للتصدير. علم وليم أنّ صبغة نبات النيلة تلقى إقبالاً كبيراً لأنها تصبغ المنسوجات بلون

زاهي والواقع أنّ المعاطف الزرقاء التي لبسها جنود الجيش الأمريكي أثناء الثورة الأمريكية تم صبغها بصبغة النيلة هذه.

وأثناء إقامته في مالدا دعي وليم لإلقاء العظة في كنيسة صغيرة تعقد اجتماعاً في صباح كل يوم أحد في منزل جورج أوندي وكانت سعادته بالغة إذ تخلص من الشعور بالوحدة والحرمان من الشركة المسيحية الذي عانى منه طوال الفترة الماضية. وحضر الخدمة ستة عشر مواطناً إنجليزياً بينهم ذ. توماس الذي تحدث فيما بعد حديثاً جانبياً مع وليم الذي أبدى صفحاً عن المشاكل المالية التي سببها له وتحدثا أيضاً عن استكمال مشروع ترجمة الكتاب المقدس. عقد وليم العزم على استئناف العمل باجتهاد خلال الشهور التسعة التي لا يتم فيها إنتاج أصباغ بالمصنع.

وأخيراً وفي نهاية الأسبوعين حان وقت اعتلاء القارب ليتجه وليم وأسرته مع رام لمسافة اثنين وثلاثين ميلاً في نهر تانجان إلى موندا باتي حيث بنى المصنع الذي سيتولى وليم إدارته. ساعدهم التيار في قطع المسافة في ثلاثة أيام فقط، أما المصنع الآخر الذي سيتولى إدارته د. توماس فهو يقع على بعد سبعة عشر ميلاً في مدينة "موى بالديجي".

وبعد أنّ حط آل كاري الرحال وجدوا الأمور مطابقة تماماً لما أخبرهم به جورج أوندي، فهناك منزل حجري كبير مكون من طابقين مبني على مسافة قصيرة من شاطئ النهر. اندفع نحوهم عدد من الخدم يرتدون ملابس بيضاء بعد أن رسا القارب على المرساة الصغيرة أمام

البيت. كان المنزل من الداخل مؤثثاً بكل ما تريده الأسرة الإنجليزية وتنفس وليم الصعداء لأول مرة بعد أن غادر إنجلترا منذ حوالي عام.

فعائلته تقطن في مكان آمن ولديهم وفرة من الغذاء، والأهم من ذلك فسيتوفر لديه مبلغ كاف لبدء أعمال الترجمة وممارسة مهام الإرسالية. ويبدو أنّ البداية الموفقة قد آن أوانها.

وأحب أبناء كاري الثلاثة الكبار المنزل فمن حجرتهم الواسعة الواقعة في الطابق العلوي يستطيعون أن يشاهدوا حقول الأرز الشاسعة ممتدة لأميال عديدة في كل اتجاه وبين كل مسافة وأخرى تجد قرية قابعة في ظلال أشجار المانجو الضخمة وأشجار التين البنغالي المثمرة. وعلى النقيض من أدغال ديشاتا كانت الحيوانات المفترسة هنا قليلة، ولكن الحيات والثعابين موجودة في المزارع المحيطة. وسرعان ما تعلموا أن يتجنبوا المسير بجوار الشجيرات الكثيفة التي تعيش ثعابين الكوبرا في وسطها، وهم يعلمون أن لدغتها مميتة لضحيتها حيث تموت في أقل من ساعة بعد سريان السم المميت.

وبعد شهر من الاستقرار في المنزل الجديد بدأت الأمطار الموسمية تنهمر معلنة أن وقت حصاد نبات النيلة قد أزف. أخذ وليم يسترجع المذكرات التي كتبها أثناء مناقشاته مع جورج أوندي واستعد لأداء مهمته في استخراج الصبغة.

وفي الليلة السابقة لليوم المحدد لافتتاح المصنع نظر وليم من نافذة غرفته وإذا بمجموعة من العمال الذين استأجرهم لتوه قادمين نحو المنزل يحملون معهم خروفاً صغيراً يحاول أن يفلت منهم وأسرع وليم إلى خارج المنزل ليرى ماذا يريدون.

وبمجرد خروجه قال له واحد من العمال باللغة البنغالية: "إنّ المصنع على وشك الافتتاح". وأومأ وليم برأسه مؤكداً ذلك ومستغرباً من معنى هذه العبارة. وهنا استطرد الرجل قائلاً: "عليك أن تأتي معنا لنقدم قرباناً للإلهة كالي وقد أحضرنا معنا التقدمة كما ترى ثم أشار إلى الخروف الصغير الذي يحملونه.

وهنا أدرك وليم ماذا يريدون ولقد سبق له أن شاهد تماثيل عديدة "لكالي" وهى آلهة هندوسية ضخمة قبيحة الشكل لها أربعة أذرع يتدلى لسانها إلى الخارج ويحيط بوسطها حزام تتدلى منه جماجم بشرية، وتدعى "كالي" آلهة الخراب والدمار. أخذ وليم نفساً عميقاً ثم وجه لهم حديثه قائلاً: "هذه الآلهة هي آلهة الخراب والدمار بالنسبة لكم وأنتم تقدمون لها الأضحية والقرابين لأنكم تخافون منها لئلا تتلف محاصيلكم وتقتل أفراد عائلاتكم وتحرق منازلكم، وأنا لا أخاف منها لأنني أتبع الإله الذي يحبني وأنا لن أقدم قرباناً لإله يدمر فالإله الحي يمنحني الحياة."

أطرق الهنود رؤوسهم في هدوء وهم يستمعون إلى وليم وهو يشرح لهم المزيد عن الكتاب المقدس وعن محبة الله. ومع ذلك علم وليم في صباح اليوم التالي أنهم قدموا الخروف كقربان. وعندما أصيب وليم بالملاريا في الشهر التالي اعتقد الكثيرون من العمال الهنود أنه انتقام الآلهة "كالي" التي لم يعطها الوقار اللائق.

تحسنت حالة دولي وفيلكس من الدوسنتاريا في بطء شديد وتركهما المرض في حالة ضعف وهزال شديدين وفي شهر سبتمر وبعد شحن آخر شحنة من صبغة النيلة الزرقاء إلى كلكتا أصيب الصغير بيتر الذي بلغ خمسة أعوام بالدوسنتايا ولم يستطع جسده الصغير مقاومة المرض فمات في خلال ساعات.

مما كسر قلب وليم وقلب دولي هو موت بيتر. وحيث انهما كانا مريضيين فقد أرسلا "رام بوشو" ليجد شخصاً ليصنع تابوتاً لابنهما. وبالطبع كان هناك عدد من النجارين ضمن عمال المصنع وقد ظن وليم أن واحداً منهم قد يسرع لتقديم يد المساعدة خاصة وأنه كان قد دفع أجرهم بسخاء، ولكنهم جميعاً رفضوا الإقدام على هذا العمل. كانوا كلهم من الهندوس الذين تنص تعاليم ديانتهم على عدم التعامل نهائياً مع جسد ميت لشخص أبيض، وهي قواعد صارمة لو خالفها أحدهم فإنه ينبذ من عائلته ومن كل أهل قريته.

كـان اختبار قاس رأى فيه وليم كيف أنّ تعاليم الهندوس لها قبضـة حديديـة عـلى كـل هندوسـي، وكتب في مذكراته بعد أن شفى من المـرض: "ربمـا كانـت تعالـيم الهندوسية واحدة من أقوى السلاسل التي يقـيد بهـا الشـيطان بني الإنسان ولكن ما يمنحني الراحة هو أنّ الله قادر على أن يحطمها."

إلا أن ولـيم ظـل عاجـزاً طـريح الفـراش في مرضه لا يقدر على فعـل أي شيء سوى الصلاة لأن يتعاطف أحدهم مع العائلة المكلومة ونظراً لحـرارة الجـو فإنـه لابـد مـن دفـن جثمان بيتر في نفس اليوم ولكن من ذا الذي سيقوم بذلك؟

كـان بـيتر طفـلاً صـغيراً واعـداً يحب تعلم الأشياء الجديدة مـثل والـده وبوسـعه تكـلم اللغـة البنغالـية كأهلها. حزن وليم حزناً عميقاً عـلى وفـاة بـيتر إلا أن تداعـيات المـوت عـلى دولـي كانـت مـروعة. لقد اسـتغرق شـفاؤها مـن حـزنها عـلى موت ابنتيها وقتاً طويلاً حتى شفيت عاطفـياً. ولكنها لم تشف بعد وفاة بيتر أبداً، وما زاد من وطأة الأمر عليها أنّ كيتي لم تكن بجوارها لتشد من أزرها و تقاعس المحيطون بها عن مد يـد العـون في الوقـت الصـعب أثـناء الجنازة. وهذا ما أثر بها عليها كثيراً بالإضـافة إلى معاناتهـا الشـديدة مـع الدوسـنتاريا وهذا ما قادها إلى أعماق الحزن والإحباط.

ابـتدأ ولـيم أيضـاً يعـاني مـن الإحباط ولكن لسبب آخر، فلقد صار لـه أربعـة عشـر شهراً في الهند حتى الآن ولم يتلق خطاباً واحداً من إنجلترا. لقد شعر بالعزلة الرهيبة والوحدة القاسية.

الفصل الثاني عشر

الجواسيس

" بكـل تأكـيد أنـتم لم تسـقطونا من ذاكرتكم" هكذا كتب وليم كـاري بخطـه الأنـيق قاصـداً هـؤلاء المكونـين لمجلـس إدارة الإرسـالية في إنجلـترا، راجـياً أن يكونـوا ما زالوا " ممسكين بطرف الحبل" ومحافظين عـلى علاقـتهم بـه كمـا سبق ووعدوه، ولكن كان من الصعب عليه أن تمر أربعة عشر شهراً وهو في الهند ومع ذلك لم يتلق منهم رسالة واحدة أو من أي شخص آخر في إنجلترا.

أما ما لم يعرفه وليم هو أن الحرب بين إنجلترا و فرنسا كانت قـد ازدادت سـوءاً وكنتـيجة لذلـك فـإن السـفن الفرنسية الرابضـة عـلى الشـواطئ الإنجلـيزية صـارت أكـثر شراسة في هجومها على سفن البضائع الإنجلـيزية، تتربـص بهـا ليس قبالة الشواطئ الإنجليزية فقط ولكن على طـول الطـريق الـبحري كلـه إلى الهـند. وفي خـلال عـام ١٧٩٤ أظهـرت الإحصـائيات أن سـفينتين مـن كل ثلاثة سفن إنجليزية متجهة إلى كلكتا تعرضـت للسـلب والقرصـنة من السفن الحربية الفرنسية وبالتالي فلم يكن ولـيم وحـده هو الذي لم يتلق رسائل من إدارة الإرسالية بل إنهم هم أيضاً لم تصلهم أي من الرسائل التي قام بإرسالها إليهم.

وخلال الشهور التسعة التي توقف فيها مصنع الصباغة عن الإنتاج قام وليم بجولات تبشيرية لحوالي مائتي قرية صغيرة تحيط بمونداباتي حيث قام بفحص حقول زراعة نبات النيلة وجمع القرويين وتحدث إليهم عن آلهتهم الهندوسية كاشفاً زيفها موضحاً لهم محبة الله للعالم أجمع ولهم.

ولم يكن د.توماس أقل اهتماماً بالعمل في مويبالديجى حيث افتتح عيادة خيرية هي الوحيدة من نوعها في دائرة قطرها عدة أميال وبالتالي، فكنت تجد منزل د. توماس يعج بالزائرين من المرضى الذين يلتمسون العلاج ليلاً ونهاراً.

استغل كل من د. توماس و وليم بعض ما لديهم من أموال في إقامة مدرسة داخلية كان يحضرها إثنا عشر شاباً. كانت هذه المدرسة تقوم بتدريس العلوم والجغرافيا والكتاب المقدس. وكان رام بوشو مديراً للمدرسة. بينما كان وليم وتوماس يتحملان كل التبعات المالية. كان الأمل يراود الرجال الثلاثة في أن يتخرج من هذه المدرسة قادة مسيحيون للعمل في إقليم البنغال. خطا وليم خطوات واسعة في ترجمة الكتاب المقدس إلى البنغالية ، كما أخذ على عاتقه الالتزام بتعلم لغة السنسكريت. ورغم أنها كانت لغة صعبة للغاية إلا أن وليم أدرك أهمية تعلمها. فهى لغة قديمة جداً نشأت في الهند منذ ألف عام قبل الميلاد، وكثير من اللغات الأوروبية مثل اللاتينية والإنجليزية واليونانية والألمانية تحتوي على

كلمات لها جذور من السانسكريتية. كما أنّ اللغة البنغالية كانت تحتوي أيضاً على كلمات عديدة منها ولعل هذا واحد من الأسباب التي دعت وليم إلى تحمل مشقة عناء دراستها. فعندما يتعلم السانساكريتية سيصير عليه من السهل أن يفك طلاسم بعض المعاني والكلمات البنغالية، كما أنّ سبباً آخر دفعه إلى تعلم هذه اللغة هو أن معظم الكتابات التي يتعامل بها أبناء الطبقة الراقية في الهند تحرر باللغة السانساكريتية، وأدرك وليم أنه إذا أراد أن يصل لشريحة المتعلمين في الهند فعليه أن يقدم لهم الكتاب المقدس بهذه اللغة. وهكذا أضاف إلى أعبائه عبئاً جديداً وهو عبء تعلم هذه اللغة.

شعر وليم بالعرفان لأنه يعمل في شركة شرق الهند إذ أنه في عام ١٧٩٦ نشط إداريو الشركة في البحث عمن لا يحملون تصاريح دخول سواء كانوا من المرسلين أم من الأشخاص الغير مرغوب فيهم لإعادتهم إلى إنجلترا. وعمل وليم في مصنع الصباغة يتيح له حرية التجوال ممارساً عمله التبشيري دون أن يعترضه أحد لإعادته إلى بلاده.

ورغم ذلك فإن وليم أحس بالإحباط إذ أنه لم يربح نفساً واحدة للمسيح حتى الآن. فهو لا يجد صعوبة في جمع القرويين من حوله والذين يصل عددهم إلى مائتين أو ثلاثمائة في بعض الأحيان يجلسون أمامه في هدوء ويستمعون إليه لعدة ساعات، ولكن أحداً لم يعلن إيمانه بالرب يسوع. واعتاد في المصنع أيضاً أن يعقد اجتماعاً صباحياً للعاملين في

المصنع كل يوم، وكلهم يهزون رؤوسهم في حماس عندما يتحدث إليهم عن الله القادر أن يخلصهم من كل خطاياهم، لكن الكل يسمع فقط ولا أحد يعلن إيمانه.

حتى رام بوشو نفسه الذي قدم المزيد من التضحيات في العمل ومساعدة وليم في ترجمة الكتاب المقدس لم يكن راغباً في قطع كل الجسور وإغلاق الباب نهائياً مع الآلهة الهندوس، وإعلان إيمانه ودخول المعمودية.

ظهر بصيص من الأمل في المنزل، فقد تحسنت حالة دولي قليلاً بعد عام ونصف من الاكتئاب وظهرت عليها أعراض حمل جديد. وفي عام ١٧٩٦ وكان وليم قد بلغ خمسة وثلاثين عاماً، ولدت دولي الابن السابع لهما، ولد أسمياه يوناثان وهو طفل ممتلئ ذو صحة جيدة منذ مولده مما جلب السعادة إلى كل المحيطين به، وبصفة خاصة إلى والديه وليم ودولي.

في كل خطاباته السابقة إلى إدارة الإرسالية لم يمل وليم من تكرار رغبته في أن يرسلوا إليه المزيد من المرسلين إلى الهند. ففي البنغال وحدها يحتاج العمل لألف مرسل. كما أرسل وليم أيضاً توصياته بأن يوفد المرسلون في المرات القادمة على أنهم مساعدون للمدير في صناعة الأصباغ وبالتالي يحصلون على تأشيرة الدخول بدون صعوبة ويأتون إليه للعمل معه.

في أواخـر عـام ١٧٩٦ جلـس ولـيم إلى مكتبه مكباً على دراسة السانسـاكريتية وإذا بـه يسـتمع إلى دقـات على الباب. وعندما فتح الباب وجـد جـاره الهـندي وبصـحبته شاب أبيض طويل القامة يقف إلى جواره وإذا بجـاره يقـول: لقـد أتيـت لك برجل إنجليزي وجدته في مالدا يسأل عن منزلك، لذلك أتيت به معي. اندفع وليم في شوق لمقابلة واحد من بني جلدتـه. صـافحه مرحـباً بـه في منزلـه وأبـدى له سـعادة بالغـة وترحيـباً شـديداً، ثـم طلـب إليه أن يجلس ويخبره من هو ولماذا أتى إلى هذا المكان البعيد؟

أخبره الرجل أن اسمه جون فاونتين وأنه المرسل الجديد الذي أوفدتـه إدارة الإرسـالية مـن إنجلـترا . غـادر الجـار الهـندي المكان وظل الـرجلان الإنجلـيزيان يتـبادلان أطـراف الحديـث المشـوق ولا يمـلان مـن توجيه الأسئلة كل إلى الآخر.

علم وليم من جون فاونتين أنه من روتلاند وهي المقاطعة التالية لنورثهامبشـاير، وأنـه يعـرف العديـد مـن أصدقاء وليم. رأى وليم في جون الغـيرة عـلى العمـل فقـد تـرك الـرجل خطيبـته في إنجلترا توفيراً لنفقات السـفر ولـزيد من التوفير وعمل خادماً على السفينة في الرحلة البحرية من إنجلـترا إلى الهـند. ووفقـاً لتأشـيرة الدخـول التي أتى بها يحق له العمل كمساعد مدير في مصنع الصباغة في مودناباتي.

ولأن جون فاونتين أثبت أنه مساعد كفء، أسند له وليم العديد من مسئوليات المصنع مما أتاح لوليم مزيداً من الوقت لأعمال الترجمة.

وفي مارس ١٧٩٧ أصبحت المخطوطة الأولى للكتاب المقدس المترجمة إلى اللغة البنغالية جاهزة للطباعة. وبرز التساؤل كيف ستطبع؟ وأين ستتم طباعتها؟ فقد نصت الخطة الأولى على أن ترسل المخطوطات إلى إنجلترا حيث يتم طباعتها هناك. ولكن في ظل وجود السفن الحربية الفرنسية التي تحوم حول الشواطئ الإنجليزية تم العدول عن هذا الترتيب. استغرق الأمر أكثر من عام من التفكير العميق حتى اقتنع وليم بإمكانية طباعة النسخة الأولى من الكتاب المقدس في الهند. وللمساعدة في إنجاز هذا العمل قام جورج أوندي بشراء مطبعة مستعملة في كلكتا لحساب وليم.

وأخبر وليم جون فاونتين في سرور بالغ أنّ المطبعة ستصلهم خلال شهر وأنها قد شحنت على مركب بالفعل، ولكن هناك الكثير مما يجب عمله استعداداً لوصولها. وأضاف أنه يفكر في أن يضعها في غرفة المائدة أسفل النافذة للاستفادة من الإضاءة الطبيعية.

وما أن انتشرت الأخبار عن المشروع الذي يزمع وليم أن يقوم به في المنطقة حتى عرض عليه أحد أصدقائه أن يقرضه مبلغاً من المال يكفي لشراء نوعية الورق اللازمة لطباعة ألف نسخة من الكتاب المقدس

(ونظراً لحجم الترجمة فكل كتاب مقدس سوف يتكون بالفعل من أربعة كتب منفصلة).

وكانت خطة وليم أن يبيع نصف الكمية حتى يرد القرض ويقوم بتوزيع النصف الآخر.

انتظر وليم في لهفة وصول المطبعة. وما أن وصلت أخيراً حتى فرح بها فرحاً عظيماً لدرجة أن الخدم الهنود اعتقدوا بأن المطبعة فيها نوع من السحر وأطلقوا عليها اسم: "صنم صاحب" على اسم واحد من آلهتهم. اشتاق وليم أن يشرح لهم ليفهموا أن هذه المطبعة أبعد ما تكون عن الصنم لأنها ستطبع كتباً تعلم الناس كيف يتحررون من الأصنام.

وبعد أن تم تركيب المطبعة في غرفة المائدة. قرر وليم أن يسافر بنفسه إلى كلكتا لشراء نوع الرصاص اللازم للطباعة. وأثناء سفره شاهد حادثة كان قرأ عنها لكنه لم يكن قد شاهدها من قبل.

ففي إحدى الأمسيات بعد أن ربط القارب مع مساعده لقضاء الليلة في أحد القرى، أخذ وليم نزهة قصيرة للسير على شاطئ النهر. وإذا به يشاهد جمعاً كبيراً يتجمع في صخب واضح. وبدافع الفضول أخذ يشق طريقة وسط الجموع حتى وصل إلى المقدمة، وهناك رأى كومة من الأخشاب توجد فوقها جثة رجل ميت وبجوارها سيدة ترتدي ملابس بيضاء وكانت المرأة ترقص في نشوة وهي تلقي بعبوات صغيرة من الطعام

على الجموع المحيطين بها من سلة صغيرة تحملها. ورأى الناس يتدافعون لالتقاط هذه العبوات.

أدرك وليم حينها حقيقة ما سيجري، وما هو مزمع أن يشاهده، فوفقاً للتقاليد الهندوسية فإن الزوجة تحرق مع جثمان زوجها أثناء مراسم الجنازة. والهندوس يؤمنون أنه إذا ماتت الزوجة مع زوجها فإنها ستحمله مع عائلته أربعة عشر درجة نحو السماء.

هنا قرر وليم أن يقدم عظته لهذا الجمع والتمس منهم ألا يسمحوا للمرأة أن تقتل نفسها، وترجى المرأة أن تعيد النظر فيما هي مزمعة أن تقوم به، وأخبرها أنه على استعداد تام لأن يتكفل بها لو ابتعدت عن هذه المحرقة. ولكنها لم تلتفت إليه وفي خلال دقائق نامت بهدوء فوق الجثة المسجاة لزوجها الميت ووضعت ذراعيها حول عنقه، وإذا بأعواد سميكة من أخشاب الخيزران وضعت فوقهما أعواد سميكة من الخيزران لدرجة أنه لم يعد للمرأة أي فكاك أو وسيلة للهرب، وسكبوا عليها قدراً من الزبد الساخن ثم أشعلوا النيران في الكومة وابتدأ الحريق. وبدأ القوم يصيحون " هاري بول هاري بول" وهي صيحات هندوسية تعبر عن الفرح والنشوة.

شعر وليم بغصة في حلقه وملأ الحزن نفسه من هذا المشهد المريع وعاد مهموماً إلى القارب وقد آل على نفسه في تلك الليلة أن يفعل كل ما في وسعه للقضاء على هذا التقليد البغيض.

وعـندما عـاد إلى مـنز له بعد رحلته إلى كلكتا وجد وليم خطاباً ينـتظره مـن مجلـس إدارة الإرسالية وفيه يخطرونه بأن مرسلين آخرين في طـريقهما إلى الهـند، وهـنا أدرك ولـيم أن علـيه أن يـأخذ قراراً بترك هذا المكـان نظـراً لأن موقـع المصـنع في موندابـاتي غـير ملائـم حيث أنه يتأثر كـثيراً بفيضـان نهـر تانجان فتغمره المياه وبالتالى تتأثر العملية الإنتاجية، وكنتـيجة لذلـك فـإن أربـاح المصـنع تنخفض. صحيح أنّ الأرباح المحققة تكفـي ولـيم وأسـرته و جـون فاونتين ولكنهـا لن تكون كافية لتقديم الدعم الكافي لعمل الإرسالية. ولقد سبق لوليم أن عاين مصنعاً آخر لإنتاج الصبغة في كـيدربور عـلى بعـد اثـنى عشـر مـيلاً شمـال نهـر تانجان، وحاز على إعجابـه فالـنهر لا يفـيض في هـذه المـنطقة بكـثرة، كما أنه توجد مساحة أرض واسـعة حـول المبـنى الرئيسـي يمكن أن يبني فيها المزيد من المنازل وورشة عمل أيضاً. عندما سمع وليم أن مزيداً من المرسلين في الطريق اتخذ الـرجل قـراره بشـراء هـذا المصنع. إنه قرار جريء ولكن له مزايا عديدة، فلقـد كـبر فلـيكس وأصبح عمره أربعة عشر عاماً، وحان الوقت لأن يعمل ويسـاعد في الإشراف على المصنع. كما أنّ حجم إنتاج المصنع الجديد قادر عـلى أن يمد قاعدة العمل المرسلي في الهند. بالدعم الكافي. قام وليم بسداد الدفعـة المقدمـة مـن المـبلغ الـذي ادخـره مـن عملـه كمديـر للمصـنع في مونداباتي. وبـدأ في إنشـاء مـزيد مـن المـنازل للإقامة إضافة لإنشاء ورشة مستقلة للمطبعة.

وفي ٢٧ أكتوبر ١٧٩٩ قام وليم بإيفاد جون فاونتين إلى كلكتا لاستقبال المرسلين القادمين من إنجلترا فالخطاب الذي وصله يشير إلى أنهما سوف يصلان في هذا الوقت تقريباً رغم أنه لم يذكر بالتحديد اسم المركب التي سيصلان عليها.

وبعد أسبوعين تلقى وليم خطاباً من جون فاونتين يحتوي على جزء من مقالة منشورة في جريدة "كلكتا جازيت" عنوانها "ترحيل مرسلين بابويين إلى وطنهما".

كانت الصدمة عنيفة إذ أنها تتحدث عن المرسلين اللذين أرسل وليم جون لينتظرهما. أما عن سبب الترحيل فقد جاء نتيجة سوء. فهم غريب لطبيعة جنسية المرسلين نظراً للبس في ترجمة كلمة BAPTIST و BAPIST فالأولى تعني معمداني أما الثانية فإنها تعني بابوي أي الانتماء إلى البابا والكنيسة الرومانية الكاثوليكية أي فرنسا التي تحارب إنجلترا أي لأنهما جاسوسين وبالتالي يجب ترحيلهما. وبالتالي فإنّ عدم استيعاب الفارق بين الكلمتين لدى الصحفي نتجت عنه هذه التداعيات.

استطرد وليم في قزاءة الجريدة التي أفادت بأن المرسلين نجحا في الفرار إلى سيرام بور على بعد أربعة عشر ميلاً من كلكتا الواقعة على نهر هوجلى وهى مستوطنة دانمركية. واعتبرت السلطات الهندية قبطان السفينة " كرايتريون" الأمريكية الجنسية والتي جاء على متنها المرسلان،

مسئولاً عن نقل شخصين ربما كانا جاسوسين بدون تصريح إلى الهند وما لم يسلمهما إلى السلطات البريطانية أو يعد باعادتهما إلى انجلترا فإنهم لن يسمحوا لسفينته بأن تحمل بضائع إلى الهند أو تنقل منها أية حمولة.

وازدادت الأمور غموضاً لدى وليم عندما ذكرت الجريدة أنّ فريق المرسلين كان مكوناً من ثمانية أفراد كبار وخمسة أطفال، وتعجب وليم أيمكن أن يكون كل هؤلاء قد أتوا للعمل معه؟ ولم يكن بوسع وليم وهو في مودناباتي أن يفعل أي شيء سوى الصلاة والانتظار لسماع أية أخبار جديدة. وبعد أسبوعين عاد جون فاونتين إلى مودناباتي وليس بصحبته سوى وليم وارد عامل الطباعة الشاب الذي سبق لوليم أن قابله وصلى معه في هول في جولته بإنجلترا منذ ست سنوات.

وكان وليم وارد قد حصل على تأشيرة دانيماركية مؤقتة من الكولونيل باي حاكم سيمافور تتيح له التحرك بحرية في المناطق الإنجليزية.

وشرح وارد تفاصيل الموقف وأفاد بأنه بالفعل يوجد أشخاص ثمانية كبار وخمسة صغار وليس شخصين كما ذكر في خطاب مجلس إدارة الإرسالية. والمجموعة تتكون من وليم جرانت وزوجته وطفليهما ودانيال برونسدون وزوجته وجشوا مارشمان وزوجته حنة وأطفالهما الثلاثة. بالإضافة إلى الآنسة ماري تيد وأخيراً وليم وارد. أصابت المجموعة مأساة كبيرة بوفاة وليم جرانت أثر إصابته بمرض عضال فور

وصولهما إلى سيرامبور، ربما كان التيفود، وهو وباء منتشر في هذا الجزء من الإقليم. لكن الأمر لم يقتصر على الأخبار السيئة إذ أضاف الرجل خبراً ساراً على الأقل بالنسبة لجون فاونتين، فإن الآنسة ماري تيد هي خطيبته التي تركها في إنجلترا، وبالفعل تم زواجهما بعد أسبوع من وصولهما إلى سيرامبور.

اتضحت حقيقة الموقف بعد حديث الرجال فرغم إصرار وليم في خطاباته على أن يحصل المرسلون الموفدون إلى الهند على تصاريح دخول قبل السفر بفترة كافية على أنهم مساعدون للعمل في مصنع الصباغة، إلا أن المتطوعين الجدد للعمل المرسلي قرروا أن يسجلوا أنفسهم على أنهم مرسلون معمدانيون. ويبدو أنهم لم يتفهموا تحذير وليم من أن المرسلين أشخاص غير مرغوب فيهم من قبل السلطات التابعة لشركة شرق الهند. كما أنهم لم يدركوا أبعاد الموقف الحرج الذي وضعوا فيه قبطان السفينة كرايتريون التي أقلتهم وفروا منها قبل أن يلقى القبض عليهم.

وإثر فرارهم من السفينة قامت المجموعة باستئجار قارب صغير استقلوه إلى الجزء الخاضع للسيطرة الدانيماركية في سيرامبور حيث يقيمون الآن في أماكن مؤقتة للإيواء. كما قاموا بزيارة الحاكم الدانيماركي للمنطقة وهو مسيحي مؤمن رحب بهم بحرارة ولكنه لم يستطع أن يمنحهم الأمل بمساعدتهم على الانتقال للمعيشة في الجزء الخاضع للسيطرة الإنجليزية من الهند.

وكبديل لذلك عرض عليهم الإقامة في سيرامبور تحت حماية حكومة الدانمارك. وإعداد التأشيرات الرسمية اللازمة لذلك. وبمجرد إلمامه بتفاصيل ما حدث، أخذ وليم يكتب خطابات إلى شخص يعتقد أن بوسعه المساعدة لحل هذا الأمر في كلكتا ولكن لم يكن بوسع أحد أن يفعل شيئاً وجاءته الإجابة واضحة إن شركة شرق الهند لا تريد للمرسلين أن يدسوا أنوفهم في شئونها بالهند ولا أن يعكروا صفو أعمالها.

ولحسن الحظ فإنه بعد فترة وبعد أن اتضحت حقيقة اللبس في أنّ المجموعة من الإنجليز المعمدانيين وليست من الفرنسيين الكاثوليك كما ذكر مراسل الجريدة، فإن السلطات سمحت لقبطان السفينة كرايتريون أن يفرغ حمولته ويشحن حمولة أخرى من القطن وأن يغادر الميناء بسلام.

وجد وليم نفسه في موقف حرج أمام مفترق طرق، هل يستكمل أعمال الانتقال إلى كيدربور لمصنع الصباغة الجديد أم يغير خطته للإقامة والعمل في سيرامبور حيث منح الكولونيل باي مجموعة المرسلين حق الإقامة هناك تحت حماية حكومة الدانمارك؟.

هناك العديد من الأسباب التي تبرر الاستمرار في عملية الانتقال إلى كيدربور. إذ أنه قام بالاستثمار والإنفاق فعلاً لتطوير المصنع، كما أن أسرته انتقلت للإقامة في المنزل الجديد وتم إعداد المكان الخاص بالمطبعة كما أن حجم الإنتاج بهذا المصنع يكفي للإنفاق على الأسرة كما

يقدم الدعم المالي الكافي للعمل المرسلي المتنامي، كما أن الكثيرين من أهل المنطقة ارتبطوا بالمشروع، وقدم بعض الأثرياء منهم المساعدة لإنشاء مدارس تابعة للإرسالية في منطقة ديناجبور. صحيح أن أحداً لم يتجدد بالمفهوم المسيحي حتى الآن، ولكن الكثيرين سمعوا بشارة الإنجيل وقلب وليم ممتلئ بالأمل بأن الغيث قادم.

وفي نفس الوقت كيف يتنازل عن تصريح العمل الذي يحظى به وهو يعلم أنه لن يحصل على سواه لو غادر المنطقة؟ وكيف سيتم تدبير النفقات اللازمة للعمل المرسلي ولحياتهم لو لم يعمل في مصنع استخراج الصبغة؟

وعلى الجانب الآخر فإن وقت طباعة الكتاب المقدس باللغة البنغالية قد أزف وحان وقت إخراجه للهنود الناطقين بهذه اللغة. ولكن وليم وارد عامل الطباعة مقيم هناك في سيرامبور، كما أن الإرسالية قامت بإيفاد هذه المجموعة الكبيرة إلى الهند وهم ينتظرون منه أن يتولى قيادة هذه المجموعة ولكن كيف يتسنى له أداء هذه المهمة وهو على بعد مائتي ميل منهم؟

اتخذ وليم قراره بعد يومين بالانتقال إلى سيرامبور. ولكن يا ترى هل كان هذا هو القرار الصحيح؟

الفصل الثالث عشر

لقاء المرسلين

قفـز وليم من القارب صوب الضفة الغربية لنهر هوجلي ورأى أمامه علَم الدنمارك ذا اللونين الأحمر والأبيض يرفرف فوق الصاري. وجد في انـتظاره اثنين من المرسلين وهما "جشوا مارشمان" وعمره واحد وثلاثون عامـاً وهـو ناظـر مدرسـة في برسـتول، و"دانـيال براندسـون" وعمره واحد وعشرون عاماً.

كانـت رغـبة ولـيم عارمـة لبدء العمل المرسلي في "سيرامبور". وكـان أول شـيء يحـتاجونه في تلـك الـلحظة هـو مكـان السكن، وبعد أن اكتشـفوا مقـدار ارتفاع إيجارات المساكن في تلك المنطقة، قررت المجموعة أن الأفضـل هـو شـراء مـنزل ضـخم مـبني عـلى فدانين من الأرض، ويقع مباشرة بجوار النهر. واستنفذ هذا المشروع كل ما يملكونه من الأموال التي أتـوا بهـا مـن إنجلـترا بل إنهم اضطروا للاقتراض أيضاً. ورغم أن وليم لا يحب الاقتراض إلا أنه رأى أنهم بشرائهم لهذا المنزل سيوفرون الكثير من النقود في نهاية الأمر.

وفي خـلال أسـبوع صار المكان الجديد معداً لاستقبال عشرة من الكبار وتسعة من الأطفال، والمنزل يحتوي على عدد كاف من الغرف أتاح

لكل عائلة أن تحصل على غرفتين للنوم بالإضافة إلى حجرة استقبال عامة وغرفة لتناول الطعام ومكان للمطبعة بالإضافة إلى مكان للمدرسة.

عقد الكبار عدة جلسات لمناقشة كيفية سير العمل في الإرسالية، ورغم أن وليم كان أطولهم إقامة في الهند إلا أنه كان يصغي إلى كل الأفكار التي كانوا يبدونها. وفي النهاية قرروا أن يتولى كل واحد منهم الإشراف على الأمور الإدارية لمدة شهر وأن توضع كل الأموال التي تصل للإرسالية سواء من مجلس الإدارة في إنجلترا أو الناتجة عن بيع الكتب أو من الرسوم المدرسية من المدرسة التي قرروا بدء العمل فيها في صندوق مركزي واحد خاص بالجماعة، وألا يحتفظ أي واحد منهم بأي مبلغ لنفسه حتى وإن كان هو الذي حصل عليه بنفسه وأن يتناول كل واحد مبلغاً بسيطاً كل شهر لمصروفاته الخاصة.

أدرك وليم أن كل جماعة لا بد وأن يعتريها خلاف في الرأي بين أفرادها قد يزداد ويصل إلى حد الصراع الفكري، ولذلك قرر أن يجتمع الجميع مساء كل سبت لمناقشة المشاكل التي قد تكون ظاهرة أو خفية، وطلب من كل واحد أن يعبر عن نفسه بصراحة وأن يصفح عن الآخرين وأن لا يضمر أي واحد حقداً على الآخر داخل نفسه.

اندفع كل واحد نحو العمل بحماس، وتولى "وليم وارد" أعمال إعادة تركيب المطبعة التي وصلت من "كيدربور" ووافق على البدء في تشغيلها رغم أنها كانت من طراز قديم. وبعد أن تم عمل كل الوصلات

اللازمة لها وضعت في مكانها المخصص لها بالغرفة الخارجية. بدأ العمل في مشروع طباعة النسخة البنغالية من الكتاب المقدس ولم يكن وليم وارد بمفرد، فقد صار له مساعدان هما فليكس ووليم كاري الصغير وكلاهما أعجب بأعمال الطباعة ونفذا بشغف وبكفاءة كل ما يطلبه منهما السيد وارد.

كان وليم كاري و"جون فاونتين" الوحيدين اللذين يجيدان البنغالية وبالتالي كانا يذهبان يومياً إلى مكان السوق القريب لتوصيل رسالة الإنجيل.

اكتسب وليم خبرة طيبة في كيفية بدء الحوار مع الهنود، واعتمد أسلوبه في ذلك على جذب انتباه من يحدثه عن طريق توجيه أسئلة له، إذ يبادره قائلاً: "ما هذه العلامة التي أراها على وجهك؟" فمن عادة البراهمة أن يرسموا علامة بيضاء على جبهتهم".

فيجيب الرجل بفخر إنها علامة" تيلاك" وهذا هو الأسلوب الذي به نعبد آلهتنا، وهذا ما تعلمنا إياه" الشاستراس". يهز وليم رأسه إذ أنه يعلم أن "الشاستراس" هي الكتب المقدسة للبراهمة. وبعد ذلك يستخرج المسيحي؟ إنه يحكي قصة رب كل الخليقة".

ومن ثم يخبر وليم الشخص عن رسالة الإنجيل ويحثه على قراءة الكتاب المقدس الذي يمسك به.

بتوجيه أسئلة كهذه، كان وليم يستطيع أن يخبر أناساً كثيرين عن الإنجيل. وكان عدد كبير من الناس يجدون متعة في الاستماع لما كان يقوله، ومع ذلك لم يكن هناك متجددين بعد!

أما جشوا مارشمان فقد سابق الزمن لبدء مشروعه، إذ تقرر أن يكون هو المسئول عن إنشاء مدرسة للبنين وللبنات في المقر المرسلي، ونشر إعلاناً عن هذه المدرسة في جريدة (كلكتا جازيت) وسرعان ما امتلأت المدرسة بالتلاميذ. وكان أكثر الناس سعادة بذلك هم موظفو شركة شرق الهند إذ أنهم وجدوا مكاناً يتلقى فيه أبناؤهم التعليم في الهند بدلاً من أن يتكبدوا مخاطر رحلة بحرية صعبة إلى إنجلترا لينالوا التعليم الجيد. واحتوت الدراسة في هذه المدرسة على المواد الدراسية الأساسية لتعليم القراءة والكتابة والحساب وإمساك الدفاتر، والجغرافيا. وقدمت دروساً لتعلم اللغات اللاتينية واليونانية والعبرية والفارسية والسانساكريتية.

وأظهرت "حنة مارشمان" مقدرة فائقة لاحظها كل المحيطين بها وعلى العكس من دولي كانت مرسلة حقيقية تدعم زوجها المرسل في كل دقائق العمل، وعملت بجانبه واعتبرت نفسها المسئولة عن مدرسة البنات التي يديرها زوجها كما اهتمت برعاية ابني وليم كاري الصغيرين "جابيز" و "يوناثان" اللذين كانا يفتقدان رعاية والدتهما التي أصابتها نكسة جديدة بالنسبة لحالتها النفسية، ولم تكن تغادر غرفتها إلا نادراً وبالتالي لم تكن تعرف شيئاً عن مدى احتياج طفليها لها.

أنجـز "جشوا حنة مارشمان" ما لا يقدر على إنجازه كتيبة من الـرجال. وفي خـلال شهر من افتتاح المدرسة تم افتتاح مدرسة ثانية لأبناء الهـنود. تتم الدراسة فيها باللغة البنغالية وتم تسجيل أربعين تلميذاً فيها خلال أسبوع.

وبالطـبع فـإن السـعادة مـلأت قلـب وليم فعجلة العمل بدأت أخـيراً في الـدوران بشكل صحيح، وأصبحت هناك أمور إيجابية يمكن أن يكتـب عـنها تقريـر إلى مجلس إدارة الإرسالية. نعم لم يكن الطريق سهلاً واكتنفته صعاب كثيرة ولكن ثمار العمل بدأت تظهر للعيان.

وبعـد شـهرين مـن الاسـتقرار في "سيرابور"، أدرك وليم مدى صـحة قـراره بالرحـيل عـن كـيدربور. إذ عاد "جورج أوندي" إلى إنجلترا وحـل محلـه ممـثل تجـاري جديـد غـير مقتـنع بـالعمل المرسـلي بل إنه يقاومـه، ولذلـك مـنع أي مرسـل من أن يقـدم عظاته في القرى الواقعة في نطـاق عملـه ولـو ظـل ولـيم هـناك لما كـان في وسـعه الاسـتمرار في العمل المرسلي.

وفي نفـس الوقـت فـإن الحـاكم العـام للإقلـيم الخاضع لسيطرة الانجلـيز، لـورد ولـزلى قـرأ مقـالات صـحفية أغضبته، فأصدر على إثرها قـراراً بـإغلاق كافـة المطـابع خـارج مدينة كلكتا. وبالتالي لو بقي وليم في كيدربور لوقعت المطبعة تحت الخطر العسكري، ولما كان بوسعه الاستمرار في مشروع طباعة الكتاب المقدس باللغة البنغالية.

أدرك وليم وارد أن طباعة الكتاب المقدس في أربعة أجزاء في وقت واحد عمل صعب ويستغرق وقتاً، لذلك طرأت على ذهنه فكرة رائعة وهي البدء بطباعة الأناجيل، وإنجاز هذا المشروع يستغرق وقتاً أقل وأموالاً أقل. وسرعان ما خرجت مئات من النسخ من الأناجيل إلى النور. لم يمض وقت طويل حتى احتاجوا إلى تعيين عمال جدد من الهنود للمساعدة في أعمال المطبعة، وسرعان ما أصبحت المطبعة تضم منضد حروف، وخمسة عمال طباعة، وعاملان لتجليد الكتب، بالإضافة إلى وليم وارد ودانيال براتسدون وفيلكس ووليم الصغير، وبلغت الطاقة الانتاجية للاثنى عشر عاملاً ستة آلاف فرخ ورق أسبوعياً، وهذا الرقم يفوق ما تخيل وارد أنه في طاقة البشر انجازه في حدود الامكانيات المتاحة.

إلا أن أجور العمال الهنود بخلاف شراء الورق والأحبار، أثر على الاعتمادات المخصصة لشروع الطباعة. وهنا قدم وليم وارد فكرة جريئة أخرى. كان وليم كاري قد ذكر أن عدداً كبيراً من الموظفين في شركة شرق الهند يؤيدون العمل المرسلي بقلوبهم. وهنا تساءل وليم قائلاً: "لماذا لا نتيح لهم الفرصة لتقديم المساعدة؟" وسرعان ما خرجت هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ، وتم نشر إعلان في "كلكتا جازيت" يطلب من القراء أن يتبرعوا لعملية طباعة الكتاب المقدس باللغة البنغالية نظير اشتراك قدره أربعة جنيهات يمكن للمشترك أن يحصل على نسخة من

الكـتاب فـور طباعته والفائض من الاشتراك يتم توجيهه لطباعة المزيد من النسـخ. لاقـت هـذه الفكرة نجاحاً هائلاً وتدفقت الأموال اللازمة لاستمرار مشروع الطباعة.

وعـندما نما إلى علم الحاكم العام خبر هذا الإعلان انتابته ثورة عارمـة. إذ كـيف تظـل مطـبعة تعمل خارج نطاق مينة كلكتا على خلاف المرسـوم الـذي سـبق لـه أن أقـره؟ ولمـاذا يكـون لهؤلاء الانجليز مطبعة في سـيرامبور؟ وأصــدر أوامره للقس براون واعظ الجيش في قلعة وليم أن يأتي لمقابلـته فـوراً لمناقشـة هـذا الأمـر والقـس براون هذا هو نفس الرجـل الذي أغلـق الـباب في وجه وليم منذ سبع سنوات مضت عندما توجه إليه طالباً المعونـة عند وصوله إلى الهند. ولم يكن وليم من نوعية الرجال التي تحمل أحقـاداً بـل على العكس فإنه اتخذ قراراً في ذلك اليوم بأن لا تظل في قلبه أية مرارة تجاه هذا الواعظ، وتأكيداً لموقفه هذا فقد قام بزيارة القس براون بعـد وصـوله إلى سـيرامبور وصار الرجلان صديقين، وداوم وليم على زيارة القـس بـراون لـيطلعه عـلى آخر أخبار الإرسالية في سيرامبور. ولذلك كان بوسع القس براون أن يؤكد للحاكم العام أن وليم وجماعته يعتزمون طباعة الكـتاب المقـدس فحسـب في المطـبعة الـتي يديرونها، وأن هذه المطبعة لن تسـتغل أبـداً في توجـيه الـنقد لـلحكومة البريطانية أو لشركة شرق الهند. وهـدأت ثـورة الـرجل بعـد سماعه لهذه الأخبار، إلا أنه منذ تلك اللحظة بدأ يظهر اهتماماً إيجابياً بما تقوم به هذه الجماعة.

وقام مجلس إدارة الإرسالية في إنجلترا بإرسال سبعة رجال مع عائلاتهم حتى عام ١٨٠٠ وفي أغسطس من نفس العام لم يبق منهم في العمل المرسلي سوى خمسة، فلقد توفي وليم جرانت بعد عشرين يوماً من وصوله إلى الهند وترك د. توماس العمل في الإرسالية وفي مصنع الصباغة وانطلق في عمل مربح لتقطير الخمور. وكانوا على وشك أن يفقدوا رجلاً آخر فيما بعد، إذ أصيب جون فاونتين بالدوسنتاريا أثناء واحدة من رحلاته التي أعتاد القيام بها إلى القرى المحيطة بمنطقة مودناباتي وكانت الإصابة شديدة ومات على أثرها. ولم يكن قد مضى على زواجه من ماري أكثر من تسعة شهور، وبعد عدة شهور أخرى تزوج وليم وارد من "ماري فاونتين".

مثل أكتوبر عام ١٨٠٠ علامة بارزة في حياة عائلة كاري ففيه تكتمل سبع سنوات على وصول هذه العائلة إلى الهند كانت الأمور صعبة ومحبطة في الفترة الأولى، وبصفة خاصة في السنة الأولى. ولكن وليم بدأ يشعر مؤخراً بأن الأمور أصبحت تسير في مسارها الصحيح فقد أصبح يتحدث البنغالية والسانساكريتية بطلاقة، وأصبح محاطاً بفريق من المرسلين يديرون سوياً مدرسة إنجليزية، ومدرسة أخرى لأبناء الهنود بنجاح. وهناك مطبعة لا تكف عن الدوران لتنتج كميات وافرة من نسخ الكتاب المقدس باللغة البنغالية.

إلا أن أمراً واحداً لا يزال يفتقده، فإن أحداً لم يتجدد بعد. انتاب وليم القلق إذ أن عدم وجود متجددين قد يؤثر سلبياً في مجلس إدارة الإرسالية بإنجلترا فتكف عن إرسال مزيد من المرسلين ومزيد من الاحتياجات والأموال. ولكن هذا الوضع أضحى على وشك أن يتغير فإن واحداً من النجارين من سيرامبور اسمه كريشنا بال أخذ أولاده للسباحة في نهر هوجلي وانزلقت قدمه من على السلم المؤدي للنهر وسقط وخلع كتفه، ونظراً لأنه لم يكن بعيداً عن مقر الإرسالية، أرسل أكبر أبنائه لطلب المساعدة، وحدث بالمصادفة أن د. توماس كان في زيارة لها، فذهب برفقة وليم وجشوا مارشمان لنجدة الرجل. تعاون الرجال لمساعدته مساعدة شملت تقييده إلى شجرة حتى لا يتمكن من الحركة إلى أن يستطيع د. توماس إعادة الكتف المخلوع إلى مكانه. وبينما جلس كريشنابال أسفل الشجرة يعاني من الآلام المبرحة التي ألمت به أثناء علاجه، جلس د.توماس إلى جواره يبشره الإنجيل واستمع كريشنا إلى ما يقال في هدوء كما يفعل بقية الهندوس ولم يقل شيئاً. وفي اليوم التالي قام وليم بزيارته في منز له ليطمئن على كتفه وليدعوه للحضور لمقر الإرسالية. وبالفعل لبى كريشنا الدعوة وأتى في نفس الليلة بصحبة صديق له اسمه جوكول. تكررت زياراتهما فيما بعد للإرسالية في اليوم التالي واليوم الذي يليه. والواقع أن كريشنا وجوكول ظلا يترددان على الإرسالية بعد شفاء كتف الأول ليستمعا إلى حديث المرسلين عن إلههم المحب.

وأخيراً وقبل احتفالات أعياد الميلاد في عام ١٨٠٠ أعلن "كريشنابال" و"جوكول" رغبتهما في اعتناق المسيحية وكان يوماً مشهوداً في حياة وليم فأخيراً وبعد سبع سنوات من العمل تجدد اثنان من الهند وصارا مسيحيين.

ولكن السؤال الجاد الذي طالما دار في عقول المرسلين هو أنه هل من الممكن للهندوسي الذي يعتنق المسيحية أن يتسلح بالشجاعة اللازمة ليعلن إيمانه ويكسر قواعد الشريعة الهندوسية؟

تمت الإجابة على السؤال عندما قام د. توماس الذي كان مستمراً في زيارته للإرسالية بدعوة الرجلين لتناول الطعام مع المرسلين. في الظروف العادية فإن تلبية مثل هذه الدعوة يعد ضرباً من المحال فلا يمكن للهندوسي أن يحطم التقاليد المقدسة بتناول الطعام مع شخص غير هندوسي، ولدهشتهم البالغة فإن الرجلين قبلا الدعوة طائعين وجلسا وأكلا مع أصدقائهما. صدم هذا التصرف الخدم الهنود المتواجدين في المنزل، وسرعان ما انتشرت الأخبار كالنار في الهشيم في القرية وكيف أن اثنين من الهندوس أكلا مع المرسلين الأجانب. وعندما غادر الاثنان مقر الإرسالية بعد الظهر أن كل من كان يعيش في "سيرامبور" عرف بما فعلاه.

وملأ الغضب قلب الكثير من الهندوس، إذا كيف يجرؤ اثنان من أبناء الطائفة على كسر قواعدها المقدسة بصورة علنية، وتجمع بعضهم

حول منزل كل منهما ليرجموه بالحجارة عند وصوله وعندما دخل "جوكول" بصعوبة إلى داخل منز له وجد زوجته وأمه تحزمان حقائبهما، فلقد عرفت السيدتان بالأنباء المرعبة، وقررتا ألا تبقيان في منزل واحد مع هذا الرجل بعد ما فعله.

إلا أن "راسو" زوجة "كريشنابال" وبناته الأربع لم يغادرن المنزل، ولكن الرعب انتابهن وخفن أن يُقتلن من قبل الجموع الغاضبة التي تجمعت حول المنزل في غوغائية.

وفي اليوم التالي سيق "كريشنابال" وزوجته وابنتهما الكبرى إلى السجن، وذلك لأن ابنته الكبرى التي لم تكن بعد قد بلغت السادسة من عمرها كانت على وشك الزواج من صبي في كلكتا لم يسبق لها أن رأته. وعدم رؤيتها له عادة في التقاليد الهندوسية أمر غير مهم طالما أن اتفاق الأهل قائم. ولأن اتفاق الأهل قائم فهذا معناه أن عقد الزواج يعد رسمياً. ولأنه خلال أربع وعشرين ساعة وصلت أخبار الرجلين المسيحيين في سيرامبور إلى كلكتا ولما وصلت الأخبار إلى والد الصبي الذي سيتزوج ابنه من بنت كريشنا استشاط غضباً وقال إن هذه الفتاة لن تصلح للزواج من ابنه إذا استمرت إقامتها مع والدها الذي تحول إلى المسيحية. فاندفع الرجل غاضباً ليحضر عروس ابنه من بيتها.

وعند وصول الوالد إلى "سيرامبور" كان "كريشنا" بال قد فرغ لتوه من الحديث مع أسرته عن إيمانه بالمسيحية. وقررت الأسرة أن تفكر

بجديـة في أن تحـذو حـذوه، وبالـتالي فإن زواج الابنة من صبي هندوسي أمـر غـير مرغوب فيه. وعندما علم والد العريس بذلك ازداد حنقاً وحرض الجمـيع على اقتيادهم إلى القاضي الذي أمر بسجنهم بحجة عدم التزامهم بعقد الزواج.

بمجـرد أن سمـع ولـيم وجشـوا مارشمـان بالأخـبار أسـرعا إلى محافظ المنطقة الكولونيل باي راجين مساعدته. وأمر المحافظ بالإفراج عن المسجونين الثلاثة إلى حين دراسة الأمر برمته.

في خـلال سـاعات السـجن قررت راسو وابنتها الكبرى اعتناق المسـيحية وهـو نفـس القـرار الـذي اتخذته البنات الثلاث الأخريات فيما بعد.

تلقي وليم هذه الأخبار وقد ملأه الحماس فقد صار هناك سبعة مسـيحيين من أصل هندوسي في منطقة البنغال.

وفي ٢٨ ديسـمبر عـام ١٨٠٠ أقـيم احـتفال لإجـراء مراسـم المعموديـة وقـد وافـق المسـيحيون السـبعة الجـدد عـلى أن يعمدوا إلا أنهم عـندما شاهدوا الجموع الغفيرة من الهندوس والإنجليز وقد تجمعوا حولهم عـلى بعـد خطـوات مـن نهـر هوجلي ليشاهدوا الاحتفال، فإن ستة منهم خافوا وتراجعوا مخافة أن تقتلهم الجموع الغاضبة.

وفي الـنهاية، عمد وليم كاري كريشنا بال وفيلكس ابنه فقط في ذلـك الـيوم. وشـرح ولـيم معـنى المعموديـة بالإنجلـيزية عند عماد فيلكس

وبالبنغالية عند عماد كريشنا. ثم رنموا ترنيمة بالإنجليزية وأخرى بالبنغالية كتبها رام بوشو.

وبعد خروج فيلكس وكريشنا بال من مياه نهر هوجلي بعد العماد استقبلهم الكثير من الرجال والسيدات الإنجليز والأوروبيون مرحبين بهم كأخوة مسيحيين وكان ضمن هؤلاء المحافظ باي الذي طفرت الدموع من عينيه وهو يصافح كريشنا بال.

وكان ضمن الجمع أيضاً شارلوت رومهر والتي تقطن في منزل ضخم بجوار الإرسالية وهي سيدة غنية متعلمة تحمل لقب كونتيسة من الدنمارك. إلا أنها معتلة الصحة وقد أتت إلى الهند لعلها تنال الشفاء في جو الهند الدافئ.

ولم يسبق لشارلوت رومهر أن كانت لها اهتمامات دينية إلى أن ابتدأت في تلقي دروس في اللغة الإنجليزية على يد وليم كاري. وما أن أطلعت على العمل الذي يقوم به وليم وبقية المجموعة من المرسلين أعجبت بالعمل جداً وسرعان ما اندمجت في نشاط الإرسالية.

عندما خلد وليم كاري للنوم في تلك الليلة كان رأسه لا يزال يعج بتفاصيل ما حدث في ذلك اليوم. وبدأ يفكر فيما ينتظر العمل في الإرسالية في المستقبل خاصة بعد أن صار بينهم أول هندوسي متجدد وصارت الأمور حول مبنى الإرسالية متوترة أكثر من أي وقت مضى.

نعم لقد كانت هناك تغييرات كثيرة في الانتظار.

الفصل الرابع عشر

الأستاذ الجامعي

لـن ينسـى قاطـنو مبـنى الإرسـالية في سـيرامبور يوم ٥ مارس ١٨٠١ فـبعد أن تمـت طـباعة الأناجـيل ونشـرها كل على حدة، وبعد أن تمـت طباعـتها في مجلـد واحـد تـوج العمـل بطباعة العهد الجديد باللغة البنغالية في هذا اليوم المشهود.

وضـع الكـتاب ذو الغـلاف الجلـدي الأسـود الرائع على مائدة العشـاء الـرباني في حجرة الصلاة والتف الجميع حوله يقدمون صلاة شكر للرب الذي ساعدهم حتى تم إنجاز هذا العمل.

كـان أكـثر القلـوب شـكراً للـرب واعترافاً لجميله في هذا اليوم الـتاريخي، هو قلب وليم كاري، فهذا المجلد الذي يحتفلون بخروجه من المطبعة إلى النور يمثل بالنسبة له ثمانية أعوام من العمل الجاد ناهيك عن خمسة عشر شهراً في أعمال جمع الحروف والطباعة والتجليد تحت قيادة ولـيم وارد في المطـبعة. وبالـرغم مـن الشعور الرائع بعظمة الإنجاز في ذلك الـيوم فـإن واحداً من المحتفلين لم يكن يعلم بالدور الذي سيقوم به العهد الجديد باللغة البنغالية في إنقاذ الإرسـالية فيما بعد.

أما على الجانب الآخر البعيد من المحيط في أوربا فإن الموقف انحدر من سيئ إلى أسوأ فقد استمرت الحرب بين إنجلترا وفرنسا لسنوات طوال بالإضافة إلى أن نابليون بونابرت القائد الفرنسي قاد جيوش بلاده إلى العديد من الانتصارات على كثير من دول أوربا.

ونظراً لحالة الضيق الشديد التي انتابت إنجلترا من جراء هذا إضافة إلى ما أصابها من قلق من جراء الاعتداءات الكثيرة التي وقعت على السفن التي ترفع العلم الإنجليزي، فإن إنجلترا منحت نفسها الحق في تعقب أية سفينة في أعالي البحار للتأكد من أنها ليست سفينة معادية وأنها تخلو من القراصنة. وتحالفت روسيا والسويد والنمسا والدنمارك وكونت ما يسمى دول الحياد المسلح الشمالي لمقاومة المحاولات الإنجليزية لاعتراض سفنهم. ولكن إنجلترا تعاملت مع هذا التحالف على أنه يتآمر مع فرنسا لتدمير الأسطول البريطاني وتصاعد التوتر بين الجانبين بصفة مستمرة.

ولكن، وصلت هذه الأنباء إلى الهند بعد مرور فترة على وقوعها، ولذلك سارت الأمور في مجراها المعتاد. وبمجرد أن تمت طباعة وتجليد أعداد مناسبة من العهد الجديد باللغة الإنجليزية، سارع وليم بتسليم نسخة إلى كل شخص سبق وأن اشترك في هذا العمل قبل الطباعة، كما قام بتقديم نسخة لبعض الشخصيات الهامة والتي لها علاقة بعمل الإرسالية. وتم إرسال نسخة إلى صاحب الجلالة ملك

الدانمارك مصحوبة بخطاب شكر للحماية التي تسبغها حكومة جلالته على مقر الإرسالية في سيرامبور. كما تم إرسال نسخة إلى القس براون في كلكتا، وهذه النسخة بالذات هي التي لعبت دورها في الحفاظ على عمل الإرسالية في هذا المكان.

تغيرت الكثير من الأمور في كلكتا، فقد ساور القلق حاكمها الجديد "لورد ولزلي" الذي اتسم بالحكمة ورجاحة العقل، من جراء ضحالة الفكر الذي عانى منه الموظفون الصغار الجُدد الذين ترسلهم إنجلترا للعمل في الهند. فقد كان معظم هؤلاء الموظفين من أبناء العائلات الثرية وهم صغار في حدود الخامسة عشر، ولم يبدأوا حتى تعليمهم الجامعي دع عنك استكماله، ليقوموا بأعمال الإدارة المحلية هناك. وكان بمجرد وصول هؤلاء الشباب إلى الهند أنهم يشغلون وظائف حكومية لا تستغرق سوى ساعات قليلة من النهار، وفي نفس الوقت يتقاضون عنها أجوراً ممتازة. بالإضافة إلى ما يخصص لهم من خدم يقومون بأعمال النظافة وإعداد الطعام والعناية بالمنزل. ونتيجة لهذا أصيب هؤلاء الشباب بداء الكسل والتراخي ولم يعد لهم ما يشغلون به وقت فراغهم سوى الانهماك في سباق الخيل وألعاب القمار وحفلات الشراب واللقاءات السرية مع النساء الهنديات.

وكان هؤلاء الشباب يتلقون ترقيات مستمرة وسريعة في أعمالهم ويحلون بسرعة محل رؤسائهم الذين يحالون إلى المعاش ويعودون

إلى إنجلترا أو يلقون حتفهم من جراء الأوبئة الاستوائية. فكنت تجد شاباً في حدود الخامسة عشرة من العمر يشغل منصب قاض أو منصباً آخر رفيع المستوى رغم أنه لم يتلق التدريب الكافي الذي يؤهله للقيام بمهام الوظيفة. ولم يكن لدى هؤلاء الشباب أي إدراك لثقافة أو لغة أو عادات وتقاليد الشعب الذي يحكمونه لذا فقد اقترفوا الكثير من الأخطاء العديدة نتيجة لسوء الفهم.

لذا قرر اللورد ولزلي حل هذه المشكلة، عن طريق إنشاء جامعة يلتحق بها الموظفون الجدد لمدة عامين، بعدها يعينون في الوظائف المناسبة لهم. وخلال دراستهم الجامعية يقومون بدراسة تاريخ وجغرافية الهند بالإضافة إلى ثقافة البلاد وبعض اللغات. وبذلك تتاح للشباب فرصة بناء أنفسهم، وفي نفس الوقت تتاح للأساتذة بالجامعة الفرصة لاختيار النابغين منهم وترشيحهم للعمل في الوظائف الأكثر أهمية. بدت هذه الفكرة رائعة، إلا أن المسئولين عن شركة شرق الهند قاوموا فكرة إنشاء الجامعة، لا لأنها تستلزم ميزانية خاصة، بل لأنه كان من وجهة نظرهم أنه من غير المهم إن كان الشعب الهندي راضياً عن حاكميه من الإنجليز أم لا، فالمهم هو المعاملات التجارية.

ولكن لورد ولزلى صمد أمامهم، مؤكداً على أن الموظفين الوقحين والكسالى يكونون أكثر وقاحة وكسلاً عند حصولهم على السلطة. وهذا الأمر قد يقود الشعب الهندي في النهاية إلى التمرد والثورة، واستغل

اللورد سلطته كحاكم عام في إصدار أوامره بإنشاء هذه الجامعة لتدريس صغار الموظفين.

وهكذا صدر مرسوم إنشاء هذه الجامعة على أن يتولى عمادتها القس براون، وبالفعل تم بناء وتأسيس جامعة على غرار جامعتي أكسفورد وكمبريدج في إنجلترا واندرج تحت لوائها مائة طالب من كلكتا وبومباي ومدراس.

وعند افتتاح الجامعة فإن لورد ولزلي لم يكن يعرف رجلاً أوروبياً واحداً في الهند بكاملها يجيد اللغة البنغالية أو السانساكريتية ليقوم بتدريسها للطلاب الجدد. إلا أن القس براون أراه نسخة العهد الجديد المترجمة إلى البنغالية التي تلقاها من وليم كاري وعندما تصفح الرجلان النسخة بين أيديهما وقلبا أوراقها، اتفقا فيما بينهما على أنه ربما وجد في الهند ذلك الأوروبي القادر على تدريس البنغالية للموظفين الجدد.

تلقى وليم كاري خطاباً أرسله القس براون مع مبعوث خاص، وما أن قرأه حتى صاح بصوت عال ضاحكاً: "أنا محاضر في الجامعة" وأردف قائلاً: لابد أن القس براون لا يعلم أنني أنا نفسي لم يسبق لي الالتحاق بجامعة، وما أن أخبره بذلك حتى يكتشف حتماً أنني لست الرجل الذي يبحث عنه".

فلقد اقتصر تعليم وليم في الحقيقة على حضور مدرسة الكنيسة التي كان يديرها والده حتى بلوغه الثانية عشر، ومنذ ذلك الحين لم ينتظم أبداً في دراسة رسمية صحيح أنه رسم راعياً لكنيسة معمدانية ولكن على الرغم أن الكنيسة الانجليكانية التي ينتمي لها القس براون تشترط الالتحاق بكلية اللاهوت قبل الرسامة، إلا أن الكنيسة المعمدانية لا تشترط ذلك.

وحتى لا يظهر بمظهر من لا يقدر الدعوة الموجهة إليه قرر وليم أن يستقل قارباً من قوارب الإرسالية ويجدف حتى كلكتا ليشرح الموقف بنفسه للقس براون. وهذا ما حدث فعلاً لكن ما أن فعل هذا حتى فوجئ بأن القس براون على دراية جيدة بحقيقة الأمر، وأن وليم لم ينل قسطاً كبيراً من التعليم الرسمي سوى ما ناله من تعليم في مدرسة الكنيسة في بوليرسبوري. ولكنه أخبره بأن الرجل الأوروبي الوحيد في الهند الذي يعرف عادات البلاد ولغتها للدرجة التي تتيح له أن يدرسها للآخرين. ولقد مكث العديد من الأوروبيين في الهند لفترات أطول منه ولكنهم عاشوا منعزلين عن الشعب يحيط بهم الخدم والحشم وهم ينتمون أكثر إلى الطبقة الإنجليزية المترفعة عن المجتمع والتي لا تدري شيئاً ولا تهتم أيضاً بالشعب الهندي، ولكن وليم على عكس ذلك عاش بينهم وتكلم لغتهم وقرأ أدبهم وتعلم كيف يتحدث ويفهم على طريقتهم .

ولذلك فإن القس براون قام بترشيحه لتدريس اللغة البنغالية والسانساكريتية في الجامعة الوليدة، ولكن وليم لم يقبل بذلك على الفور، ولكنه قرر أن يعود ليعرض الأمر على زملائه في الإرسالية قبل أن يعطي وعداً بقبول الدعوة.

صاح جشوا مارشمان قائلاً: "يا لها من فرصة رائعة" بعد أن استمع من وليم إلى تفاصيل محادثته مع القس براون وبعد عدة أيام من الصلاة ومن التفكير في الأمر، قرر وليم أن يقبل الدعوة وصار الرجل الذي غادر المدرسة في الثانية عشرة من عمره على وشك أن يكون المسئول الأول عن قسم اللغات في جامعة قلعة وليم!

وقبول وليم لهذه المهمة جاء في اللحظة المناسبة تماماً إن لم يكن في آخر لحظة، فبعد أربعة أيام فقط وفي منتصف ليلة الثامن من مايو ١٨٠١ زحفت قوات الجيش الإنجليزي على سيرامبور واحتلتها دون أن تطلق رصاصة واحدة. وفي صباح اليوم التالي تم استدعاء كل الأوروبيين المقيمين فيها للمثول في قصر الحاكم حيث تم إخطارهم بأن الأسطول البريطاني بقيادة الأدميرال نيلسون قد هزم الأسطول الدانماركي في موقعة كوبنهاجن (وكانت المعركة قد جرت في شهر إبريل السابق، واستغرق الأمر شهراً حتى تصل الأنباء إلى الهند)، وكنتيجة للحرب المشتعلة بين إنجلترا والدنمارك، تم الاستيلاء على سيرامبور واحتلالها. أنزل العلم

الدانمركي ورفع علم المملكة المتحدة مكانه. وأعلن رسمياً أن سيرامبور مستعمرة بريطانية، وتم وضع الحاكم الدانمركي في السجن كأسير حرب.

لم يكن قد مضى على المرسلين سوى ثمانية عشر شهراً منذ فرارهم إلى سيرامبور خشية القبض عليهم من قبل الإنجليز وإعادتهم لبلادهم، وها هم وبسبب الحرب في أوربا يعودون ثانية ليقعوا تحت سلطان القوات الإنجليزية. ولم تعد لهم الآن أية حماية، وصاروا عرضة للترحيل ثانية لإنجلترا. ولكن عاملاً جديداً ومهماً قد ظهر على السطح، فإن قائد الإرسالية هو أحد أساتذة جامعة قلعة وليم الجديدة، وهو المشروع الذي يحظى برعاية خاصة من اللورد ولزلي الحاكم العام، وبالتالي ولدهشتهم البالغة فإن أحداً لم يتعرض للإرسالية ولمشروعاتها أو لترحيل أي من أعضائها لإنجلترا. وطالما ظل وليم قائماً بالتدريس في الجامعة فإن أعضاء الإرسالية يلقون كل الترحيب في الهند.

ورغم أن وليم يقوم بعمل رئيس قسم اللغات في الجامعة فإن لقبه الرسمي هو معلم. نظراً لأنه منصب حكومي ولكون وليم لا ينتمي إلى كنيسة إنجلترا، فلم يكن متاحاً له أن يحظى بلقب "أستاذ كرسي". وصحبت الوظيفة العديد من المميزات تشمل غرفة خاصة للمعيشة، ووجبات طعام مجانية في مطعم الجامعة ومرتباً بمبلغ خمسمائة روبية أو ما يعادل خمسة وستين جنيهاً شهرياً.

ونظراً لأن اتفاقاً قد أبرم في مقر إدارة الإرسالية في سيرامبور عند إنشائها ينص على أن توضع كل المبالغ التي يحصل عليها أي فرد في حساب مشترك فقد حول وليم مرتبه بكل سرور إلى هذا الحساب واستغل معظمه في شراء الورق ودفع أجور العمال الهنود الذين يساعدون وليم وفليكس في المطبعة.

وسرعان ما وضع وليم لنفسه نظاماً اتبعه بدقة وهو أن يستقل قاربه مساء كل اثنين قبل غروب الشمس مبحراً نحو كلكتا والمكوث هناك ممارساً أعمال التدريس حتى مساء الجمعة، ليعود مرة أخرى لرؤية عائلته والقاء العظات في سيرامبور. ويقوم وليم وارد برعاية ولدية الكبيرين أثناء غيابه، حيث صار فيلكس مساعداً متفرغاً لوليم وارد في إدارة شئون المطبعة بينما عمل معهما لنصف الوقت وليم الصغير بعد عودته من المدرسة، وقد صار عمره ثلاثة عشر عاماً ويعمل في قسم التجليد أما جابيز (ثمانية أعوام) ويوناثان (خمسة أعوام) فقد كانا تحت الرعاية الحانية والحازمة لحفة مارشمان التي أخذت على عاتقها أيضاً رعاية السيدة دولي أثناء غياب زوجها. أما دولي فكانت شبه فاقدة لصوابها في ذلك الحين ويجبرها مرضها على أن تظل حبيسة غرفتها.

سرعان ما انتهت الحرب بين إنجلترا والدانمارك، وبعد ستة شهور أعاد الإنجليز مقاطعة سيرامبور مرة ثانية لحكومة الدانمارك.

في نفس الوقت عاد العمل في الإرسالية للنمو مرة ثانية، ووجدت زوجة كريشنا بال وبناته الشجاعة ليعتمدن. وكذلك فعلت زوجة جوكول وتم طباعة وتوزيع آلاف النسخ من أجزاء من الإنجيل، وبدأ العديد من الهندوس الذين كانوا يرتابون في الاتصال بالاوروبيين يتجهون في سريّة إلى بيت كريشنا بال ليتناقشوا معه حول المسيحية.

واعترت حياة الإرسالية أوقات سيئة أيضاً ففي يوليو ١٨٠١ توفي دانيال برانسدون أثر مرض قصير. وبعد ثلاثة أشهر توفي د. توماس. وبالرغم من صعوبة العمل مع د. توماس، فقد كان لهذا الرجل فضل الإيحاء لوليم كاري بالذهاب للهند. كما أنه لعب دوراً حيوياً في ربح أول نفس هندوسية للمسيح. وبالرغم من تصرفاته المزعجة في بعض الأحيان فإن د. توماس ظل مخلصاً حتى النهاية كما كان كريماً في عطائه للإرسالية رغم أنه رحل مخلفاً وراءه العديد من الديون.

ازداد قلق وليم، فهناك الكثير مما كان يجب عمله ولم يكن هناك إلا القليل من المرسلين لتنفيذ كل هذا. حاول جاهداً أن يخلق صفاً ثانياً وراء كل مرسل، وبالتالي إذا رحل أي واحد يتقدم البديل تلقائياً لأداء العمل وحمل المسئولية. ولكن لم يكن لوليم الحق في هذا القلق فلقد عاش المرسلون الثلاثة وليم وارد وجشوا مارشمان ووليم كاري في صحة جيدة لمدة ثلاث وعشرين سنة وعملوا كفريق واحد لدرجة أنه أطلق عليهم في أوروبا وأمريكا الشمالية" ثلاثي سيرامبور."

وفي نهاية عام ١٨٠١ آمن المزيد من الهندوس بالمسيحية وتمتعت المجموعة بالحماية من كل من الدانمارك وإنجلترا، وانتجت المطبعة آلافاً من النسخ من العهد الجديد باللغة البنغالية. وتمتع مجتمع الإرسالية بحالة طيبة من الاستقرار واستمتع وليم بعمله الذي أتاح له فرصة لقاء صفوة رجال المجتمع الأقوياء في الهند. وبالطبع فإن الرجل استثمر هذه اللقاءات في نشر بشارة الإنجيل عبر شبه القارة الهندية. وكان لورد ولزلي واحداً من الرجال الذين تعّرف عليهم وليم كارى، واتسم الرجل بممارسة مسئولياته كحاكم عام للهند بجدية واضعاً المصلحة العامة نصب عينيه. لذلك اهتم كثيراً بتقليد الساتي (حرق الأرملة مع حرق جثة زوجها المتوفي) وتساءل عما إذا كان بوسعه أن يحرم مثل هذا التقليد ويجرمه؟ ولكن العديد من وجهاء القوم من الهندوس أخبروه أن تعاليمهم المقدسة تنص على ضرورة حرق الأرملة مع جثمان زوجها بينما أخبره آخرون أن تعاليم الشاستراس لا تحتم ذلك. ونظراً لأن الرجل لم يعرف لأي الفريقين ينحاز، فقد قرر أن يعهد لرجل يثق به أن يدرس الامر ويقدم له تقريراً أميناً عنه وكان هذا الرجل هو وليم كارى.

أنفق وليم شهوراً عديدة في البحث العميق في ظاهرة الساتي، وفي النهاية وصل إلي نتيجة مؤداها أن تعاليم الشاستراس المقدسة أشارت إلي إمكانية حرق الأرملة مع جسد زوجها الميت ولكن لا يوجد أمر صريح بتنفيذ هذا التقليد، وقدم وليم تقريره إلي الحاكم العام ثم أضاف إليه

تقريـراً آخـر عـن تقليد بغيض آخر كثيراً ما ضايقه وأزعجه ألا وهو تقليد قـتل الأطفال. ويمارس هذا التقليد على وجه الخصوص في جزيرة ساوجور عـند مصـب نهـر الجانجز حيث يلقى الأطفال الأحياء لتلتهمهم التماسيح المتوحشة كنوع من الذبيحة البشرية. وقدم وليم التقريرين راجياً أن يتمكن لورد ولزلي من تجريم كل منهما.

وفي عـام ١٨٠٢ أصـدر الحاكم العام قراراً بتحريم قتل الأطفال ولكـنه بالنسـبة لسـاتي فقـد وقع تحـت ضغوط رهيبة من الهندوس حالت بيـنه وبـين تحـريم السـاتي، ورغم بغضه الشديد لهذا التقليد إلا أنه سمح له بالاستمرار.

صـحب ذلـك أن ذاع صـيت ولـيم كمعلم قدير. وفي عام ١٨٠٦ تغـيرت لوائـح الكلـية بحيـث أصبح متاحاً له أن يحصل على لقب أستاذ كرسـي (بروفيسـور) وتضـاعف مرتـبه مـع حصـوله عـلى اللقـب الجديد. واعتبر وليم العام التالي ١٨٠٧ عاماً سعيداً في حياته فقد تمت رسامة ابنه ولـيم الصـغير راعـياً معمدانياً، وتزوج ورحل إلي مالدا للعمل كمرسل بين عمـال مصـانع اسـتخلاص الصـبغة مـن نـبات النـيلة.ولكـن العـام انتهى بحادث حزين قرب نهايته، ففي ٧ ديسمبر توفيت دولي كارى إثر مرض قصـير. وظـن كثير من البعدين الذين لا يعرفون وليم كارى أنه تخلص من حمـل ثقيل حمله لعدة سنوات، ولكن وليم حزن كثيراً لأجلها فلقد أحب زوجـته دائمـاً وعندما نصحه كثيرون بأن يودعها مصحة للأمراض العقلية

رفض بإصرار، وقال أنه بغض النظر عما يحدث فإنها زوجته وأم أبنائه وأنه سيبقيها بجواره إلي المنتهى.

وبعد ستة أشهر من هذا الحدث، أعلن وليم كارى أن شارلوت رومهر ستصير زوجته. وشارلوت هي الكونتيسة الدانمركية التي تقيم في المنزل المجاور لمبنى الإرسالية والتي قامت بدور نشط منذ الأيام الأولى لعماد كرشنا بال.

أحب كل أفراد المجتمع شارلوت السيدة الرقيقة الذكية رغم أنها شبه عرجاء فعندما كانت في الخامسة عشر شب حريق في القلعة التي تقيم بها مع والديها واستيقظت الفتاة لتجد الحجرة التي تنام فيها مملوءة بالدخان وبدلاً من أن تفَر هاربة اقتحمت النيران إلىحجرة والديها لتوقظهما، وكانت نتيجة ذلك أن فَر الجميع سالمين بينما طالت النيران قدميها، ولم تعد قادرة على المشي السليم فيما بعد.كما أن رئتيها تأثرتا من جراء الدخان لدرجة أنها تجد صعوبة في الحديث في بعض الأحيان.

ورغم قلق الكثيرين من أن تصير شارلوت حملا جديداً على عاتق وليم، فإنه مضى في إجراءات الزواج وأصبحت السيدة شار لوت اميليا رومهر الزوجة الثانية لوليم كارى .وسعد كلاهما بالآخر كثيراً. كانت شارلوت تتمتع برجاحة عقل كتلك التي يمتلكها كارى، وهي تجيد الحديث بسبع لغات وكانت عوناً عظيماً لزوجها في أعمال الترجمة.

وساعدت شارلوت الإرسالية بطرق أخرى فقد تبرعت بمنزلها لمدرسة الإرسالية وأجرّت منزلاً أخر تمتلكه للوعاظ من الهنود الذين يتدربون في الإرسالية، ثم يتم إيفادهم للتبشير ونشر رسالة الإنجيل في الريف الهندي.

ورغم أنها قضت أيامها الأخيرة راقدة في سريرها إلا أنها أبدت اهتماماً بالغاً بما يجري حولها؛ وكثيراً ما لجأ إليها وليم طلباً للراحة وللنصيحة. وقد كان وليم يحتاج إليهما بكثرة وبسرعة.

الفصل الخامس عشر

التجديد وإعادة البناء

جلس وليم كاري يوم ١١مارس ١٨١٢ يتناول الغداء مع معاونيه في جامعة قلعة وليم. وأخذوا يتناقشون أثناء غذائهم عن مشروعهم الضخم الذي أعده عن القاموس متعدد اللغات، والذي تم الانتهاء منه وإعداده للطباعة في مطبعة الإرسالية في سيرامبور، ولقد شارك العديد من المساعدين الذين يتناولون الطعام مع وليم في هذا المشروع الذي استغرق قرابة خمسة أعوام لإتمامه. والقاموس يقدم الكلمة في لغة السانسكريت يليها ترجمة لها باللغات الآسيوية. ورغم أنه عمل شاق يستغرق الكثير من الوقت إلا أن وليم ومعاونيه بذلوا فيه هذا الجهد وهم يدركون أنه سيجعل الترجمة بين اللغات الآسيوية في المستقبل عملاً أكثر سهولة.

وما كاد جرس الجامعة يدق الواحدة حتى فوجئ الجالسون بجشوا مارشمان يندفع نحو القاعة وهم لم يفرغوا من غذائهم بعد.ونظر إليه وليم والدهشة تتملكه متعجباً من وجوده في مثل هذا الوقت في كلكتا. صاح مارشمان في لهجة متعجلة: "لابد أن أتحدث معك". ونهض وليم سريعاً بسبب اللهجة الجادة التي كست وجه مارشمان وتوجه معه إلي المكتبة وما أن جلس الرجل حتى أخبره الرجل بسر مجيئه العاجل. إنها

المطبعة. فبالأمس شب حريق في المطبعة التهم كل ما فيها ولم يبق هناك شئ.

وفغر وليم فاه وقد أذهلته المفاجأة وصمت للحظة ليستوعب ما قد سمعه. وأخيراً نطق قائلاً: "لم يبق شئ؟ ماذا تعني بأنه لم يبق شئ؟" أجاب الرجل: "لقد بدأ الحريق في مخزن الورق بعد انتهاء وردية العمال عندما كان وليم وارد يجلس في مكتبه لإنجاز أعماله، وإذا به يشم رائحة دخان وتتبع مصدره، وإذا به يراه يتسرب من تحت باب المخزن. اندفع عبر الممر والدخان يزداد كثافة كلما مرّ الوقت للدرجة التي لم يستطع أن يتقدم فيها، رغم أنه كان يستمع إلي فرقعة ألسنة النيران داخل المخزن." وضع وليم مرفقيه على حافة المكتب وانحنى للأمام. ووضع رأسه بين يديه وتنهد بعمق في حزن شديد.

استمر مارشمان في حديثه قائلاً: "لقد أدرك وارد أن الحريق أكبر من طاقته على مواجهته بمفرده. ولذلك أخذ يعدو عائداً وهو يغلق كل النوافذ والأبواب في طريقه واندفع يجري وهو يصيح صيحات مذعورة."

وتجمع بعض العمال الذين لم يكونوا قد غادروا المكان بعد واندفعوا يأتون بأوعية للمياه وأنا نفسي كنت في مبنى المدرسة وجريت نحو الخارج وفي ذلك الحين بدأ الدخان يتصاعد من السقف وهنا رأيت وليم وارد يجري خارجاً من غرفة المعدات وبيده منشار وصاح بي أن

أتبعه إلى السقف عندما رآني واستخدم المنشار في عمل فتحة بالسقف في المنطقة التي اعتقد أنها مركز الحريق وبدأ يصب جرادل المياه منها واستغرق الأمر قرابة أربع ساعات حتى تم إطفاء النيران إلا أن بعض رزم الورق ظلت محتفظة بنيران خامدة.

عدل مارشمان من وضعه فوق كرسيه ولاحظ وليم كمّ الإرهاق الذي يعاني منه، وشاهد دوائر تدل على إنهاك كبير تحت عينيه. وبعد لحظات من التفكير قال وليم: "إذن فالنيران التهمت الأوراق، والحمد لله أن الترجمات والمخطوطات ظلت آمنة فماذا كنا سنفعل لو كنا قد فقدنا كل هذا؟" وهنا طأطأ جشوا مارشمان رأسه وانهمرت الدموع على خديه وبللت قميصه ثم قال نعم لقد فقدنا كل شئ ولكن.... ولم يستطع وليم أن يكمل العبارة ولم يعد بمقدوره أن يقول شيئاً.

وبعد أن استعاد جشوا مارشمان مقدرته على الحديث أستأنف قصته قائلاً: "بعد أن خمد الحريق وغادرنا المكان أنا وليم وارد، توجه وارد إلى مكتبه ليأخذ بعض الأشياء الهامة لئلا يسطو أحدهم على المكان ليلاً وتوجهت أنا لأقود التلاميذ إلى أماكن النوم بعد أن تجاوزوا الموعد المحدد للذهاب إلى الفراش، نظراً لأنهم ظلوا يساعدوننا في إطفاء الحريق. فوجئنا بشخص ما لا نعرفه بالتحديد يقوم بفتح الأبواب والنوافذ في مبنى المطبعة، وإذا النيران تندلع من جديد في انفجار رهيب وتنتشر بسرعة فائقة. وعندما عدنا إلى المبنى كانت النيران قد أتت على كل شيء

وأججت الرياح ألسنة النيران ووصل بعضها إلى مبنى المدرسة، وتم إخراج الطلبة مرة ثانية. عندها تكاتف نحو مائة شخص مكونين طابوراً لنقل جرادل المياه لموقع الحريق، ولكن تأثيرها كان محدوداً وأخيراً وفي الثانية صباحاً أخمدت النيران نفسها بعد أن دمرت كل شيء.

وبعد صمت طويل قال وليم: "لابد لي أن أذهب إلى هناك لأرى ما يمكن عمله وطلب إلى جشوا أن يظل في مكانه بينما يتجه هو إلى العميد ليستأذنه في أن يعفيه من إلقاء محاضراته المكلف بها."

وبعد ساعة كانا يجدفان بقاربهما في نهر هوجلي متجهين من كلكتا إلى سيرامبور وبصحبتهما القس طومسون واعظ الجامعة ليساعدهما في أي عمل يحتاجان إليه.

وكان المنظر الذي رآه وليم عندما وصل إلى هناك مرعباً بأكثر مما تستطيع الكلمات أن تصفه فالمكان الذي احتلته المطبعة صار عبارة عن بقايا أعواد محترقة من الخشب وقضبان حديد ملتوية وأكوام من رزم الورق المحترقة لازالت بعضها تنفث أعمدة من الدخان في الهواء. ساد صمت رهيب في المكان وتوقف كل واحد عما كان يفعله، وهم يشاهدون وليم يمشي في سكون حول بقايا الأنقاض ويبكي في صمت أثناء سيره، ثم التفت إلى جشوا مارشمان وقال: "في أمسية قصيرة ضاع عمل سنين طويلة ما أعجب طرق الرب وما أعجزنا عن فهمها."

جـاء ولـيم وارد عـلى عجـل لمقابلـة ولـيم الذي سأله: "ألم يتم إنقاذ شيء؟"

أجاب وارد: "في الحقيقة المحصلة النهائية أفضل مما تصورنا في بـادئ الأمـر. فالمطـبعة نفسـها قاومت الحريق وبقليل من الجهد يمكن إعادتهـا للعمـل مـرة أخرى. كما نجا أيضاً أربعة آلاف حرف من حروف الطـباعة مـن الأذى. ويوجـد بعض رزم الورق المتواجدة في منتصف المخزن قابلة للاستخدام.

"ولكـن مـاذا عـن المخطوطـات؟" سـأل ولـيم هـذا السؤال وهو يعـرف الإجابـة في قلـبه. رد ولـيم وارد وهـو يمسـك بـذراع وليم في حنان قـائلاً: "آسف جداً لقد احترقت كل المخطوطات." قال هذا وهو يقود وليم إلى الداخـل لأن شـارلوت كانت تريد رؤية وليم بلهفة. وفي الداخل رقدت شـارلوت عـلى الأريكـة كمـا كانـت عادتهـا. وعـندما رأت ولـيم أمسكت بيديه. وجلس هو على الأرض بجوارها وانخرطا كلاهما في بكاء شديد.

اجـتمع ولـيم مـع أعضـاء الإرسـالية في ذلـك المسـاء ليحصـروا خسـائرهم في الحـريق. فكانـت النسـخة النهائـية مـن القـاموس المـتعدد اللغـات، وقواعد لغة السيخ وتيليوجو، وعشرة طبعات من الكتاب المقدس في مـراحل مخـتلفة مـن الطـباعة، وتـرجمة وتفسـير لكـتابات هندوسـية عقائديـة اسـتغرق إعدادهـا ست سنوات من وليم كاري وجشوا مارشمان،

وعـدة مجموعـات مـن مسـتلزمات الطـباعة ومجموعات الحروف بمختلف أنماط اللغات الآسيوية ومئات من رزم الورق.

وباختصـار فـإن الخسـائر كمـا قدرهـا ولـيم تبلغ ما بين تسعة آلاف وعشرة آلاف جنـيه ذهبـت مـع اللهـب في الليلة الماضية، وبالطبع لـيس هـناك ثمـن يمكـن تقديره للمخطوطات وللترجمات التي انتهى منها وليم وسلمها للمطبعة للطباعة.

وأردف ولـيم قـائلاً: "ومـع ذلـك فـلا يجـب أن ندع مثل هذا الأمـر يقودنـا إلى الإحـباط، فعلينا أن نعاود العمل وأن نثق في الرب الذي سـار معـنا إلى الآن، ويمكنـنا أن نعمـل للـتجديد وإعـادة البـناء لكـل مـا خسرناه."

اسـتغرق الأمـر أيامـاً قـبل أن تقـل درجـة حرارة بقايا المطبعة بحيـث تسـمح بالبحـث الدقـيق. أتوا بكل قصاصة ورق إلى وليم لإمكانية الـتعرف علـيها ومنها بعض أوراق كانت أجزاء من ترجماته. واحتفظ بها ولـيم بعـناية في صناديق خاصة ليتم نسخها مرة أخرى فيما بعد. وبعد أن انـتهوا مـن فحـص بقايا الحريق، لم يكن بوسعهم أن يعرفوا سبب اندلاع الشـرارة الأولى كمـا أنهـم لم يتمكـنوا مـن معـرفة من هو الرجل الذي فتح أبـواب ونوافـذ المطـبعة مـرة أخرى مما أتاح للنيران الكامنة أن تتوهج مرة أخرى.

اندهش العمال الهنود من السرعة التي بدأت بها أعمال إعادة البناء، فقد كانوا يتوقعون أن يحزم المرسلون حاجاتهم ويرحلوا بعد الحريق.

انتشرت أخبار الحادث المفجع بسرعة في أرجاء المنطقة، وبدأت المعونات تتدفق وتكاتف طلاب وليم في الجامعة وجمعوا مبلغاً من المال قدموه له. كما تقدم جورج أوندي الذي سبق له أن ساهم في تعضيد العمل بالمطبعة الأولى بتقدمة جديدة لدعم العمل الجديد بعد أن عاد ثانية للإقامة في الهند وبلغ مجموع هذه المساعدات تسعمائة جنيه.

واستغرق الأمر ستة شهور حتى تصل أخبار الحريق إلى بريطانيا العظمى. وبمجرد أن وصلت سارع المسيحيون هناك للعمل. أصبح وليم كاري والمطبعة والإرسالية في الهند محوراً للحديث والصلاة في كل كنائس الأمة تقريباً. ورغم أنها المرة الأولى التي سمع فيها بعض الناس عن كاري، إلا أن ما سمعوه ألهب عواطفهم. وأعطى الأفراد والكنائس بقدر طاقتهم للعمل على إعادة بناء المطبعة.

قدمت الكنيسة المعمدانية في ملتون والتي رعاها وليم خمسين جنيهاً وساهمت مجموعة كنائس أندبيرج سوياً لتقدم ثمانمائة جنيه. تبرع وليم ويلبفورس داعية القضاء على العبودية مبلغ عشر جنيهات. قدمت دار الكتاب المقدس والتي أنشئت عام ١٨٠٤ ألفي رزمة من الورق.

وبعد انقضاء شهرين من وصول أنباء الحريق إلى إنجلترا، بلغ مجموع ما تم جمعه عشرة آلاف جنيه، جاء معظمها من الكنائس الانجليكانية، والمعمدانية و الطوائف الأخرى. أرسل أندرو فولر بمناسبة عيد الميلاد خطابات يشكر فيها الجميع ويخطرهم بأنه قد تم جمع أموال كافية لإعادة بناء كل ما التهمته النيران. وأنهم ليسوا مطالبين بإرسال المزيد من الأموال وكلما توجه واحد من أعضاء مجلس إدارة الإرسالية إلى أي مكان في إنجلترا، طالبه الناس بلوحة تصور وليم كاري فقد سمعوا عنه، ولكنهم أرادوا أن يتعرفوا على شكله، ولكن لم تكن هناك مثل هذه اللوحة، ولذلك أرسل أندرو فولر إلى وليم وارد يطلب إليه أن يقوم بالإجراءات اللازمة للإعداد لمثل هذه الصورة. وقام وارد بالفعل بالاتصال بمؤسسة روبرت وهي المؤسسة الفنية الأولى في كل آسيا للقيام بهذه المهمة، وبعد ممانعة شديدة قبل وليم أن ترسم له صورة واختار أن يظهر فيها وقد جلس إلى المكتب محاطاً بالكتب والأوراق ويقف مساعده إلى جانبه بينما تبدو في يده ترجمة باللغة السانساكريتية.

قام وليم وارد بإرسال الصورة بعد اكتمال رسمها إلى إنجلترا، بعد عمل (كليشيه) لها، وقامت الإرسالية هناك ببيع الصورة الواحدة بمبلغ جنيه واحد وتم إرسال حصيلة البيع إلى الإرسالية في سيرامبور.

وسرعان ما انتشرت صورة وليم كاري فوق جدران المنازل والكنائس في كل أنحاء بريطانيا العظمى.

ولم يدر بخلد وليم كاري أبداً أنه سيأتي يوم يتسابق فيه الكثيرون على شراء صورة لمرسل أصلع عمره اثنان وخمسون عاماً لوضعها في قاعات الاستقبال مما أخجل هذا تواضعه كثيراً.

ولم يقتصر أثر الحريق في سيرامبور على حث قلوب الناس على إعادة البناء وتجديد المكان فحسب ولكن أثره أمتد إلى جذب انتباههم إلى العمل المرسلي الذي لم يكن يلقى اهتماماً من قبل وبدأت التساؤلات تثار حول سياسات شركة شرق الهند من حيث عدم سماحها بدخول المرسلين إلى الهند. صحيح أن وليم كاري ووليم وارد وجشوا مارشمان كونوا صداقات وطيدة مع بعض ذوي النفوذ من جراء إقامتهم الطويلة في الهند إضافة إلى أصدقائهم في إنجلترا، إلا أن شركة شرق الهند ظلت تقاوم العمل المرسلي بصفة رسمية وأظهرت هذا للعيان برفضها والسماح لمجموعة أمريكية من خمس أسر أرادت دخول الهند لدعم العمل في إرسالية سيرامبور برئاسة دكتور وليم جونز.

وقاد وليم ويلبفورس داعية القضاء على العبودية الناجح من فوق التراب البريطاني حملة ضد شركة شرق الهند ودعا الرجل في كل مكان يذهب إليه إلى إرسال المزيد من المرسلين إلى الهند وكان شعار حملته أنه بعد القضاء على تجارة الرقيق فإن منع المرسلين من الذهاب إلى الهند هو الخطية الأولى لبلادنا على المستوى القومي، وانضمت الكنائس في كل إنجلترا إلى هذه الحملة. وفي عام ١٨١٣ قدم ويلبفورس إلى البرلمان التماساً

يحمل توقيع أكثر من نصف مليون مواطن يلحون فيه على طلب إرسال المزيد من المرسلين إلى الهند.

وقاد هذا الالتماس إلى مناقشات برلمانية واسعة. وطلب إلى هؤلاء الذين شغلوا منصب الحاكم العام لإنجلترا في الهند أن يدلوا بشهاداتهم. ووقف لورد ولزلي إلى جانب الإرساليات واستند في حديثه إلى الأثر الطيب الذي خلقه ثلاثي سيرامبور كدليل يدعم أقواله في جدوى نفع الإرساليات.

إلا أن بعضهم أراد أن يظهر القلق والمخاوف بإثارة أسئلة من قبيل: وماذا عن أعمال الشغب التي يمكن أن يتسبب فيها هؤلاء المرسلون؟

وما هو الأثر المتوقع لو أساء المرسلون للديانات والعقائد السائدة هناك. مما يهدد السلام الاجتماعي؟

والأسوأ من ذلك: "ما الذي سيحدث لو أصاب التجارة الأذى من جراء العمل المرسلي؟"

وفي خضم المناقشات الجارية ألقى وليم ويلبفورس خطاباً شرح فيه المساهمات الإيجابية لوليم كاري في أعمال الترجمة والأدب وفهم الثقافة والتعرف على الحضارة وتنمية الزراعة في الهند. ولكن أكثر ما أثر في رجال السياسة الذين استمعوا إلى هذا الخطاب هو ما أضافه ويلبنورس إلى مسامعهم من أن كاري يقدم كل مرتبه البالغ ألف وخمسمائة جنيه إلى

الإرسالية. كسب الرجل الجولة وصدر تعديل في عقد امتياز شركة الهند يوم ٢٨ يونيو ١٨١٣ ينص على أنه من واجب بريطانيا "العمل على الارتقاء بسعادة الشعب الهندي" ولإتمام هذا الهدف فإنه يجب على الإنجليز أن يقدموا لهم" تعاليم دينية وأخلاقية نافعة."

وأصبح الطريق ممهداً للمرسلين أن يسافروا إلى الهند وأن يتجولوا هناك بحرية. واستقبل وليم كاري هذه الأنباء بأحسن وسيلة ممكنة.

فقد كان أول مرسل يحصل على تصريح رسمي بالدخول إلى الهند هو يوستاس الابن الأصغر لتوم شقيق وليم. وصل يوستاس إلى الهند مقدماً ذاته لعمه للقيام بالخدمة التي سوف توكل إليه.

الفصل السادس عشر

ازدياد الألم

أتـاح التعديل الذي أجراه البرلمان البريطاني على حق الامتياز الممـنوح لشركة شرق الهند المزيد من الفرص المواتية لنمو العمل المرسلي في سـيرامبور. فلأول مرة أصبح من حق الحاكم العام أن يتعاون مع الإرسالية بصـورة رسمـية. فـبعد أسـابيع قلـيلة من وصول مذكرة قانون التعديل دعا لـورد مويرا الحاكم العام في ذلك الوقت وليم كاري لزيارته طالباً منه إيفاد مرسلين إلى جزيرة مولكان على الجانب الآخر من خليج البنغال.

وأسـرع ولـيم عـائداً إلى سـيرامبور ليـنقل هذا الخبر السار إلى زملائـه في الإرسـالية ويطلـب مـنهم مـتطوعين للذهاب إلى هناك ولدهشته الـبالغة فـإن أول من لبى الدعوة كان ابنه جابيز الذي بلغ من العمر تسعة عشـر عامـاً وهكـذا تم تعمـيد جابـيز في خـلال ثلاثة أيام ورسامته كراعي معمداني وتزوج وأصبح مستعداً للانطلاق إلى حقل الخدمة الجديد.

وفي ذلـك الوقـت كان شقيقه الأكبر فيلكس الذي تزوج وأنجب ثلاثة أطفال في زيارة إلى سيرامبور وشارك في خدمة رسامة وتنصيب جابيز لدعوته الجديدة.

كان فيلكس يعلم جيداً معنى أن تذهب وحيداً كمرسل فمنذ عدة سنوات اجتاز هو نفس التجربة وسافر إلى بورما حيث أسس هناك إرسالية وورث عن والده حب اللغات وترجم عدة أجزاء من الكتاب المقدس إلى اللغات البورمية كما وضع قاموساً للغة نفسها.

وقبل رحيله إلى بورما جذبته دراسة علوم الطب وقرأ عن التجربة الجريئة لإدوارد جينز للقاح ضد الجدري، وبعد وصوله إلى بورما لاحظ أن الشعب هناك عرضة للمعاناة من أمراض وبائية مميتة من جراء احتكاكهم الكثير بالشعوب المجاورة واستطاع أن يقنع ملك البلاد بالقيام بتطعيم أفراد الشعب بهذا اللقاح وهذه أول مرة يستخدم فيها التطعيم على نطاق واسع في العالم. وأثبتت التجربة نجاحها وصار فيلكس كاري شخصية مشهورة في بورما.

ولكن الشيء المحزن أن القارب الذي يقل فيلكس وعائلته انقلب في عاصفة أثناء رحلة العودة من سيرامبور إلى بورما ولم ينج أحد من هذا الحادث سوى فيلكس بمفرده وغرقت بقية أفراد عائلته. كما فقد أيضاً في المياه نسخة من الإنجيل كانت معدة للطبع باللغة البورمية. بالإضافة إلى النسخة الوحيدة من القاموس الذي تعب في إعداده.

وعانى فليكس من حالة حزن مريرة وإحباط شديد من جراء فقده لأسرته ولم يشف من هذه الحالة إلا بعد مرور زمن طويل.

وتتابع وصول المرسلين الجدد إلى الهند بعد وصول يوستاس كاري المرسل الرسمي الأول. وبدا أن هذا أمر جيد ولكنه لم يعد كذلك. فالمرسلون الذين ترسلهم جمعية الإرسالية المعمدانية– والتي تحول اسمها إلى الجمعية المعمدانية لنشر الإنجيل– من الشباب صغار السن والذين لا خبرة لهم بالعمل المرسلي بدلاً من أن يراقبوا المرسلين الكبار ويستمعوا إليهم ويتعلموا منهم ويصغوا إلى نصائحهم، راحوا يعقدون اجتماعات خاصة فيما بينهم يشكون فيها من المرسلين الكبار. وينتقدون تصرفاتهم في إنجاز الأمور وكسر هذا الأمر قلب وليم وزاد الألم بصفة خاصة عندما انضم ابن شقيقه يوستاس إلى هذه الاجتماعات.

وشكا المرسلون الجدد من أن جشوا مارشمان يحب الرئاسة ويريد منهم طاعة تعليماته كما أن وليم وارد يريدهم أن يعملوا بلا هوادة وبدون راحة.

وتساءلوا عن السبب الذي يجعل وليم كاري يرتدي الملابس الرسمية ويتوجه إلى قصر الحاكم العام حيث يتناول وجبات فاخرة. فهل يعتقد أنه أفضل من باقي المرسلين؟ ولماذا تطبع المطبعة في سيرامبور كتباً مدرسية لا تتحدث عن الدين والإيمان؟ وأين تذهب الأموال التي ترسلها الجمعية المعمدانية من إنجلترا إلى سيرامبور؟

طـبعاً كان في وسعهم أن يتلقوا الإجابات على كافة أسئلتهم لو توجهـوا بهـا إلى المرسـلين الكـبار وسـألوهم عنها ببساطة، ولكن بدا الأمر وكأنهم يريدون الانغلاق على أنفسهم وإثارة المتاعب.

عـندما اسـتقر المرسـلون الوائـل في سـيرامبور مـنذ ثلاثـة عشر عامـاً، وضـعوا فـيما بيـنهم نظامـاً يمنح كل فرد من أفراد الإرسالية صوتاً واحداً عند التصويت على القرارات الإدارية اللازمة لسير العمل. لكن هذا الـنظام أصبح الآن ضـد مصـلحة المرسلين القدامى فبعد سنوات عديدة من العمـل في وفـاق تـام، وجد وليم وارد وجشوا مارشمان ووليم كاري أنفسهم يخسرون في التصويت عند أخذ الرأي في اتخاذ القرار في معظم الحالات.

أمـا فـيما يتعلق بالعمل في سيرامبور فقد أصبح من العسير على هـؤلاء الـثلاثة أن يتقـبلوا هـذا الوضـع إلا أنهـم حـاولوا أن يكونـوا كرماء وطويلـي الـبال بقدر الإمكان وما كان أكثر صعوبة في تقبله هو أن المرسلين الجدد قاموا بكتابة رسائل إلى مجلس إدارة الجمعية يشتكون فيها منهم.

وأخـيراً اسـتقر الجمـيع عـلى حالة من السلام القلق استمرت لعـدة سنوات إلا أنه وفي عام ١٨١٤ مات جون ساتكليف وتلاه أندرو فولر في العـام الـتالي. وهـذان الاثـنان بالإضـافة إلى جـون ريلانـد كانوا "حلقة الوصـل" بالنسـبة لولـيم في إنجلـترا أثـناء وجوده في الهند كما أنهم كانوا يعـدون محـور الجمعية الأولى للإرسالية. ومع نمو العمل انضم إليهم تسعة عشـر عضواً جديداً في اللجنة وهؤلاء الأعضاء الجدد كانوا أصدقاء المرسلين

الشبان الذين تم إيفادهم حديثاً. ولكنهم لم يقابلوا وليم كاري أو جشوا مارشمان أو وليم وارد.

والآن وبعد أن أصبح جون ريلاند هو الشخص الوحيد في مجلس إدارة جمعية الإرسالية الذي كانت له علاقة مباشرة بعملية إيفاد وليم كاري إلى الهند، أراد مجلس الإدارة الجديد أن تختبر إذا كان المرسلون القدامى في سيرامبور سوف يطيعون أوامرها أم لا فأصدرت أمراً بأن تؤول ملكية المطبعة ومخازن الورق والكنائس والمدارس وكل العقارات التابعة لها إلى لجنة الإرسالية في إنجلترا حتى تكون لها السيطرة المباشرة على هذه الممتلكات.

وعندما قرأ وليم كاري هذا الأمر وقد أصبح عمره خمسة وخمسين عاماً، كتب إليهم الرد في الحال، وأعلن أنه ليست لديه النية في أن يحول ملكية ممتلكات الإرسالية إلى الجمعية في إنجلترا، وشرح لهم أسبابه وعاد بهم إلى الوراء أربعة وعشرين عاماً، وأحالهم إلى كتابه "البحث" حيث أشار إلى أن الإرسالية لا يمكن أن تنجح بينما تدار شئونها من النصف الآخر من العالم، لسبب بسيط فقط وهو الوقت الطويل الذي تأخذه الاتصالات في نقل المشاكل إلى إنجلترا وانتظار قرار في شأنها من هناك.

إضافة إلى ذلك أن الجمعية لا تملك الفهم الكامل للظروف المحيطة التي تواجه المرسلين في الهند. والتمس وليم من جون ريلاند أن

يحـاول إقـناع بقـية أعضـاء مجلـس الإدارة في أن يكونـوا موضـوعيين في قرارهم.

مـات جـون ريلانـد في عـام ١٨١٦ واخـتفى مـن كانوا يمثلون "حلقـة الوصل" من المشهد. وتلقى وليم المزيد من الأخبار السيئة، إذ توفي والده أيضاً في نفس التوقيت تقريباً. وبذلك فقد الصلة المنتظمة التي أقامها معـه. ولـو قـدر لولـيم الـتفكير، مجـرد التفكير في زيارة لإنجلترا فإن هذه الفكرة الآن قد انتفت.

وكتـب في مذكـراته يقـول: "لـن أرى سـوى الفراغ في أي مكان أذهـب إلـيه. وعـندما أعـود إلى زيارة هذا الوطن الحبيب سيكون علي أن أبدأ من جديد في تكوين مجموعة جديدة من الأصدقاء."

وأخـيراً تحطـم السـلام القلـق الـذي اسـتمر بـين الفـريقين في أغسـطس عام ١٨١٧ بوصول وليم بيرس وزوجته إلى سيرامبور ووليم بيرس فـني طـباعة خـبير كـان له فضـل كبير في تقديم يد عون حقيقية إلى وليم وارد. ولكـن المشـكلة الآن هـي أن مجلـس إدارة الجمعية في إنجلترا أوفده ومعـه "أمـر" بالبقاء في سيرامبور، وحتى تلك اللحظة كان توزيع المرسلين الجـدد قـراراً يـتخذه المرسـلون في سـيرامبور. ومع مرور السنين تم انتشار العديد من مراكز الإرساليات في بلدان عديدة بالهند وجرت العادة على أن يـتم إيفـاد المرسلين الجدد للمساعدة في هذه الأماكن ولكن في هذه المرة فإن مجلـس الإدارة قـرر مـن جانبه أن يعين مكان المرسل الجديد. وبالرغم من

أن هذا القرار لا يبدو أنه يمثل مشكلة خطيرة خاصة. وأن بيرس فني طباعة والمطبعة تقع في سيرامبور، لكن الأمر بدا لوليم كاري وجشوا مارشمان ووليم وارد وكأن مجلس الإدارة يتحداهم ويريد السيطرة على الإرسالية في الهند.

وبدا الأمر ثقيلاً على وليم الذي جاء إلى الهند لينشر بشارة إنجيل السلام في ربوعها وليس للصراع بشأن من يكون صاحب القرار في شئون الإرسالية. لكن ولأنه في نفس الوقت كان قلقاً على فيلكس الذي صار محطماً وحالته النفسية غير مستقرة من جراء غرق أفراد أسرته، لأن آخر مرة سمع فيها وليم عنه أنه كان يتجول بلا هدف في ولاية آسام. بالإضافة إلى ذلك فإن صحة وليم نفسه لم تكن على ما يرام، فقد تعثر الحصان الذي يركبه واضطر لأن يقفز من فوق ظهره حتى ينجو. ولكن عدة عظام في قدمه كسرت أثناء القفز، واستغرق علاج هذه الكسور عدة أشهر حتى شفيت، واستلزم الأمر أن يحمله الخدم لتوصيله إلى كلية جامعة قلعة وليم وإعادته منها بعد إلقاء محاضراته. وحتى بعد التئام الكسور بالكامل لم يعد الوضع إلى سابق عهده، ظل وليم يعاني من العرج بقية حياته.

وفي نهاية سنة ١٨١٧ وبدعم وتأييد من جمعية الإرسالية المعمدانية غادر المرسلون الشباب وعائلاتهم سيرامبور إلى مقر جديد للإرسالية، يبعد أربعة عشر ميلاً عن كلكتا حيث أسسوا هناك إرسالية

مشابهة تماماً لتلك التي في سيرامبور تشمل مطبعة وكنيسة ومدرسة ومركزاً للترجمة. ولم يكن وليم ليهتم بالأمر كثيراً لو كانوا قد ذهبوا لتأسيس عملهم في منطقة أخرى بالهند لم تصلها رسالة الإنجيل، ولكن تأسيس مركز مماثل في كلكتا يعد اهداراً للطاقات ومضاعفة للجهد دون طائل، خاصة وان إرسالية سيرامبور قامت بتأسيس مركز لها هناك يشارك فيه المسيحيون الهنود رسالة الإنجيل مع الهنود الآخرين. أثار هذا الموقف بالطبع العديد من الأسئلة في عقول الناس في سيرامبور وكلكتا. كان وليم يأمل أن يتجاهل الناس هذا الأمر ولا يسبب لهم الكثير من القلق أو التشويش، ولكن كان هناك الكثيرون الذين لم يستطيعوا تجاهله، وظلت الأحداث الغريبة بين المرسلين محوراً للكثير من القيل والقال.

رغم الموقف الشائك بين المرسلين، أدرك الحكام البريطانيون للهند قيمة العمل المرسلي، فالمرسلون يقيمون المدارس ويترجمون الوثائق، ولهم تواجد سلمي في كل مكان يحلون فيه. دعا لورد استنجز الحاكم العام البريطاني في الهند وليم كاري وجشوا مارشمان لتناول الغذاء معه ومناقشة فكرة إيجاد مرسلين إلى راجبوتانا. وفي نفس الوقت فإن السير دافيد أوكترلوني الممثل التجاري للمناطق المفتوحة حديثاً أسفل جبال الهمالايا، كتب يطلب ايفاد مرسلين إلى تلك المناطق.

وجد وليم نفسه في صراع نفسي غريب، فلأول مرة منذ قدومه إلى الهند يجد نفسه موضع تقدير عظيم من كبار رجال الدولة في الهند في

الوقت الذي يجد فيه المرسلين الشبان يتجاهلونه ومعهم مجلس إدارة الارسالية التي ساهم في تأسيسها قديماً في إنجلترا.

تجرع الرجل مرارة هذا التحول في الأحداث وتملكه الضيق من جراء هذا أكثر من أي شيء آخر تحمله طوال حياته، وأشد ما حز في نفسه أنه أتهم بأنه يجمع أموالاً لنفسه. صحيح أنه يتقاضى أجراً ممتازاً من عمله كأستاذ في جامعة قلعة وليم ولكن كل ما كان يحصل عليه كان يضخ مرة أخرى في العمل المرسلي، في الوقت الذي لم يحصل فيه من الإرسالية في إنجلترا منذ مغادرتها سوى على مبلغ ستمائة جنيه كدعم لعمله، وفي المقابل أعطى هو للإرسالية أكثر من أربعين ألف جنيه على الأقل ومثل هذا المبلغ كان يعد ثروة طائلة في عام ١٨١٧ وبالطبع فإن ما قدمه وليم من أموال للإرسالية المعمدانية في الهند أكثر مما قدمه أي شخص لها في العالم. ولم يقتصر ما قدمه وليم للإرسالية على الأموال، ولكنه قدم لها الوقت والجهد والمواهب التي تمتع بها طوال الأربع والعشرين سنة الماضية. ولكن للأسف الشديد فإن أعضاء مجلس الإدارة في إنجلترا لسبب أو لآخر لم يدققوا في حساباتهم لتتضح لهم حقائق الأمور.

وكتب وليم لابنه جابيز يصف هذا الموقف قائلاً: "لم أقابل في حياتي– وقد قابلت فيها الكثير من الصعوبات والمحن– شيئاً افترس نفسي من الداخل كما افترستها هذه المفارقة التي أعاني منها."

ظـل ولـيم كـاري وجشـوا مارشمـان وولـيم وارد مـتمركزين في سيرامبور وعـاد جابـيز ومـاري كـاري مـن جزيـرة أمبونـيا الـتي أعلنـت الدانمـارك الاسـتيلاء علـيها بعـد نهايـة حـرب نابلـيون في أوربـا وتطوعا للذهـاب إلى راجـبوتانا وفي نفـس الوقت بدأ ابن وليم وارد عملاً مرسلياً في جزيرة سومطرة في جزر الهند الشرقية الهولندية.

إلا أن القلـق ظـل يساور وليم بشأن فيلكس رغم أنه كان يتلقى مـنه خطاباً كـل سـتة شـهور وآخـر أخباره قالت: بأنه يتجول في أنحاء آسام يجمع عينات من النباتات ويتعلم اللغات.

وأخـيراً في عـام ١٨١٨ وفي رحلـة تبشـيرية إلى مقـر إرسـالية شـيتاجونج تقـابل ولـيم وارد مـع فـيلكس واسـتطاع إقـناعه بـالعودة إلى سيرامبور، وفـرح الجمـيع برؤيـته وكـان لديـه الكـثير لـيفعله هناك فهو يـتحدث البنغالـية كـأحد أبـنائها وعهـد إلـيه بالإشـراف عـلى أحـدث مشـروعات الإرسـالية في إصـدار صـحف ومجـلات. كانـت هـناك ٣ إصـدارات، أولهـا مجلـة شـهرية تدعـى ديـج دارشان: أي "ختم البريد" وهـي موجهـة لطلـبة المـدارس وحافلـة بالمقـالات الشـيقة عـن الحيوانات والمغامـرات والاكتشـافات والأمـور الجاريـة. وتهافتـت على شرائها معظم مـدارس الهـند لتقدمها لطلابها وسرعان ما أصبحت الإرسالية تصدر منها ثلاثـة آلاف نسخة شهرياً. والمشروع الثاني هو ساشار داربان: أي "مرآة الأخبار". وهي أول جريدة تطبع بلغة آسيوية وسرعان ما أصبحت واسعة

الانتشـار. ولم تكـن أي مـن ديـج دارشـان أو سـاشـار داربان تحتوي على مقـالات مسـيحية، فقد اهتم المرسلون في سيرامبور بالثقافة العامة وبالأمور الروحـية للشـعب الهـندي في نفـس الوقـت. فقـد آمـنوا بـأن كل ما يدعو الشعب للفهم والتفكير فيما يحيط بهم من أمور حياتهم الشخصية يحفزهم للتأمل العميق في شئون حياتهم بما في ذلك معتقداتهم الدينية.

أمـا المشـروع الثالـث فكـان عبارة عن مجلة تصدر بالإنجليزية اسمهـا "أصـدقاء الهـند": وتهـتم مقالاتهـا بأخـبار الهـند ومـا يجـري بداخـلها، وحفلـت المجلـة بالعديد من المقالات عن الآثار المرعبة لعادات وتقاليد قـتل الأطفـال ومـوت الأرامـل مـع أزواجهـن، ورغم أن التضحية بالأطفال أضحت محرمة قانوناً منذ أكثر من عشرين سنة، إلا أنها كانت تمـارس سـراً في بعـض الأمـاكن. أمـا حـرق الأرامـل مـع جـثمان أزواجهـن "السـاتي" ظل عملاً قانونياً مما أزعج وليم كثيراً، إذ كيف تكون مـثل هـذه التقالـيد مـباحة في بلـد تحـت الحكـم الـبريطاني؟ كتب وليم العديـد مـن المقالات عن الفتيات الصغيرات في الحادية عشرة من أعمارهن وكـيف كـانوا يحرقون هؤلاء العرائس الصغار (مع أنه من الممكن ألا يكون هـؤلاء الفتـيات الصـغيرات قد قابلن أزواجهن أصلاً . لكن ولأن عائلاتهن كـانوا قد اتفقوا على زواجهن وهن في سن الثالثة أو الرابعة من العمر فكان علـيهن أن يحـرقن في حـال مـوت الـزوج حـتى وإن لم يكـن قـد شـاهدن

أزواجهـن. وغالـباً مـا كانـت أسرة العريس تطالب بحرق العروس حتى لا تشاركهم الميراث).

وأحـب فلـيكس العمـل مـع وليم وارد، وكان قد سبق لهما أن كونـا فـريقاً ناجحـاً. وقـام فـيلكس في وقت فراغه بترجمة كتاب (السائح المسـيحي) وكتاب تاريخ الهند من الإنجليزية إلى اللغة البنغالية واستخدم والده هذين الكتابين في محاضراته في جامعة قلعة وليم.

انتهز وليم وارد فرصة وجود فيلكس في سيرامبور للقيام بإجازة يـتوجه فيها إلى إنجلترا وهي المرة الأولى التي تطأ فيها قدماه أرض الوطن مـنذ أكـثر مـن عشـرين عامـاً. كـان قـد وضـع في بـرنامجه أن يـزور مقـر الإرسـالية وأن يشرح لهم الموقف في سيرامبور راجياً أن تساعد هذه الزيارة في إذابة الجليد بين الفريقين.

وأثـناء إجـازة ولـيم وارد جلـس ولـيم كـاري وجشـوا مارشمان يفكران في كيفية تحقيق حلمها التالي. فمنذ الأيام الأولى للوصول إلى الهند حـلم ولـيم كاري مع د. توماس بإنشاء كلية للهنود كتلك التي تم إنشاؤها في قلعـة ولـيم. ولم تكـن في كلكـتا في ذلـك الوقـت سـوى كليـتين واحـدة للهـندوس والأخـرى للمسـلمين. وأراد ولـيم أن تنشـأ كلية جديدة يرتادها المسـيحيون وقـد وصـل عـدد مـن آمـن بالمسـيحية حوالي ستمائة هندي، أصبحوا مسـيحيين وقـام ولـيم كـاري بتعمـيدهم واشـتاق أن يـرى هـؤلاء المؤمـنين الجـدد وقـد أكملـوا تعلـيمهم و اتقـنوا لغـة السنانساكريت بصفة

خاصة حتى يستطيعوا أن ينقلوا رسالة الإنجيل بكل اجتهاد إلى طبقة الهنود المثقفين. وأراد وليم لكلية سيرامبور كما أطلق عليها أن تكون مكاناً يشعر فيه المسيحيون من جميع الطوائف بأنهم محل ترحاب فيه. جعلته هذه الفكرة في محل نزاع جديد مع مجلس الإدارة في إنجلترا التي لم تبد موافقتها على المشروع من وجهة نظر أنها إرسالية معمدانية وأرسلت مرسلين معمدانيين لإنشاء مدارس معمدانية وكنائس معمدانية. ولكن وجود وليم وارد في انجلترا خفف من حدة الصراع رغم أن مجلس إدارة الإرسالية ظل على رأيه في عدم جدوى تعضيد كلية لتعليم أبناء المسيحيين من جميع الطوائف.

وتفهم المواطنون الدانمارك المقيمون في سيرامبور ما يقوم به وليم كاري بأكثر مما تفهمه المجلس الذي يدعمه في إنجلترا، ومنحه ملك الدانمارك الذي كان يتابع بنفسه عمل الإرسالية خمسة هكتارات من الأراضي المتاخمة لحدود الإرسالية في سيرامبور لبناء الكلية عليها. وسرعان ما وافق لورد هاستنجر على أن يرعى هذه الكلية وتبرع لها بمبلغ مائة وخمسة وعشرون جنيهاً لبدء البناء. ووافقت الحكومة البريطانية نفسها على أن تتكفل بمصاريف أساتذة الطب بالكلية.

وعاد وليم وارد إلى الهند ومعه خمسة آلاف جنيه قام بجمعها من المؤمنين في بريطانيا العظمى وأمريكا "طبعاً لم يوافق مجلس إدارة

الإرسالية على أن يجمع تبرعات من الكنائس المعمدانية لصالح الكلية، ولكن العديد من المعمدانيين أعطوه تقدماتهم بصفة شخصية."

وبالرغم من مسئولياته الكثيرة والواجبات العديدة الملقاة على عاتقه ومهمة إنشاء الكلية الجديدة فإن وليم أراد أن يقوم بمشروع جديد. لقد أراد إنشاء جمعية لتساعد المزارعين الهنود على استغلال مزارعهم بصورة أفضل لتكون هناك وفرة أكبر في المحاصيل لتغذية الشعب وكثيراً ما تناقش مع الليدي هاستنجر التي تشاركه هواية الزراعة في هذا الأمر. وفي عام ١٨٢٠ وقعت السيدة هاستنجر استمارة العضوية رقم(١) لهذه الجمعية واستمتع وليم وشارلوت باستضافة اجتماعات هذه الجمعية في منزلهما. وأسعدهما كثيراً أن يتناقشا مع أناس آخرين يحبون مزروعات وأشجار الهند كما أحبوها هم.

وبدا للذين هم من خارج أنه قد آن الأوان بالنسبة لوليم كاري أن يهدئ من إيقاع حياته وقد بلغ التاسعة والخمسين، وأن يستمتع بشيخوخته، ولكن وليم كاري لم يكن من هؤلاء الرجال. فلقد ناضل كثيراً في حياته وقهر العديد من الصعاب ولم ينته هذا النضال بعد.

الفصل السابع العاشر

لا تقل شيئاً عن وليم كاري

لم تستمتع شارلوت كاري أبداً بصحة جيدة منذ أن أصيبت بالحروق الخطيرة عندما كانت في الخامسة عشرة ولم يكن من المتوقع لها أن تعيش طويلاً. وحتى بعد زواجها من وليم فإن معظم معارفهما لم يتوقعوا لها أن تعيش لعام أو عامين على الأكثر. ولكن حبها لوليم منحها سبباً جديداً للحياة وخلال سنوات زواجهما كانت تتمتع بحالة صحية معقولة.

أحب وليم شارلوت وقضيا أكبر وقت ممكن معاً كلما أتاحت لهما الظروف ذلك. فقد كانت موهوبة في اللغات مثله وقامت بقراءة ما يقوم بترجمته وبتقديم اقتراحات مفيدة له. إلا أن صحتها بدأت في التدهور منذ أعياد الكريسماس عام ١٨٢٠م. وكل يوم كان وليم يحملها في حب إلى الحديقة حيث يجلسان سوياً قرابة ساعة يصليان فيها ويتجاذبان أطراف الحديث معاً إلى أن ماتت في ٣٠ مايو ١٨٢١م. ويعد هذا اليوم من أسوأ أيام حياة وليم كاري. فلقد استمر زواجهما ثلاثة عشر عاماً وثلاثة أسابيع وافتقدها وليم بشدة.

وتلت وفاة شارلوت ثلاث حالات وفاة أخرى. فقد مات كريشنابال أول هندوسي آمن بالمسيحية من جراء إصابته بالكوليرا ولقد قضى حياته كارزاً مجتهداً إلى آخر أسبوع في حياته. ثم مات فليكس كاري وعمره سبعة وثلاثون عاماً أثر فشل كبدي، وبعدهما أصيب وليم وارد بالكوليرا وتوفى بعد أربع وعشرين ساعة، وعمره أربع وخمسين سنة. وانفرط عقد ثلاثي سيرامبور بوفاة أصغرهم سناً بعد أن ظل طوال حياته عضواً مخلصاً في الفريق. وبكى وليم على فراق كل واحد منهم.

وتزوج وليم للمرة الثالثة في عام ١٨٢٣م. من أرملة في الخامسة والأربعين اسمها "جريس هبوز" وأحبها كل من يقيم في ارسالية سيرامبور عندما عاشت بينهم لرقتها وحنانها.

ولم يمض على زواجهما سوى شهور قليلة حين أصيب وليم إصابة بالغة في فخذه أثر سقوطه أثناء قفزه من القارب وأرسل الحاكم العام طبيبه الخاص ليعالجه أثر وصول الأبناء إليه، وبذل الرجل كل ما في وسعه لعلاجه وفق ما هو متاح من معلومات طبية في ذلك الزمان من عام ١٨٢٣م. استلزم علاج وليم امتصاص كمية من الدم من فخذه عن طريق حشرات خاصة يضعونها حول مكان الإصابة اعتقاداً منهم أنها تمتص السموم، وبرغم هذا العلاج فإن وليم قضى ستة شهور قبل أن يسترد مقدرته على المشي. وكما حدث في الحادثة السابقة فإن الخدم اعتادوا أن يحملوه لإلقاء محاضراته في جامعة قلعة وليم والعودة به مرة

ثانية. تحسنت حالته كثيراً بنهاية عام ١٨٢٣م. وأصبح بمقدوره أستخدام قدميه في ممارسة شئون حياته. إلا أن هذه السنة كانت غزيرة الأمطار ونظراً لأن إقليم البنغال يتكون من دلتا ضخمة تقطعها الأنهار والمستنقعات فإن الفيضان غمر مساحة الأراضي كلها واصبحت مياه الفيضان أكثر جموحاً لدرجة نفق معها الآلاف من الحيوانات وسقطت المئات من الأشجار الضخمة وتطورت الأمور إلى الأسوأ إلى أن غمرت مياه الفيضان مبنى الإرسالية واجتاحت في طريقها منزل وليم الذي كان بالمنزل في ذلك الوقت، واضطر للجري من المنزل طالباً السلامة حتى لا تجرفه مياه الفيضان كما جرفت المنزل والحديقة التي أعطته مع شارلوت أجمل ساعات حياتهما.

وبعد أن تراجعت مياه الفيضان أصبح في وسع رجال الإرسالية أن يعاينوا الخسائر التي أصابتهم، وكما حدث بعد حريق المطبعة وقف وليم في وسط الحطام المتراكم حوله ووضع خطة إعادة البناء وأرسل في اليوم التالي إلى إنجلترا يطلب شراء بصيلات وبذوراً جديدة ليعيد زراعة الحديقة. وعمل في ترجمة مستندات الحكومة إلى اللغة البنجالية ليحصل على دخل إضافي للمساعدة في إعادة بناء مركز الارسالية.

وتم استبدال كل شئ تقريباً وعادت كلية سيرامبور للحياة مرة أخرى. وفي عام ١٨٢٧م. منح ملك الدانمارك الكلية الحق في اصدار شهادات رسمية معترف بها لخريجيها، ويعد هذا شرفاً عظيماً إذ أن

كلية سيرامبور هي أول كلية نالت هذا الحق. ولم يغب عن وليم أن يبتسم ساخراً من هذا الموقف، وتذكر أياماً كثيرة مضت عندما شجع خدام الكنيسة في كيترنج أن ينتظروا أعمالاً عظيمة من الرب، وأن ينجزوا أعمالاً عظيمة للرب، فهو الرجل الذي لم ينل إلا قسطاً ضئيلاً من التعليم الأولى وأصبح يرأس أول كلية في الهند تنال حق منح شهادات جامعية معتمدة.

وفي العام التالي قرر الحاكم الجديد لورد بينتك أن يتخذ قراراً جاداً بشأن "الساتي" وفعل وليم كل ما في وسعه ليضع تقريره الذي كتبه للورد ولزلي عام ١٨٠٢م أمام عينى لورد بينتك والذي يعدد فيه مساوئ هذا التقليد الرهيب للهنود، والتمس من كل حاكم جديد أن يعيد النظر في شرعية ممارسة هذه العادة الذميمة والآن وأخيراً يبدو أن أحدهم قد امتلك الشجاعة ليعيد الأمور إلى مكانها الصحيح.

وفي يوم الجمعة ٤ ديسمبر ١٨٢٩م. وقع لورد بينتك مرسوماً يقضي بأن "الساتي" عمل مجرم قانوناً في كافة أنحاء الهند. وبعد يومين في صباح الأحد كان وليم أول من قرأ هذا المرسوم، إذ أرسله إليه الحاكم العام ليترجمه إلى اللغة البنغالية حتى يتم إعلانه على الشعب. لم يضع وليم أي وقت ومن فرط حماسه طلب إلى واحد من زملائه في الإرسالية أن يقوم بإلقاء العظة في الكنيسة حتى يتفرغ هو لترجمة القانون وأسرع في انجاز الترجمة بأكثر ما يستطيع ولم يرد أن يضع دقيقة واحدة فكل

دقيقة تمر قد تعني موت أرملة أخرى، وظل يعمل طوال النهار دون أن يتوقف حتى لتناول الطعام. وبحلول الظلام كان مندوب الحاكم العام في طريق العودة إلى كلكتا وبصحبته الترجمة البنغالية للمرسوم.

واجه وليم مزيداً من الصعاب في السنوات التالية فقد انهارت البنوك في الهند وأعلنت إفلاسها وبالتالي ضاعت أموال الإرسالية المودعة لديها. وكنتيجة للأزمة المالية اضطرت كلية قلعة وليم أن تغلق أبوابها مما حرم وليم من الدخل الذي ساعد في تدعيم العمل في إرسالية سيرامبور واستمراره، ثم جاء فيضان جديد أطاح بحديقة وليم مرة ثانية واقتلع جذور أشجار الماهوجني الضخمة، وحطم الصوبات الزراعية إلى آلاف من القطع الصغيرة، وما أن هدأت ثورة الفيضان حتى بدأ وليم إعادة زراعة حديقته مرة أخرى.

انهمك وليم في إعداد ترجمة جديدة للعهد الجديد باللغة البنغالية، وألقى محاضرات في الدين وفي العلوم في كلية سيرامبور، ورغم كبر سنه فإنه ظل مخلصاً لدعوته كمرسل ولم يترك العمل أبداً ولم يفكر في أن يحال إلى المعاش قط.

وفي يوليو ١٨٣٣م أصيب وليم بنوبة قلبية ورغم أنه شفي فما إلا أنه سرعان ما تبعتها نوبة ثانية ثم ثالثة وتركته كل نوبة وهو أضعف حالاً مما كان عليه ورغم هذه النوبات فإن وليم أحب حديقته وظل يعمل بها يومياً وعندما أصبح خروجه من منزله عسيراً، صار المشرفون

الزراعيون يأتون له بثمار الفاكهة وبأنواع النباتات المزروعة ويقدمون له تقريراً عن كل نوع منها.

وأتي أبناء وليم الأحياء الثلاثة ليكونوا بجواره إذ أتى جابيز من راجيوتانا حيث أسس هناك عملاً مرسليا وظل يديره وأتى وليم الصغير من كوتوا حيث أسس عملاً مرسلياً آخر هناك وأتى يوناثان وعمره سبعة وثلاثون عاماً من كلكتا، حيث أصبح محامياً شهيراً وقدم كذلك كثيرون لزيارته وعلى رأسهم الحاكم العام وزوجته والدكتور ويلسون أسقف كلكتا والمرسلون الشباب الذين وفدوا حديثاً. وجاء لزيارته كذلك الكسندر دف والذي قدم خصيصاً ليناقش معه مشروع انشاء كلية مسيحية في كلكتا، وشجعه وليم على ذلك وأعجب دف كثيراً بسنوات خدمة وليم كمرسل. وأراد أن يستمع إلى اختباراته، ولكن نظرا لأن الإرهاق سرعان ما يصيب وليم فإن الرجل لم يمكث طويلاً. وعندما اتجه نحو الباب استجمع وليم كل قواه وجلس على السرير ونادى مستر دف وقال له بصوت واهن: "يا مستر دف لقد تحدثت كثيراً عن وليم كاري. ولكن عندما أغادر هذا العالم لا تقل شيئاً عن وليم كاري بل أجعل حديثك مخلص عن وليم كاري."

مات وليم كاري في هدوء فوق فراشه في الساعات الأولى من صباح ٩ يونيو ١٨٣٤م عن عمر يناهز اثنين وسبعين عاماً وطلب في وصيته أن يدفن إلى جوار زوجته شارلوت وأن يكتب على شاهد قبره اسمه وسنه

وهـذه العـبارة "دودة حقـيرة فقـيرة لا حـول لهـا ولا قـوة بـين ذراعـيك الحانيتين يا إلهي".

وربمـا رأى ولـيم كـاري في نفسه أنه فقير وحقير ولكن كل من احـتك بـه رأى فـيه شـيئاً آخـر فعـندما شيع جثمانه في شوارع سيرامبور نكسـت أعـلام الدانمـرك فوق المباني الحكومية واصطفت جموع الهندوس عـلى جـانبي الطريق في صمت مهيب. وشيعه شعب المدينة عن بكرة أبيه مـن مسلمين ومسـيحيين وهـندوس. فكلهم أرادوا أن يلقوا النظرة الأخيرة على الرجل الذي صار أسطورة حب في اقليم البنغال.

ولـيم كـاري الـذي بـدأ حـياته ابـناً لعامل مسيحي بسيط علم نفسـه اللاتينـية والعـبرية واليونانـية، وهـو يعمـل كصـانع أحذية وعندما اقتـنع بأنـه يجـب عـلى انجلـترا أن توفد مرسلين إلى البلاد التي فتحت حديـثاً، شـعر أنـه يجب عليه أن يتجه إلى الهند كأول مرسل إلى هناك، وعـندما أحاطـت بـه الظروف الصعبة وشاهد أطفاله يموتون وزوجته تتجه نحـو الجـنون، لم يفقـد إيمانـه وتحمـل الشـدائد بصـفة مسـتمرة ونظـر للمسـتقبل دائمـاً بـنظرة ثاقـبة. وأثـناء حـياته أسـس أفضـل كلية تمتعت بأطيـب سمعـة في الهـند، وتـرجم الكـتاب المقـدس إلى العديـد من اللغات القديمـة والآسـيوية، وسـاهم في إنشاء العديد من الكنائس والمدارس في كافة أنحـاء الهـند، وأطلـق صـرخة مدويـة ضـد الممارسـات الـلا إنسانية، ولم

يـتقاعس أبـداً ولم يتخل مطلقاً عن إخبار الشعب الهندي ببشارة الإنجيل كلما اتيحت له الفرصة.

تمـثل حـياة ولـيم كـاري مـثالاً يحـتذي بـه ونموذجـاً للعمـل المرسـلي. وبعـد موتـه حاول الكثيرون أن يتمثلوا به ولكن قليلين هم الذين استطاعوا أن يصلوا إلى ما وصل إليه.

إصدارات مكتبة المنار

الكتـــاب	الكتـــاب
١- هل حقاً تكلم الله (طبعة ثانية)	٢٠- أين أجد الوقت
٢- جوني	٢١- اكتشاف المصير
٣- انهض وحارب (نفذ)	٢٢- العلاقات الصحيحة
٤- لكي أربح (طبعة ثانية)	٢٣- سر القط الضاحك (أطفال)
٥- العلاقة الحميمة مع الله (نفذ)	٢٤- المسيح يحررك (كتيب)
٦- رحلة في دروب الحياة	٢٥- أسرار النجاح الروحي
٧- أعماق نفسي (طبعة ثانية)	٢٦- مصر المباركة
٨- ترس الصلاة (نفذ)	٢٧- بالحقيقة أحرار
٩- لمسة رحمة لعالم جريح (نفذ)	٢٨- أسس خدمة الشفاء
١٠- نسل إبراهيم (جـ ١)	٢٩- حنان الآب
١١- نسل إبراهيم (جـ ٢)	٣٠- رؤية المدينة بعيني الله
١٢- الحرب الروحية	٣١- دعوة إلى حياة الطهر والنقاوة
١٣- مع المسيح فوق الآلام	٣٢- لغات المحبة الخمس عند الأطفال
١٤- روعة الحياة بالإيمان	٣٣- بيلي جراهام
١٥- يشفي نفسي	٣٤- أخرج من مخبأك
١٦- القيادة	٣٥- الديداخي- أي تعليم الرسل
١٧- العهود السبعة	٣٦- الكنائس الشرقية وأوطانها جـ١
١٨- كيف تنتصر على الخطية	٣٧- حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي
١٩- المحبة حينما تبدو مستحيلة	٣٨- التقليد الرسولي

٣٩- الكنائس الشرقية القديمة جـ٣	٥٣- أشتاق إلى الله
٤٠- سر البغبغاء الثرثار	٥٤- البحث عن السلام
٤١- المسيحيون الأوائل	٥٥- أسرار وعجائب في إنجيل القديس مرقس
٤٢- قصة ميلاد المسيح	٥٦- غريب عن المألوف
٤٣- الانطلاقة	٥٧- غيِّر عالمك بالصلاة
• **الأساس الكتابي للتربية في مرحلة الطفولة المبكرة** ٤٤- الكتيب الأول: دليل المعلم	٥٨- مناضل في سبيل الحرية
٤٥- الكتيب الثاني: معرفة الله أبينا	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر ٥٩- هدسون تايلور ـ في قلب الصين
٤٦-الكتيب الثالث: معرفة يسوع، الله معنا	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر ٦٠- جورج موللر ـ الوصي على أيتام بريستول
٤٧- الكتيب الرابع: معرفة يسوع بواسطة الروح القدس	* أبطال المسيحية: في الماضي والحاضر ٦١- كوري تن بووم ـ مختبرة الصفح والغفران
٤٨- الكتيب الخامس: التأديب الذي في البر (٥ كتب+ ٣ شريط كاسيت+ ٧ بوستر)	٦٢- ارعَ قلب طفلك
٤٩- نحو زواج أفضل	٦٣- آباء وأبناء
٥٠-المرشد إلى مجموعات الشركة الروحية	٦٤- الخروج من دائرة الراحة
٥١- إرشاد الصغار إلى الله	٦٥- علامات على الطريق
٥٢- إعادة بناء الحياة	٦٦- أعطني رزقاً

قصص ملهمة لرجال ونساء استجابوا لدعوة الله

فتاة ايرلندية ثرية تنقذ الأطفال فى الهند ؟ شابة إنجليزية
تكرز بالانجيل فى الصين ؟ طيار أمريكي
يخدم المرسلين فى الاكوادور ؟
سلسلة أبطال المسيحية : فى الماضي والحاضر
تسرد القصص الواقعية المثيرة ،
الملهمة والمؤثرة لرجال ونساء عاديين
حققت ثقتهم فى الله إنجازات باهرة لملكوته ومجده .

وليم كاري

(١٧٦١ - ١٨٣٤)

وليم كاري واقف في الميناء، ناظراً السفينة وهي تبحر، وكان الحزن يسيطر عليه لأنه لم يستطع السفر على متنها. الدموع ملأت عينيه وخيبة الأمل ملأت قلبه.

كان لابد له أن يسافر لأن هناك الكثير من العمل في نصف العالم الآخر ينتظره، عليه أن يعود إلى الهند وبسرعة!

رحلة وليم المدهشة إلى الهند ستبرهن بأنها ليست فقط ستكون البداية لتحقيق العمل المملوء بالمشقة والحزن، لكنه حافلاً بالإنتصارات العظيمة
إن حياته وخدمته وتضحياته تُعد نبراساً هادياً للمسيحيين
ولكل الأجيال.



